سلسلة الحضارة الصينية

تجسيد تاريخ طويل
استكشاف الحضارة الصينية

الاحتفالات والشعائر والآداب الشرقية

الأدوات البرونزية الصينية

رؤساء التحرير: باي وي وداي هيبينغ
تأليف: دينغ منغ



BEIJING PUBLISHING GROUP

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

تتناول هذه السلسلة مواضيع متنوعة؛ كالشخصيات الصينية، والمسرح، والموسيقى، والرسم، وتنسيق الحدائق، والعمارة، والغناء الشعبي، والطب، والحِرَف التقليدية، والفنون القتالية، والعادات، والتقويم الشمسي، فضلاً عن الملاحم والأساطير، والحليّ والمجوهرات، والأدوات البرونزية، وفنّ الخطّ والأدب الصيني. لذا، لا بدّ تُثري معارف القارئ المهتم بتاريخ الصين العريق.

وفي هذه السلسلة، سيبحر القارئ مستطلعاً صوراً مدهشة تتراكب بشكل متقن في كتب تصل به إلى قلب الحضارة الصينية وهو في مكانه؛ حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعتادوا القراءة في هذه المواضيع. مما يجعل منها كتباً مناسبة لكل من الكبار في السن والشباب على حد سواء. فالقراءة متعة بحد ذاتها، وهي تُطوِّر القدرات والمعارف لكل من يختار الإبحار في عالمها الرحب.

صدر من هذه السلسلة:

- أثواب فخمة مزينة – الملبوسات والإكسسوارات الصينية
- تقليد الطبيعة – الحدائق الصينية
- الحجر الأنيق – تحف الجاد الصينية
- الوسائل الطبيعية – الطب الصيني التقليدي
- الدمج الأمثل بين الكونغ فو والتربية الطاوية – الفنون القتالية الووشو الصينية
- أسرار فينولوجية في الأغنية الشعبية – الفصول الشمسية الصينية
- السحر الأزلي – العمارة الصينية
- التشابه والتغاير – فن الرسم الصيني
- ازدهار أمة بفضل العلوم – العلوم والتكنولوجيا في الصين
- ألحان من الروح – الموسيقى الصينية
- الترفيه مع الفن الغنائي والسردي الشفهي – الكيو يي الصينية
- الاحتفالات والشعائر والآداب الشرقية – الأدوات البرونزية الصينية
- تعبير عن الروح – الخط الصيني
- عالم صغير – الأحرف الصينية
- أهمية المشاعر – الأدب الصيني
- طفولة حضارة – الأساطير والخرافات الصينية
- كلٌ متكامل بين العالمين العقلي والمادي – الفنون والحرف الصينية التقليدية
- عائق التاريخ الطويل – الأوبرا التقليدية الصينية


ISBN 978-614-01-2012-9



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



سلسلة الحضارة الصينية
تجسيد تاريخ طويل
استكشاف الحضارة الصينية



الاحتفالات والشعائر والآداب الشرقية

رؤساء التحرير: باي وي وداي هيبينغ
تأليف: دينغ منغ


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

B&R BOOK PROGRAM

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Oriental Ceremonies and Proprieties
Chinese Bronze Ware

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2017 م

ردمك 978-614-01-2014-3



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

مقدمة عامة
لسلسلة استكشاف الحضارة الصينية

في عالمٍ يزداد وقعُ الحياة فيه تسارعاً، وتصبح الثقافات المختلفة أكثر اتصالاً ببعضها بعضاً، نجد الكثير من الكتب التي تقدّم للثقافات والحضارات المتنوعة. ولا شكّ في أنّ أيّ جهد مبذول في إطار التشجيع على القراءة والتعريف بالثقافات والحضارات مطلوبٌ وهامٌّ.

وفي يومنا هذا، صار من الممكن العثور على الكثير من الكتب التي تتناول الثقافات والحضارات الشعبية. غير أنّه لا يُخفى على أحد أنّ نشر الثقافة على أيدي علماء مختصين أمر مهم؛ كي يستطيع عامة الناس الانتفاع من خلاصة ثقافات الشعوب. وهذا تحديداً ما أقدم عليه نخبة من العلماء المتخصصين الذين تركوا بصماتهم في مختلف ميادين المعرفة؛ بنشرهم سلسلة كتب استكشاف الحضارة الصينية. وقد حرصوا في عملهم هذا على أن تكون الأفكار واضحة، والكتب سهلة الفهم؛ بعكس الأسلوب الأكاديمي التقليدي في مقاربة التاريخ. وتتناول هذه السلسلة مواضيع متنوعة؛ كالشخصيات الصينية، والمسرح، والموسيقى، والرسم، وتنسيق الحدائق، والعمارة، والغناء الشعبي، والطب، والحِرَف التقليدية، والفنون القتالية، والعادات، والتقويم الشمسي، فضلاً عن الملاحم والأساطير، والحليّ والمجوهرات، والأدوات البرونزية، وفنّ الخطّ والأدب الصيني. لذا، لا بدّ تُثري معارف القارئ المهتم بتاريخ الصين العريق.

وفي هذه السلسلة، سيبحر القارئ مستطلعاً صوراً مدهشة تتراكب بشكل متقن في كتب تصل به إلى قلب الحضارة الصينية وهو في مكانه؛ حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعتادوا القراءة في هذه المواضيع. مما يجعل منها كتباً مناسبة لكل من الكبار في السن والشباب على حد سواء. فالقراءة متعة بحد ذاتها، وهي تُطوِّر القدرات والمعارف لكل من يختار الإبحار في عالمها الرحب.

الحضارة بشكل عام هي المنبع الروحي لكل أمة، وهي القوة التي تدفع الشعوب إلى المزيد من التقدم والإبداع. والحضارة الصينية على وجه الخصوص هي الوحيدة بين الحضارات الإنسانية التي يمكنها أن تفخر بتطور مستمر وغير منقطع امتد خمسة آلاف سنة. وخلال هذا التاريخ الطويل، بكل ما رافقه من عمليات تحوّل وتقلّب، أظهر الصينيون ما يتميزون به من مثابرة وجدّ، فضلاً عن التفاؤل واللطف المعروفَين عنهم. فهذا الشعب يحترم الطبيعة، ويحب العيش بتناغم معها، كما أنه شديد التسامح والتقبل للحضارات الأخرى التي ما فتئ يمتص تأثيرها ويدرسها قبل أن يستوعبها، محوّلاً إياها إلى جزء من حضارته وثقافته. وقد لعبت حكمة الأمة الصينية وإبداعها في الماضي دوراً لا غنىً عنه في تقدم الحضارة الإنسانية كما نعرفها اليوم، وهي حتى يومنا هذا لا تزال تبرهن عن قدرتها على التجدد وترسيخ قيمها التي تتمثل في المحبة والكرم والسعي إلى تحقيق السلام والسعادة لأبناء البشر؛ وكلّها صفات تمثّل تقاليد الأمة الصينية خير تمثيل.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي التقاليد؟ التقاليد هي الثقافة الموروثة والمتطورة عبر الأجيال. ولا تزال الحضارة الصينية- بعد آلاف السنين- مستمرّةً في مسيرتها التطورية على أيدي الأجيال الجديدة، ولا يزال الشعب الصيني ذو الحضارة المجيدة يبني إرثه الغني ليصنع تاريخاً جديداً مبنياً على أخلاقياته الرفيعة والعريقة دون توقف أو انقطاع.

مقدمة الكتاب

تاريخ البرونز – إرث راسخ ومتين

كان النحاس أول معدن اكتشفه الإنسان واستخدمه؛ فهو معدن على درجة عالية من المرونة والمطواعية التي أتاحت المجال لمستخدميه كي يكوِّنوا منه قوالب عديدة بحسب الأشكال التي يحتاجون إليها ويرغبون بها. كما اكتشف الناس أنه يمكنهم أن يذيبوا النحاس ويصبوه وهو في حالته السائلة وعلى درجة حرارة عالية على أجسام عديدة؛ مما يشكل قالباً قوياً وجميلاً. يوجد النحاس في الطبيعة بشكله الفيزيائي الأبسط؛ النحاس الخالص المعروف أيضاً باسم «النحاس الأحمر» بسبب لونه المتميز. وقد لفت هذا المعدن انتباه الإنسان في مرحلة مبكرة من تاريخه؛ إذ تدل الاكتشافات التي تعود إلى العصر الحجري المتأخر (عصر النيوليت) على أن البشر حتى في ذلك الزمن السحيق كانوا قد اكتشفوا النحاس واستخدموه في نحت أدوات ومستلزمات حجرية، وسرعان ما بدأوا بصنع الأدوات والمستلزمات مُستفيدين من مرونته، ومحوّلين إياه إلى أشكال يستفيدون منها مثل السكاكين الصغيرة والأشكال المخروطية وقطع الزينة بحسب طرائق محددة اكتشفوها في ذلك الوقت واستمروا في تطويرها. لقد كانت هذه هي البشائر الأولى لبزوغ عصر استخدام الإنسان للمعادن، والذي تطور لاحقاً إلى العصرين النحاسي والبرونزي. تعتبر الدبابيس والمخروطيات النحاسية المكتشفة في جنوب تركيا أقدم المنتجات النحاسية التي حفظها لنا التاريخ، إذ يعود زمن صنعها إلى سبعة أو حتى ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد.

لكن النحاس الخالص ليس شكل النحاس الوحيد الموجود في الطبيعة. فثمة مخزون طبيعي كبير للنحاس في أشكال تفاعلت مع مواد أخرى، ولعل الملكيت أكثرها شيوعاً. الملكيت مادة معدنية مركبة ومؤلفة من أوكسيد النحاس، وقد انتشرت هذه المادة في الماضي بشكل كبير بسبب لونيها الأزرق والأخضر الجذابين والمشابهين للون ريش الطاووس. وقد بدأ الناس بتجميع الملكيت واستخدامه في صنع القلائد وغيرها

من أدوات الزينة في أزمنة قديمة للغاية، ولكنهم اكتشفوا لاحقاً- ولعل ذلك الاكتشاف وليد الصدفة- أن الملكيت إذا أُلقي في النار حتى يصل إلى درجة حرارة عالية فسيذوب ويتحول إلى نحاس سائل يمكن قولبته في أشكال مختلفة حين يبرد. وقد استخدم الناس هذه العملية مراراً وتكراراً محسنين منها في كل مرة؛ حتى توصلوا إلى تقنية استخدام الملكيت مع الفحم النباتي لاستخراج النحاس المصهور وقولبته في منتجات مصنوعة من النحاس الخالص. ويعتبر الباحثون ذلك الاكتشاف نقطة نهاية العصر الحجري المتأخر، وبداية ما سمي «بالعصر النحاسي» (أو عصر الكالكوليت) بسبب شيوع استخدام المنتجات النحاسية فيه مثل السكاكين والخناجر والفؤوس النحاسية المكتشفة في مصر، والتي يعود زمن صبها إلى الحضارة الجرزية القديمة (3500-3100 قبل الميلاد)، كما تم اكتشاف أجراس مصنوعة من النحاس الأحمر في مقابر موقع لونغشان الحضاري الواقع في قرية تاوسي (محافظة شيانغفن، ولاية شانشي) في الصين، وتعود إلى حوالي سنة 2085 قبل الميلاد.

لكنّ النحاس لم يكن معدناً شديد المتانة، لذا لم يكن مناسباً لصناعة أدوات الإنتاج الزراعي، ولم يلعب إلا دوراً ثانوياً في عمليات الإنتاج تلك. وفي وقت لاحق ونتيجة تجارب ومحاولات كثيرة، اكتشف الناس معدن القصدير، وتعلموا كيفية صهره باستخدام حجر الكاستريايت والفحم النباتي، ثم أدى بهم ذلك إلى استكشاف طرائق في مزج النحاس والقصدير الخالصين المصهورين لتكوين أشابة البرونز، وسرعان ما تبين أن المزيج المعدني الجديد أفضل من النحاس الخالص. وعلينا هنا أن نكون أكثر دقة في تحديد مواضع تفوقه: فأول أفضلية للبرونز هي متانته التي تعززها عملية التشكيل والصياغة. أما الأفضلية الثانية فهي ميوعة البرونز العالية، وقلة تقلصه أثناء القولبة وعملية التصليد التي تليها. وقد جعلت هذه الميزة البرونز مناسباً لصنع أدوات ذات شفرات حادة، وكذلك لصنع خطوط واضحة في هذه الأدوات، بل ولنقش أشكال دقيقة ومعقدة فيها. أما الأفضلية الثالثة فهي درجة الاستقرار العالية التي تتمتع بها صفات البرونز الكيميائية، ما يجعله مقاوماً للصدأ والتآكل؛ وهذا يجعل منه مادة ممتازة لصنع أدوات تستخدم لفترات طويلة من الزمن. كما أن درجة حرارة انصهاره المنخفضة نسبياً

مكّنت الناس من إعادة استخدام أدوات البرونز التالفة عبر تذويبها في أتون الصهر وإعادة قولبتها في أشكال جديدة.

جعلت هذه المزايا البرونز مادة مناسبة لصناعة أدوات الإنتاج الزراعي، والأسلحة، والأدوات المنزلية ذات الاستخدام اليومي. ومنذ أن اكتشف الإنسان تقنية صناعة البرونز وقولبته راج استخدامه بشكل واسع، وأدى إلى تغيير جذري في كل جانب من الجوانب الحياتية والإنتاجية في المجتمع الإنساني. وأول أوجه ذلك التغيير كان أن هذه المادة وفرّت للناس أدوات حادة إلى درجة غير مسبوقة استخدمت في الزراعة وغيرها من الحرف اليدوية، فازدادت إنتاجية العمل الإنساني بشكل كبير نتيجة لذلك؛ كما سهّلت تقسيم العمالة بين الزراعة والحرف اليدوية، وبعد ذلك ضمن قطاع الحرف اليدوية نفسه. ثانياً، أدى تطور الإنتاج إلى تغيّر جذري آخر في كل جانب من جوانب العلاقات الإنتاجية والحياة الاجتماعية. ويشمل ذلك الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية وجميع المجالات، ما غيّر مفهوم المجتمع الإنساني وإمكانات تطوره جملة وتفصيلاً؛ حيث شهد المجتمع الإنساني قفزة نوعية في تطوره المادي والروحي نتيجة الاستخدام الواسع للبرونز، وهي القفزة من مجتمعات العصر الحجري إلى حقبة جديدة سُمّيَت باسم المادة التي طغت عليها: العصر البرونزي.

البرونز أشابةٌ معدنية مبنية على مادة النحاس. وقد كان يُصنَع في الأزمنة القديمة من خلال مزج النحاس بالقصدير أو بالرصاص أو بكليهما معاً. وعادة، يكون البرونز ذهبي اللون، ولذلك السبب كانت الكثير من النقوش الصينية القديمة الموجودة على البرونز أو النحاس تشير إلى هاتين المادتين على أنهما «ذهب»، أما مصطلح «البرونز» الذي نستخدمه اليوم فيعود إلى طبقة الصدأ خضراء اللون التي تتشكل على سطح أدوات البرونز القديمة نتيجة تآكلها لفترات طويلة من الزمن.

تخبرنا اكتشافات علماء الآثار أن العصر البرونزي كان جزءاً لا يتجزأ من تاريخ جميع الأمم؛ فقد ظهر في حقبة المملكة المصرية الوسطى (2133-1786 قبل الميلاد)، ولكن استخدام صهر البرونز وسبكه وصل إلى ذروته في عهد المملكة المصرية الجديدة (1567–1085 قبل الميلاد)، حيث استُخدِم البرونز في صناعة أدوات الإنتاج وعربات

الأحصنة والزخارف على أبواب المعابد. أما جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) فقد شهد عهد سلالة أور الأولى (حوالي 2700–2371 قبل الميلاد) بروزاً ملحوظاً في استخدام الأدوات البرونزية، حيث شاع استخدامها مع عهد سلالة أور الثالثة (2113-2006 قبل الميلاد). حين نشير إلى العصر البرونزي في وادي السند فهذا يعني حضارة هارابا التي يعود تاريخها إلى ما بين 2350-1750 قبل الميلاد، حيث تم اكتشاف فؤوس ومناجل وسيوف وبلطات مصنوعة من البرونز. إذاً، لقد أدى اكتشاف مادة البرونز إلى بزوغ شمس أحقاب حضارية جديدة في كل من مصر وبلاد الرافدين ووادي السند.

وبحسب ما أوردته السجلات التاريخية وما أظهرته اكتشافات علماء الآثار، دخلت الصين في العصر البرونزي في زمن مبكر، وهو عهد سلالة العبودية الأولى، سلالة شيا (القرن الحادي والعشرون - القرن السابع عشر قبل الميلاد)، حيث تخبرنا السجلات التاريخية عن صب وتشكيل تسع قدور ذات ثلاث قوائم (تدعى الواحدة منها دينغ باللغة الصينية) أثناء حقبة سلالة شيا. وقد ورد ما يلي في فصل «شعائر الأضحيات الدينية» من كتاب «سجلات المؤرخ العظيم»: «جمع يوي، مؤسس سلالة شيا، النحاس في الصين لصب تسع قدور دينغ كرمز لمقاطعات البلاد التسع، وقد استخدمت جميعها لتقديم القرابين للآلهة والأرواح».

تعتبر هذه الأسطورة «الصفحة الأولى» من تاريخ العصر البرونزي في الصين، وقد ترافق ظهور الأدوات البرونزية الأولى في الصين مع تأسيس ممالك البلاد الأولى، وتوارثت السلالات الصينية الحاكمة هذه القدور التسع كرمز للسلطة الإمبراطورية. فبعد أن كانت بأيدي أباطرة سلالة شيا، توارثها أباطرة سلالة شانغ، ثم أباطرة سلالة تشو؛ فكانت تصل إلى يد مالكها الجديد مع اعتلاء سلالة جديدة سدة الحكم في الصين، وكانت تُعتبَر رمزاً للسلطة الإمبراطورية والولاء لتلك السلطة. في «حقبة الربيع والخريف» ضعفت سلطة سلالة تشو بشكل كبير، وقام تشوانغ ملك مقاطعة تشو (Chu) بنشر قواته بمحاذاة نهر لوه الرافد للنهر الأصفر، وبدأ بطرح الأسئلة حول وزن القدور التسع، كاشفاً عن طموحه في الاستيلاء على الحكم من أيدي سلالة تشو.

تخبرنا السجلات التاريخية والمكتشفات الأثرية أن عملية سبك البرونز تنقسم إلى

خطوتين: الأولى هي التجميع والصهر، والثانية هي السبك والقولبة.

تشتمل الخطوة الأولى على تجميع النحاس الخام والقصدير الخام ومزجهما مع الفحم النباتي، ثم صهر المزيج. وبعد ذلك تأتي الخطوة الثانية، وهي تأشيب البرونز وسبكه، وتشمل بدورها ثلاث خطوات فرعية: التأشيب، ثم صنع القوالب، ثم السبك. وأثناء عملية التأشيب، يتم مزج النحاس والقصدير بنسب دقيقة ومحددة قبل أن يتم تسخين المزيج وصهره في الأتون، حيث يتحوّل إلى المادة المطلوبة: البرونز السائل. أما عملية صناعة القوالب فتتضمن إنشاء قوالب طينية تعكس الشكل الذي يريد صانعو البرونز سبكه فيه. وقد كان أسلوب سبك البرونز هذا هو المستخدم غالباً في الصين القديمة، ويُسمى: «أسلوب السبك في القوالب»، وتتميز به المصنوعات البرونزية الصينية القديمة. أما عملية السبك فهي الأساليب التي يتم من خلالها صب البرونز الذائب في القوالب المزدوجة، ثم تركه ليبرد ويتصلد، ثمّ تُزال هذه القوالب. وبعد أن تتم عملية السبك هذه يتم صقل البرونز وطلاؤه.

الأهم من ذلك هو أن الناس اخترعوا أثناء عهد سلالة شانغ طرائق متعددة ومختلفة في السبك، وقد وجدت هذه الطرائق مجالاً واسعاً للتطبيق؛ فأدت إلى تسهيل صناعة الأدوات البرونزية، وزادت من الإنتاجية، وساهمت في إضفاء مسحة من التطور الفني والبهاء على أشكال الأدوات البرونزية وزخارفها. وكذلك استُخدم أسلوب السبك بالشمع الضائع (الذي يتم من خلال صب البرونز المذاب على قالب من الشمع الذي سرعان ما «يضيع» أي ينصهر تحت حرارة المعدن السائل) في الصين القديمة، وقد كشفت الحفريات في شياسي (محافظة شيتشوان، مقاطعة خهنان) عن استخدام هذا الأسلوب تحديداً في صناعة حمالة معدنية لحمل قوارير النبيذ (تدعى جين باللغة الصينية) تم العثور عليها في قبور ولاية تشو (Chu) التي يعود تاريخها إلى عهد الربيع والخريف.

وتشمل عمليات صهر البرونز وسبكه أيضاً تقنيات رائعة في تزيين أسطح المصنوعات البرونزية؛ مثل ترصيعها بالفيروز والنحاس الخالص، وطلائها بالفضة والذهب، وصناعة أشكال مزخرفة منحوتة ومرسومة. وقد أدى ذلك كله إلى إثراء ألوان المنتجات البرونزية وتزيينها، وإضافة الكثير إلى قيمتها الفنية والجمالية. لقد أرست تقنيات سبك

البرونز عالية التطور التي استُخدِمت في الصين القديمة أُسساً راسخة لثقافة البرونز العظيمة التي توارثتها الأمة الصينية.

وخلال حقبتَي سلالتَي هان وتانغ، تم استخراج عدة مصنوعات برونزية تعود إلى العصر البرونزي خلال عمليات تنقيب متقطعة. وقد لاقت هذه المكتشفات تبجيلاً كبيراً؛ إذ اعتبرها الأباطرة المستبدون رموزاً تحمل اليُمن والبركة. فعلى سبيل المثال، غيَّر الإمبراطور وو من سلالة هان اسم عهده إلى «يواندينغ» (أي قدر الدينغ العظيمة) بعد أن اكتشف قدر دينغ في السنة السابعة من حكم يوانشو في فنشوي، مقاطعة شانشي. أما أثناء حكم سلالة سونغ، فقد أدى الازدهار الاقتصادي والثقافي في البلاد الذي ترافق مع تطور الدراسات التاريخية والزيادة الكبيرة في عدد الآثار العائدة إلى عهدَي سلالتَي شانغ وتشو (zhou) التي تم التنقيب عنها إلى ازدياد الطلب على هذه الآثار الحضارية؛ سواء أكان ذلك من قبل الهيئات العامة أم من قبل أصحاب المجموعات الخاصة. وقد أدت هذه العوامل إلى تطور موازٍ في دراسة المعادن والأحجار مع التركيز على موضوع المصنوعات البرونزية القديمة، فشهد ذلك العصر كتابة تحف علمية وفنية مثل «الفهرس المصور للآثار القديمة التي تم تفحصها» والذي جمعه ليوي دا لين، و«فهرس الآثار القديمة» الذي جمعه وانغ فو.

خلال عهد سلالة تشينغ، أمر الإمبراطور تشيان لونغ بتنقيح أربعة كتب مرجعية وتجميعها في المكتبة الإمبراطورية. وهذه الكتب الأربعة هي: «فهرس البرونز الإمبراطوري»، و«المصنوعات البرونزية في قصر نينغشو»، و«ملحق أول بفهرس البرونز الإمبراطوري» و« ملحق ثانٍ بفهرس البرونز الإمبراطوري».

بعد نشأة جمهورية الصين الشعبية، أدى دخول العلوم الغربية إلى حدوث تقدم كبير في دراسات الآثار القديمة والباليوغرافيا (علم الكتابات القديمة). وقد قدّم السيد وانغ قوه وي وغيره إسهامات كبيرة في دراسات المنتجات البرونزية وتاريخ سلالتَي شانغ وتشو. ومن الأساتذة الجديرين بالذكر في هذا الصدد رونغ قنغ الذي جمع دراساته السابقة في عمله: «دراسات موسّعة في المصنوعات البرونزية المخصصة للشعائر الدينية في عصر سلالتَي شانغ وتشو».

ولعل أهم تطور في هذا المجال كان وصول علم الآثار إلى الصين من الغرب في مطلع القرن العشرين. ففي سنة 1928، قام فريق من علماء الآثار في معهد التاريخ والفيلولوجيا في «الأكاديميا سينيكا» (الأكاديمية الصينية) بحملة تنقيب ميدانية في الخرائب العائدة إلى عهد سلالة يين في آنيانغ (مقاطعة خهنان) حيث اكتشفوا قصوراً ملكية ومعابد للأسلاف وأضرحة إمبراطورية تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ. وأدت حملات التنقيب العلمية تلك أيضاً إلى استخراج مصنوعات البرونز والجاد الأولى، وكذلك النقوش على عظام الحيوانات والسلاحف التي حفظها لنا التاريخ من عهد سلالة شانغ. يعتبر هذا الاكتشاف نقطة بداية أعمال البحث والتنقيب عن حضارة البرونز في عصرَي سلالتَي شانغ وتشو، وقد تُوِّجَت هذه الأعمال بنشر «تقرير أعمال التنقيب في آنيانغ». وفي الوقت ذاته، نشر قوه مو روه عمليْهِ: «نقوش على المصنوعات البرونزية من سلالتَي تشو»، و«العصر البرونزي» حيث فصل المؤلف بين ما أفضت إليه دراساته حول المصنوعات البرونزية والحياة الاجتماعية في عصرَي سلالتَي شانغ وتشو.

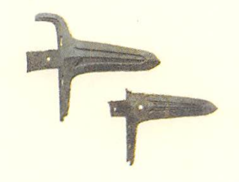
بعد عام 1949، مرت أربعون سنة من التنقيب والاستكشاف القائمين على أسس علم الآثار الحديث قبل أن يتخذ علم الآثار شكله المتطور في الصين. وقد أصبحت الدراسات حول حضارة البرونز أثناء عهدَي سلالتَي شانغ وتشو جزءاً أساسياً من منظومة علم الآثار الصينية، وتحققت اكتشافات عظيمة في هذا المجال، حيث كشفت أعمال التنقيب عن الآثار في خرائب سلالة يين في مقاطعة خهنان عن موقعَي فنغ وقاو؛ وهما العاصمتان في زمن سلالة تشو الغربية وتقعان في مقاطعة شانشي، كما تم اكتشاف ضريحَي يي، وماركيز تسنغ الواقعيْن في مقاطعة هوبي، وتم العثور على مواقع في لياونينغ ومنغوليا الداخلية وقوانغدونغ والمقاطعات الأخرى. وهكذا، توصل علماء الآثار الباحثون في مجال حضارة البرونز القديمة في الصين إلى منظومة كاملة تغطي كامل أقسام البلاد، وحصل تقدم كبير في الدراسات الواسعة والأبحاث العميقة حول هذا الموضوع كما تشهد على ذلك سلسلة الأعمال المنشورة التي تشمل «حقبة العبودية» من تأليف قوه مو روه، و«العصر البرونزي في الصين» من تأليف قاو باو جيون، و«علم آثار سلالتَي شانغ وتشو» من تأليف قسم التعليم والأبحاث في كلية التاريخ في جامعة

بكين، و«دراسات موسعة في المصنوعات البرونزية في عهد سلالتَي يين وتشو» من تأليف رونغ قنغ وتشانغ وي تشي، و«دراسات حول الأدوات البرونزية المستخرجة حديثاً» من تأليف لي شيويه تشين، وكتاب «المصنوعات البرونزية الصينية» الذي أشرف عليه وحرره ما تشنغ يوان.

المحتويات

الفصل الأول

الصور الأبدية – المصنوعات البرونزية خلال عهد سلالتَي شانغ وتشو



الفصل الثاني

الحفاظ على المراسم في الأواني – حضارة البرونز في عهد سلالة تشو الغربية









الكيو يي الصينية

الفصل الأول

الصور الأبدية
-⊠المصنوعات البرونزية
خلال عهد سلالتَي شانغ وتشو

مقدمة

في وقت ما من القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد، انتُخِب يوي العظيم- زعيم قبيلة شيا التي كانت تعيش في تخوم النهر الأصفر الوسطى والسفلى- قائداً أعلى للبلاد بأسرها؛ وذلك نتيجة نجاحه في قيادة الناس من جميع المجموعات العرقية في البلاد للسيطرة على الطوفان الذي عانت منه البلاد. وبعد وفاة يوي ورث ابنه تشي العرش، وأرسى أسس أول «سلالة عبودية» في تاريخ الصين: سلالة شيا. كانت هذه الأحداث علامة فارقة في تاريخ الصين، فقد كانت بدايةَ دخول الصين حقبة حضارتها المتميزة. فالسجلات التاريخية واكتشافات علماء الآثار تشير إلى أن العصر البرونزي بدأ في الصين أثناء حقبة حكم سلالة شيا، ولا يزال علماء الآثار حتى اليوم يدرسون الظروف الاقتصادية والحضارية التي سادت أثناء تلك الحقبة. (الصورة 1-1)

وبعد سنة 1949، وخلال عملية التنقيب عن آثار حضارة حقبة شيا، تم اكتشاف أوعية برونزية تعود إلى بداية تلك الحقبة (حوالي سنة 1900 قبل الميلاد) في موقع شوانغتشنغقانغ في مدينة دنغفنغ، مقاطعة خهنان، حيث تقع مدينة يانغتشنغ؛ العاصمة أثناء حكم يوي. وكانت تلك الأوعية مقوسة الشكل، يغطي سطحها صدأ أخضر وبني اللون، مع وجود زاوية عند قعرها، ما يُشير إلى أن الواحدة منها ربما كانت الجزء



الصورة 1-1 «جيويه» مصنوع من البرونز ويعود إلى حقبة سلالة شيا، وقد كشفت عنه أعمال التنقيب في إرليتو، يانشي، مقاطعة خهنان؛ من معرض «علم الآثار والاكتشافات» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)


禮在東方

الداخلي والسفلي من قطعة من أداة برونزية. كما تم أيضاً العثور على بواتق لصهر النحاس تظهر عليها آثار الاستخدام المتكرر في منطقة لينرو في مقاطعة خهنان، في موقع ميشان الذي يعود تاريخه إلى أوائل عهد سلالة شيا. والاكتشاف الأهم من بين تلك الاكتشافات حصل في موقع يعود إلى عهد انتقال السلطة من سلالة شيا إلى سلالة شانغ، ويقع في قرية إرليتو (منطقة يانشي، مقاطعة خهنان)، حيث اكتشف علماء الآثار وجود دينغ وجيويه (وعاء نبيذ له ثلاث قوائم وحلقة لحمل شمعة) وجيا (وعاء نبيذ يشبه شكله شكل إبريق الشاي مع وجود ثلاث قوائم أسفله) وفؤوس وخناجر وأجراس وبقايا معامل سبك البرونز تعود إلى تلك الحقبة. كل تلك الاكتشافات أدلة دامغة على أن الصين دخلت العصر البرونزي أثناء عهد سلالة شيا. (الصورتان 1-2، 1-3)



(إلى اليمين) الصورة 1-2 «خه» برونزي يعود إلى حقبة سلالة شيا، وقد كشفت عنه أعمال التنقيب في إرليتو، يانشي، مقاطعة خهنان؛ من معرض «الصين في بداياتها: الفترة التكوينية من الحضارة الصينية» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)

(إلى اليسار) الصورة 1-3 «يويه» برونزي يعود إلى حقبة سلالة شيا. وقد كشفت عنه أعمال التنقيب في إرليتو، يانشي، مقاطعة خهنان؛ من معرض «الصين في بداياتها: الفترة التكوينية من الحضارة الصينية» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)



في القرن السادس عشر قبل الميلاد، اعتلى شيا جيه- آخر أباطرة سلالة شيا- سدة الحكم في البلاد، وسرعان ما اشتهر ببطشه واستبداده. وما كان من تانغ- زعيم قبيلة شانغ التي كانت تعيش على تخوم النهر الأصفر السفلى- إلا أن حمل السلاح، وثار على الإمبراطور الطاغية وانتصر عليه؛ ما أدى إلى نشأة سلالة العبودية الثانية في التاريخ الصيني، وهي سلالة شانغ. شهدت تلك الحقبة المزيد من التقدم في حضارة البرونز، حيث وصلت إلى ذروتها الأولى في أواخر عهد هذه السلالة. وقد ترافق الاستخدام الواسع لأدوات الإنتاج والأسلحة مع تطور المصنوعات البرونزية المستخدمة في الطقوس والشعائر؛ وهي فئة من المصنوعات البرونزية التي تميزت بها الصين القديمة. وظهرت أنواع المصنوعات البرونزية هذه جميعها في تلك الحقبة، حيث صُنِعت بأشكال مهيبة، وكانت مزينة ببراعة وإتقان، وقد تميزت أوعية النبيذ خصوصاً في هذا المجال. كما شهدت الحرف اليدوية الأخرى تقدماً كبيراً، فبرزت الأشكال الأولى الأصلية من الخزف الصيني (البورسلين)، وتوسع حجم المدن ودُفِنت كميات كبيرة من الأدوات البرونزية والأشياء الأخرى في أضرحة مالكي العبيد الأرستقراطيين. وكذلك بدأ نقش الكتابة على البرونز، ويعتبر ذلك من أول أشكال الكتابة المنهجية في التاريخ.

الأدوات والأسلحة البرونزية

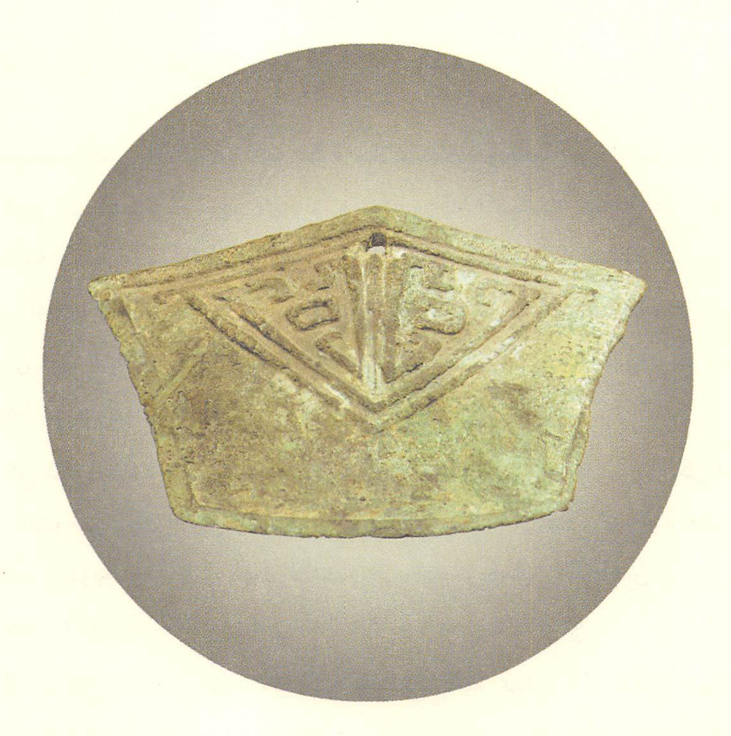
شهدت الصين القديمة أثناء حقبة سلالة شانغ، وخاصة في أواخر تلك الحقبة، تطوراً كبيراً في عمليات صهر البرونز وسبكه. وقد اكتُشفت نماذج من مصنوعات برونزية معدة للشعائر والطقوس في موقع يحتوي على معامل لسبك البرونز، ويعود زمنه إلى أواخر حقبة سلالة شانغ شمال مياوبو في مدينة آنيانغ (مقاطعة خهنان). وقد كانت من بين النماذج المكتشفة هناك قدر دينغ أكبر حتى من قدر دينغ المشهورة الموجودة في هومو وو.

وفي تلك الحقبة التي نشير إليها استمر استخدام الأدوات الحجرية، ولكن استخدام البرونز انتشر في طول الأرض وعرضها، وخاصة في صناعة الأدوات الزراعية ومستلزمات الصناعات اليدوية. وقد أدى ذلك الانتشار إلى تطوير هذين القطاعين، وأرسى قواعد متينة لحضارة البرونز المتطورة التي قامت أثناء حكم سلالة شانغ.

كان الإنتاج الزراعي هو ما يحكم الاقتصاد أثناء عهد سلالة شانغ، حيث كانت أداة تشبه الرفش وتدعى سي تُستخدَم في فلاحة الأرض. وقد بدأ أسلوب الفلاحة هذا الذي يستخدم السي منذ سبعة آلاف سنة على الأقل، أثناء حقبة حضارة يانغشاو في الفترتين الوسطى والمتأخرة من العصر الحجري الحديث، واستمر أثناء فترات حكم سلالات شيا وشانغ وتشو الغربية، وحتى في حقبة الربيع والخريف. ولم يظهر المحراث ومعه الزراعة القائمة على حرث الأرض إلا في وسط حقبة الربيع والخريف وآخرها، وخاصة بعد حقبة الممالك المتحاربة؛ حين بدأ استخدام الأدوات المصنوعة من الحديد والحيوانات في الزراعة.

في أسلوب الزراعة القديم القائم على استخدام الأداة سي، كانت تُستخدَم أداتا زراعة قديمتان هما: لي وسي لقلب التربة وبذرها، حيث كان شخصان يواجهان بعضهما بينما يتحرك أحدهما إلى الخلف أثناء عملية الزراعة. وكانت هذه الطريقة تدعى الزراعة القائمة على التنسيق بين شخصين، وقد سجّلها لنا كتاب: «حوليات الربيع والخريف لليوي: تقويم الشتاء»، حيث ورد فيه ما يلي: «في الشتاء، ينبغي إصدار الأوامر إلى الوزير المسؤول عن الإنتاج الزراعي ليقوم بتسجيل نشاطات الزراعة المنسقة بين شخصين، وإصلاح لي وسي، وتحضير الأدوات الزراعية».





الصورة 1-4 أداة «سي» الزراعية، وهي مصنوعة من البرونز ومزينة بأشكال أقنعة الحيوانات، ويعود زمن صنعها إلى عهد سلالة شانغ. وقد استُخرِجت هذه الأداة البرونزية من أضرحة سلالة شانغ في دايانغتشو، شينغان، مقاطعة جيانغشي (تصوير نيه مينغ)

في العصر الحجري المتأخر، كانت أداتا لي وسي الزراعيتان تُصنعان من الخشب أو الحجارة أو عظام الحيوانات، لكنّ الأمر تطور أثناء حكم سلالتَي شانغ وتشو، فأصبحت هذه الأدوات الزراعية تصنع من البرونز بالإضافة إلى الخشب؛ حيث كان لأداة لي مقبض طويل ينتهي بسنَّين أو بفروع شجر حادة عند طرفه الأسفل. ولكن حين بدأ استخدام البرونز، أصبحت الفروع مكلّلة بأطراف برونزية، أو صارت النهاية المدببة نفسها مصنوعة من البرونز (الصورة 1-4). وبذلك تحسنت الإنتاجية بشكل ملحوظ؛ لأن البرونز مادة متينة ومقاومة للسحج والتآكل. تكتب كلمة لي على العظام والأصداف المنقوشة بالشكل التالي: [illegible]، وهو حرف يشبه تمام الشبه رجلاً واقفاً وهو يمسك بمقبض المحراث بينما يرفع قدمه على طرف أداة لي. لا تزال جدران الأقبية والكهوف المصنوعة من الطين والموجودة غرب قرية شياوتون (مدينة آنيانغ، مقاطعة خهنان) والتي تعود إلى عهد

سلالة شانغ تحمل علامات واضحة لأداة لي، وهو الشكل الذي يبدو كالتالي: ، وهذه الآلة تشبه إلى حد كبير الرفش المستخدم اليوم، سواء أكان ذلك من حيث طريقة استخدامها أم من حيث الآثار التي تتركها.

وكذلك شملت أدوات الزراعة البرونزية في عهد سلالة شانغ أداة جيويه والجاروف. كانت أداة جيويه تُستخدَم للحفر في التربة وقلبها، أي تماماً مثلما يستخدم المعول اليوم. وفي عام 1959، تم العثور على أداة جيويه صُنِعت في وسط حقبة سلالة شانغ في إرليقانغ في مدينة تشنغتشو (مقاطعة خهنان)، كما تمّ العثور على عدد كبير من القوالب الطينية التي كانت تُستعمَل لسبك أدوات جيويه من البرونز في معامل سبك البرونز التي تعود إلى وسط حقبة سلالة شانغ في نانقوانواي في مدينة تشنغتشو. وما يثبته هذان الاكتشافان هو أن أداة جيويه البرونزية كانت تُستخدَم على نطاق واسع، وأن كميات كبيرة منها كانت قد أُنتجت في ذلك الوقت. أما الجاروف- ويعرف باسم «تشيان» أو «ياو»- فهو أداة كانت تُستخدَم لإزالة الأعشاب الضارة من الحقل. وفي عام 1953، تم العثور على جواريف برونزية كانت تُستخدَم في أواخر عهد سلالة شانغ في قرية داسيكونغ في مدينة آنيانغ في مقاطعة خهنان. (الصورة 1-5)



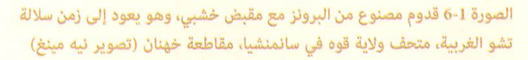
الصورة 1-5 جاروف برونزي ذو مقبض منحوت على شكل رأس ماعز يعود إلى حقبة سلالة شانغ. متحف بكين للفنون المتعددة (تصوير نيه مينغ)

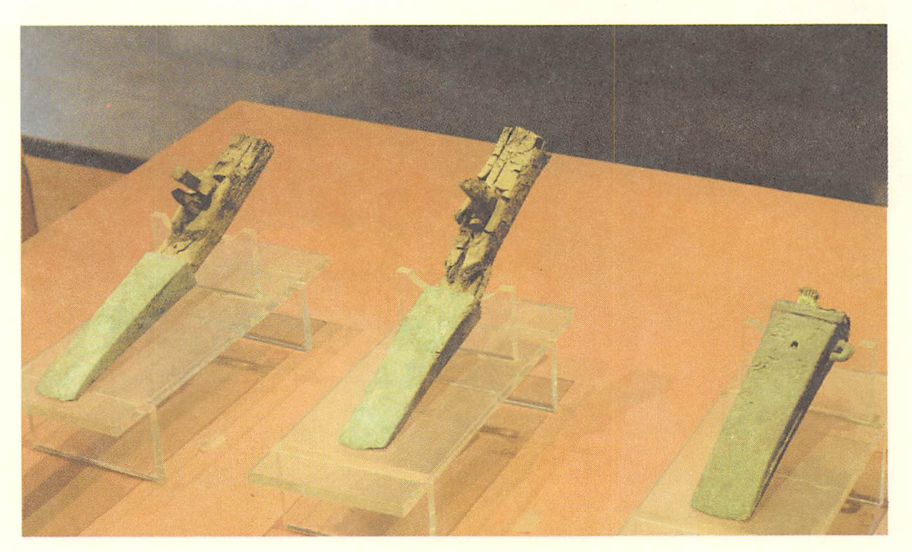
وكان صيد الأسماك والحيوانات أيضاً لا يزال يحتل مكانة مهمة في الحياة الاقتصادية أثناء حقبة سلالة شانغ. وبحسب ما أظهرته الاكتشافات الأثرية، كانت أدوات صيد الأسماك والحيوانات في تلك الحقبة- أي الصنارات والأسهم- تُصنَع من البرونز بالدرجة الأولى.



ولكن، لم ينحصر استخدام الأسهم البرونزية في الصيد، بل كانت تستخدم غالباً كأسلحة.

شملت الأدوات البرونزية المُستخدَمة في الحِرف اليدوية أثناء حقبة سلالة شانغ الفؤوس والمعاول والأزاميل والمناشير والسكاكين (التي كانت تعرف باسم «شياو») والمخاريط والمثاقب وغيرها... وكانت تُستخدَم بالدرجة الأولى لصنع الأدوات والعربات الخشبية. كانت الفأس البرونزية – وهي آلة تستخدم لتقطيع الخشب- مستطيلة الشكل، وكانت تُستخدم بالطريقة نفسها التي تستخدم بها الفؤوس في زمننا المعاصر. وقد كانت لبعض الفؤوس البرونزية مقابض على شكل حلقة من طرفها العلوي؛ كبعض الفؤوس التي تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ، والتي تم العثور عليها في جسر لينغباو الشرقي في مقاطعة خهنان عام 1974. أما القدائم (جمع قدوم) في الصين القديمة فقد كانت تدعى «جين»، وكانت تُستخدَم لتقطيع الخشب وتقسيمه كما هي الحال في أدوات المساحج المستخدمة اليوم (الصورة 1-6). وفي عام 1976، تم اكتشاف قدائم تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ في ضريح فو هاو في خرائب يين (في مدينة آنيانغ، مقاطعة خهنان). أما المناشير المصنوعة من البرونز فقد كانت تستخدم لقطع الخشب والعظام، وكان شكلها يشبه السكين؛ كالمناشير التي اكتُشِفت في قرية تايشي، مدينة قاوتشنغ،


الصورة 1-6 قدوم مصنوع من البرونز مع مقبض خشبي، وهو يعود إلى زمن سلالة تشو الغربية، متحف ولاية قوه في سانمنشيا، مقاطعة خهنان (تصوير نيه مينغ)

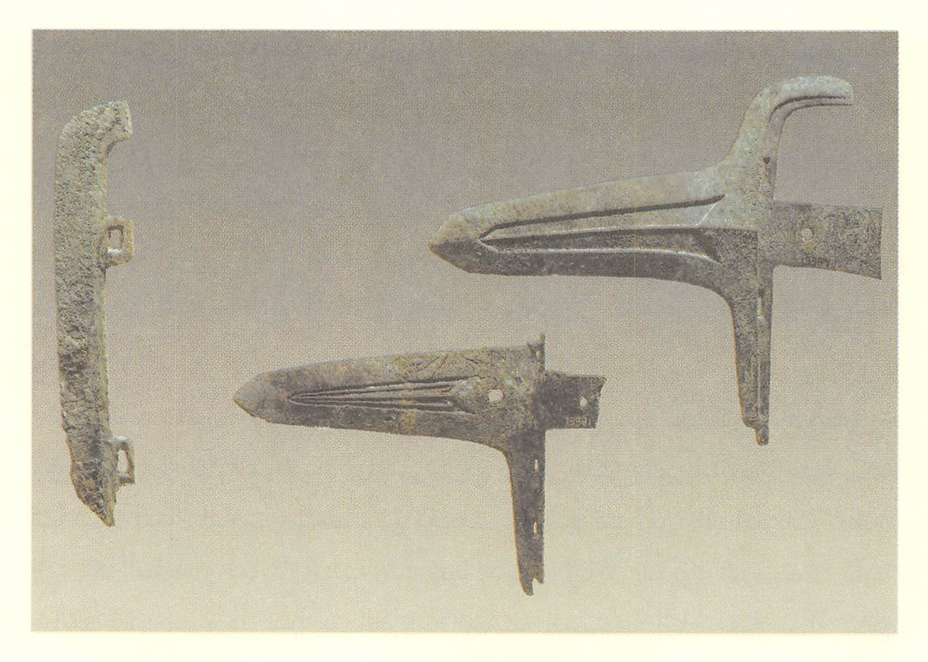


محافظة خهبي. كانت السكاكين الصغيرة تدعى «شياو»، وكان جانبها الخلفي مقعراً، كما كانت حافتها مقوسة، مع مقبض مستقيم في طرفها. وقد تم استخراج سكين برونزية من ذلك النوع من ضريح فو هاو تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ. أما المخاريط البرونزية فقد كانت تُستخدَم لصنع الثقوب، وقد اكتشف مخروط برونزي بدائي في قرية إرليتو في مقاطعة يانشي. كانت هذه الأدوات المصنوعة من البرونز أكثر متانة واستمرارية من نظيرتها المصنوعة من الحجارة؛ ولذلك حسنت من الإنتاجية ولاقت رواجاً واسعاً بين الناس.

وكذلك تطورت صناعة العربات بشكل هائل. فبحسب «كتاب الأنساب: الحرفية» وغيره من السجلات التاريخية، كان شي تشونغ هو مَن اخترع العربات أثناء حقبة سلالة شيا. لكن أعمال البحث والتنقيب لم تكشف عن عدد كبير من تلك العربات العائدة إلى تلك الحقبة، وربما كان سبب ذلك فترة التحلل والتآكل الطويلة التي مضت عليها. وبالمقابل، نجد عدداً كبيراً من العربات الخشبية المصنوعة أثناء حقبة سلالة شانغ، وعلى أساسها تمكّنّا من تصوّر شكلها الأصلي. في ذلك الوقت، كان حصانان يجران العربة، بينما كان السائق يجلس في المقصورة المربعة الموجودة خلف مقابض العربة ومحاورها. وكانت المركبة الخشبية في العربة والأحصنة التي تجرها تُزيَّن جميعها بقطع وزخارف مصنوعة من البرونز، وذلك لتعزيز جمال العربة ومتانتها، وهو ما يدعى «بمستلزمات العربة»، وتشمل أدوات مثل وي، ومستلزمات تجميلية على النير، ويويه وتشونغ (العارضة المستخدمة لربط الأحصنة بالنير)، وشيان وبياو، والمسامير البرونزية.

سنُبيِّن الآن ماهية الأدوات التي كانت مُلحَقة بالعربة، والتي ذكرنا أسماءها الصينية في الفقرة الماضية: أداة وي البرونزية؛ وهي أسطوانة توضع عند طرفي محور الدولاب لمنع دواليب العربة من السقوط. وفي أول الأمر، كان يُحكَم تثبيتها بالمحاور بواسطة مسمار خشبي، ثم صارت المسامير تصنع من البرونز مع حلول زمن سلالة تشو الغربية. أما أداة يويه البرونزية فقد كانت تُثبَّت على دعامة العربة كنوع من أنواع الزينة، وقد تم اكتشاف عدد منها نُحِت على شكل رؤوس الحيوانات في قرية شياوتون في مدينة آنيانغ، مقاطعة خهنان. وكانت أداة تشونغ البرونزية توضع على طرف دعامة العربة كنوع من أنواع الحماية. أما نير العربة فقد كان يُصنَع من كل من الخشب والبرونز، ويتخذ شكلاً مزدوجاً يشبه الهيكل العظمي لسمكة الرنكة. أما هيكل النير- الذي كان





الصورة 1-7 سكين وخنجران مصنوعة من البرونز وتعود إلى عهد سلالة شانغ، وقد تم استخراجها من دايانغتشو في شينغان في مقاطعة جيانغشي (تصوير نيه مينغ)

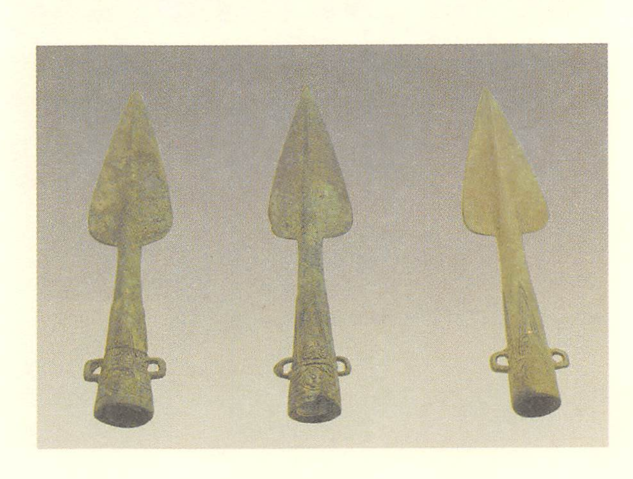
يُطلَق عليه اسم «تشيوي»- فقد كان يُصنَع من قطعتين من الخشب المقوّس، حيث كانت تغطي أعلى كل منهما أطراف وحلقات من البرونز، فضلاً عن وجود قائمة برونزية عند الطرف منحنية إلى الأعلى لجعل الهيكل أكثر متانة وتحمُّلاً. أما شكيمة الحصان (التي كانت تدعى شيان) فقد كانت تُصنَع بربط قضيبين من البرونز معاً بواسطة حلقة عند كل طرف، وتوضَع داخل فم الحصان أفقياً حيث تكون الحلقتان خارج فم الحصان ومثبتتن في اللجام (الذي يدعى بياو)، ثم تُربَط برسن الحصان كي يتمكن السائق من كبح جماحه بفعالية. وفي عهد سلالة شانغ، كان رأس الحصان يُربَط بأربطة تشكّل معاً اللجام، وكانت هذه الأربطة مزينة بمسامير وأصداف مصنوعة من البرونز، وقد تطورت المسامير البرونزية التي كانت تُستخدَم لتزيين رؤوس الأحصنة إلى «زينة دانغ لو للُجُم الأحصنة» في عهد سلالة تشو الغربية.

كانت العربات تُستخدَم في الحروب والصيد والتنقل حتى في زمن سلالة شانغ. وكانت العربات الحربية في الصين القديمة تحمل شخصين أو ثلاثة يقفون جميعهم في

العربة، حيث كان الواقف في الوسط يدعى «قائد العربة». وكما يوحي الاسم، كان هو الشخص المسؤول عن قيادة العربة، أما الشخص الواقف إلى اليسار فقد كان القائد، في حين أن الشخص الثالث محارب عادي. وكانت العربات الصينية القديمة من الاختراعات العبقرية التي توصّل إليها الشعب الصيني، وتتميز بصفات صينية مميزة، وتعتبر من العلامات الفارقة في الحضارة الصينية القديمة.

حاول ملوك سلالة شانغ والنبلاء المحيطون بهم ترسيخ قواعد حكمهم عبر اختراع عدد كبير من الأسلحة، وعبر توظيف أكثر تقنيات صناعة البرونز تطوراً في ذلك الزمن. وقد كشفت أعمال التنقيب التي قام بها علماء الآثار عن أسلحة برونزية كثيرة ترجع إلى تلك الحقبة مثل قه، ماو، جي، داو، يويه، تشي، تسو، تشوه وعصي الأقواس. (الصورتان 1-7، 1-8)

أصبحت الأسلحة البرونزية المصنوعة خلال حقبة سلالة شانغ أكثر حدة ومتانة وأطول بقاء من تلك التي كانت تصنع من الحجارة. وبالإضافة إلى ذلك، صارت تُصنع بكميات أكبر من أي وقت مضى. وعلى سبيل المثال، تم اكتشاف 722 قه برونزية، ورزم من الماو (الرماح) البرونزية يصل عددها إلى 731، و141 تشو برونزية في ضريح يعود إلى عهد سلالة شانغ في خرائب يين في مدينة آنيانغ، وقد كانت جميع هذه الأسلحة مجموعة معاً، ويُشير عددها إلى قوة التسليح أثناء حقبة سلالة شانغ. وبحسب ما أوردته النقوش على العظام وأصداف السلاحف، كان من الممكن لملك شانغ أن يزج بحوالي 3000 أو حتى 5000 جندي في القتال حين يحشد جيشه.



الصورة 1-8 رماح برونزية تعود إلى عهد سلالة تشانغ، وقد تم اكتشافها في أضرحة شانغ في تشيجياتشوانغ في مدينة آنيانغ. وتم حفظها في متحف آنيانغ في مقاطعة خهنان (تصوير نيه مينغ)



سنقوم في الفقرات التالية بتبيان ماهية الأسلحة البرونزية التي كانت موجودة في عهد سلالة شانغ والتي ذكرنا أسماءها في الفقرات السابقة.

قه- أو الفأس ذات الخنجر- هو أهم الأسلحة البرونزية في الصين القديمة، ولعله تطور من المناجل الحجرية. ويتميز هذا السلاح بطرفه البرونزي المثبت على قضيب خشبي يصل طوله إلى متر واحد، ويغلف طرفه في بعض الأحيان بغطاء برونزي أيضاً. كان سلاح قه يُستخدَم أحياناً للطعن، ولكن استخدامه الغالب والأفضل هو لضرب العدو بشفرته من الزاوية بهدف قتله، وقد أعطاه هذا الاستخدام اسماً آخر هو: «قوه بينغ» ويعني «خطاف المحارب». الطرف الأمامي من سلاح «قه» هو شفرته، أما قسمه الخلفي فيدعى «ني»، وهو النتوء المستخدم لتثبيت الشفرة على المقبض. وثمة أنواع كثيرة من سلاح قه البرونزي ومنها: قه ذو ني مستقيم، وقه ذو ني منحنٍ، وقه مثقوب لوضع المقبض من خلاله، وقه ذو شفرة مثلثة. وفي أواخر عهد سلالة شانغ، ظهر قه مع ذيل إضافي قصير تحت القسم الخلفي من الشفرة (ويدعى ذلك الذيل هو) ويُعتبر من الأسلحة التي تميزت بها الصين القديمة. ونجد كذلك النقش: على البرونز الذي يعود إلى تلك الحقبة، وهو حرف يعكس صورة حية لمحارب يحمل قه برونزياً بيده. (الصورة 1-9)



الصورة 1-9 فؤوس ذات خناجر برونزية من عهد سلالة شانغ، تم اكتشافها في أضرحة شانغ في تشيجياتشوانغ في مدينة آنيانغ. وقد تم حفظها في متحف آنيانغ في مقاطعة خهنان (تصوير نيه مينغ)

الصورة 1-10 سلاح «شياو» برونزي يرجع إلى سلالة شانغ، وقد تم اكتشافه في موقع مدن شانغ في تشنغتشو. وتم حفظه في متحف تشنغتشو في مقاطعة خهنان (تصوير نيه مينغ)

أما سلاح ماو، أو الرمح، فيستخدم لطعن العدو، ويدعى أيضاً «تسيبينغ»، أي «طعن المحارب». تنقسم الرماح البرونزية التي تعود إلى حقبة سلالة شانغ إلى قسمين: الرماح ذات الوسط المقعر ورأس الحربة العريض، والرماح ذات رأس الحربة المخروطي والطرف الأسفل المستدير.

أما جي، أو المطرد، فيجمع بين خصائص الفأس ذي الخنجر والرمح، ويمكن استخدامه كخطاف وكأداة طعن. يعتبر المطرد البرونزي الذي تم اكتشافه في قرية تايشي، مدينة قاوتشنغ، محافظة خهبي، والذي يعود إلى أواخر حقبة سلالة شانغ أقدمَ مطرد تم اكتشافه حتى الساعة.

سلاح داو (أو شياو)، أي السيف، هو سلاح يستخدم للتقطيع. بعض السيوف كبيرة، ولها شفرة عريضة تتجه إلى الأسفل، مع نتوءات بارزة لتفصل بين النقوش التزيينية في جانبها الخلفي. لقد تم العثور على سيف برونزي في خرائب يين في مدينة آنيانغ. (الصورة 1-10)

أما يويه، أو البلطة القتالية، فتتميز بشفرتها العريضة والمقوسة، وتستخدم لتمزيق العدو سواء أتم استعمالها كسلاح للقتال أم كأداة تعذيب، ونجد الرمز 𠂤 محفوراً على المصنوعات البرونزية في أواخر حقبة سلالة شانغ، ويُظهِر قطع رأس شخص ما باستخدام سلاح يويه. بعض البلطات القتالية كبيرة ومصنوعة بإتقان لترمز إلى بأس الملك، وقوة أتباعه في القتال، وقدرتهم على تدمير الخصوم. على سبيل المثال، إن لسلاح يويه الذي تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، جانبين مسطحين مع فتحتين مستطيلتين فيهما ومقبض مستقيم، حيث يظهر على القسم الأمامي من هيكله

نمران تائقان إلى التهام رأس إنسان موضوع في الوسط بين فميهما الفاغرين، بينما نُقِشت الحروف «妇好» على أحد جانبي هيكله. (الصورتان 1-11، 1-12)

علينا أن نوضّح أيضاً أنه قد تم العثور على بلطات قتالية برونزية ذات شفرات حديدية تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ في قرية تايشي، مدينة قاوتشنغ، في مقاطعة خهبي، وكذلك في قرية ليوجياخه، في منطقة بينقو في بكين. وقد كانت البلطات القتالية البرونزية مزينة بصفين من الأشكال المنقوشة (الصورة 1-13)، وكانت الشفرات مشوهةً،



(الأعلى) الصورة 1-11 «يويه» فو هاو الذي يعود إلى حقبة سلالة شانغ، وهو محفوظ في معهد أبحاث علم الآثار في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، وقد تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين في آنيانغ في خهنان، وهو معروض في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)

(الأسفل) الصورة 1-12 نقوش تزيينية على «يويه» فو هاو تعود إلى عهد سلالة شانغ، تم العثور عليه في آنيانغ في خهنان، من معرض «علم الآثار والاكتشافات» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)





الصورة 1-13 سلاح «يويه» برونزي ذو شفرة حديدية، ويعود إلى أواسط عهد سلالة شانغ. تم استخراجه من ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1978. وهو محفوظ في متحف الصين الوطني

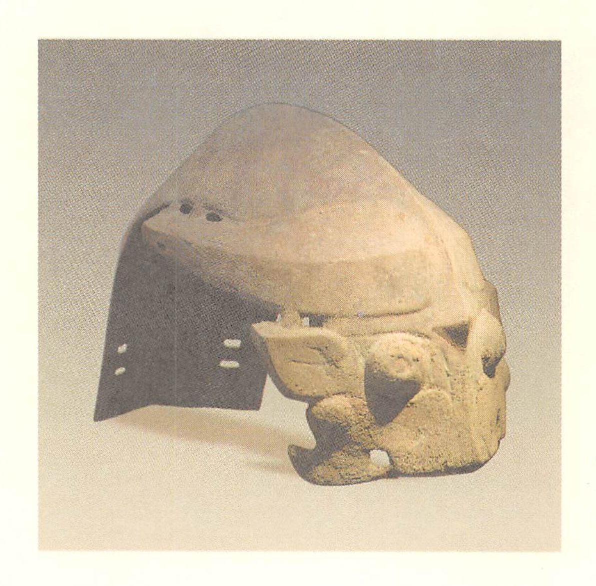


وتشير الشواهد إلى أنه قد تمت قولبتها عبر ضربها وتشكيلها من الحديد النيزكي؛ ما يظهر أن الشعب الصيني كان قد بدأ باستخدام الحديد النيزكي منذ حقبة سلالة شانغ.

إن الهدف من استعمال القوس والسهم هو إصابة الأعداء من مسافات بعيدة، وهما يصنعان من الخيزران ما يجعل الحفاظ عليهما لمدة طويلة أمراً صعباً. ولكن نصال الأسهم (التي تسمى تسو) كانت تصنع من البرونز، وتتميز بأجنحتها العريضة المزدوجة، وهي بطبيعتها أسلحة استهلاكية. وإن استخدامها في حقبة سلالة شانغ يدل بحد ذاته على أن البرونز كان يصنع بكميات كبيرة في ذلك الوقت.

أمّا كلمة تشو فتشير إلى الخوذة البرونزية التي كانت تُستخدم لحماية رأس المحارب، وقد تم التنقيب عن عدد منها يعود إلى حقبة سلالة شانغ في خرائب يين في مدينة آنيانغ. وتظهر صورة نمر محفورة على تلك الخوذ التي يوجد في القسم العلوي من بعضها أنبوب مستدير لوضع شرّابة من الحرير أو الزهور فيه. (الصورة 1-14)

كما تم اكتشاف عدد من الدروع التي تعود إلى حقبة سلالة شانغ في خرائب يين في مدينة آنيانغ. الدروع المكتشفة لها شكل رباعي شبه منحرف، ويحيط بها إطار خشبي، ولديها مقبض مثبت وسط جانبها الخلفي، كما يغطيها الفرو المزين برسوم تشبه جلد النمر.



الصورة 1-14 خوذة برونزية عليها نقوش لوجوه الحيوانات، وهي تعود إلى حقبة سلالة شانغ. هذه الخوذة محفوظة في متحف بكين للفنون المتعددة (تصوير نيه مينغ)

| نغمة الأسرار - أوعية الطقوس الدينية والآلات الموسيقية المصنوعة من البرونز

لم يقتصر استخدام البرونز على صناعة الأدوات والأسلحة أثناء حقبتَي سلالتَي شانغ وتشو، بل على إنتاج أعداد كبيرة من مستلزمات الحياة اليومية التي يحتاج إليها مالكو العبيد أيضاً. ولم تكن المصنوعات البرونزية التي استخدمها مالكو العبيد أولئك في طقوس تقديم الأضحيات وفي الولائم ولتقديم الاحترام للملوك وأثناء الجنازات ودفن الموتى مجرد أوعية، بل كانت ترمز إلى هوية صاحبها وطبقته الاجتماعية؛ فكما وثَّق لنا كتاب «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة الخامسة للدوق يين من لو»، لقد استُخدمت المصنوعات البرونزية «للتمييز بين نبلاء الناس وبسطائهم، وعلية القوم وأراذلهم». أي كانت تُمثِّل سلطة صاحبها ووضعه كشخص ينتمي إلى طبقة النبلاء، كما كانت تجسيداً لطقوس ذلك الزمن وشعائره، أو كما عبّر عن ذلك كتاب حوليات تسوه نفسه بقوله: «الحفاظ على الشعائر في الأواني». لذلك، كانت هذه الفئة من المصنوعات البرونزية تُصنَّف كمصنوعات برونزية شعائرية، أو كمصنوعات برونزية في طقوس تقديم القرابين والأضاحي.

كانت المصنوعات البرونزية الشعائرية المتقدمة في تصميمها المميز وجمالها الأخاذ من السمات الرئيسة التي ميّزت صناعة البرونز في الصين عموماً عنها في أي بلد آخر. ويرجع ازدهار هذه الفئة من المصنوعات البرونزية إلى النظام العشائري الأبوي الذي اتسمت به الحضارة الصينية أثناء عهود سلالات شيا وشانغ وتشو من ناحية، وإلى تطور أساليب صهر البرونز وسبكه في الصين القديمة من ناحية أخرى.

وإذا كانت لهذه الاكتشافات أي دلالة، فهي تثبت وبقوة أن حضارة الصين البرونزية إنما نشأت ضمن الصين نفسها دون تأثير خارجي، وأن الأقاويل التي تعزو نشأة هذه الصناعات إلى مصادر أجنبية من خارج الصين لا أساس لها من الصحة.

لقد ظهرت المصنوعات البرونزية الشعائرية للمرة الأولى في الصين أثناء حقبة سلالة شيا، ووصلت إلى مرحلة النضج أثناء حقبة سلالة شانغ، وخاصة في أواخر تلك الحقبة حين بدأ صنع الفئات الأساسية من المصنوعات البرونزية الشعائرية، والتي تشمل أواني الطعام والنبيذ والماء، والأدوات الموسيقية.



الصورة 1-15 قدر «دينغ» برونزية منحوتة عليها أشكال أقنعة الحيوانات، ويعود زمن صناعتها إلى أواسط حقبة سلالة شانغ. وقد تم العثور عليها في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفَظ بها في متحف العاصمة.

كانت القدر من نوع «دينغ» أهم أوعية الطعام في الصين القديمة. وقد صُمِّمت لتحاكي نموذج القدر ثلاثية القوائم المصنوعة من الفخار. عادة، يكون «جوف» القدر مستديراً، كما لها أربع قوائم، أو بعض القوائم المغطاة بالقماش (الصورة 1-15). كانت قدور الدينغ تُستخدَم للطبخ أو لتخزين اللحوم، كما كانت تُعتبَر حاوياتِ الطعام الرئيسة في الصين القديمة، وكانت من الأدوات الشعائرية الأساسية في طقوس تقديم القرابين ومراسم تقديم الاحترام للملوك والولائم والجنازات ودفن الموتى، ولذلك كانتِ الدينغ أكثر المصنوعات البرونزية أهمية.

وثّقت كتب تاريخية مثل كتاب «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة الثالثة من

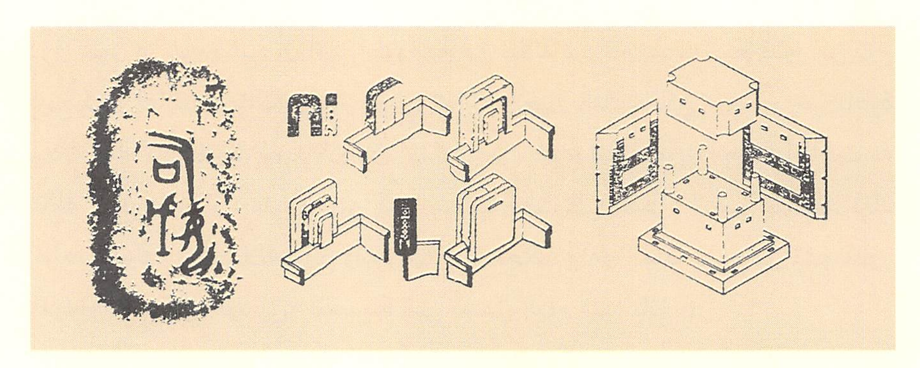
دوق شون من لو» وغيره أنّ الإمبراطور يوي من سلالة شيا قام بسبك تسع قدور من نوع دينغ كرمز لعائلته المالكة، وككنز قومي تتوارثه الأجيال التالية. لكنّ «جيه»- آخر أباطرة سلالة شيا- كان طاغية فاسد الأخلاق، فتسبب في ضياع إمبراطوريته؛ حيث أطاحت به عائلة شانغ واستولت على العرش كما استولت أيضاً على القدور التسع. ثم بعد ذلك أطاحت دولة تشو بسلالة شانغ واستولت على الحكم، ونقل الملك تشنغ من تشو قدور الدينغ التسع إلى «لوه يي» (المدينة التي تسمى اليوم «لوه يانغ»).

كما ورد في كتاب «حوليات الربيع والخريف لتسوه» أنه في السنة الأولى من حكم الملك دينغ من تشو (Zhou) في حقبة الربيع والخريف (حوالي 606 قبل الميلاد)، قام الملك تشوانغ من تشو (Chu) بالهجوم على دولة رونغ التي كان لو هو يسيطر عليها. وبعد ذلك قام تشوانغ بنشر قواته في «لوه يي». أرسل الملك دينغ من تشو (Zhou) أحد وزرائه، ويدعى «وانغ سون مان»، ليقدم الجوائز والخدمات للملك تشوانغ، لكن ذلك الأخير استغل الفرصة ليسأل الوزير عن «حجم قدور الدينغ التسع البرونزية وأوزانها»، فجاء رد الوزير سريعاً وحاسماً؛ إذ قال له: «مع أن سلطة سلالة تشو قد شهدت بعض التراجع، إلا أن مشيئة السماء لم تتغير. لذا لا ينبغي لأحد أن يسأل عن وزن قدور دينغ التسع». كانت هذه القصة هي أسطورة «ون دينغ» الشهيرة (الاستعلام عن الدينغ).



الصورة 1-16 دينغ هومو وو تعود إلى حقبة سلالة شانغ

أقدم قدور دينغ البرونزية التي تم اكتشافها حتى الساعة هي تلك المصنوعة في أوائل عهد سلالة شانغ، والتي عُثِر عليها في قرية إرليتو في منطقة يانشي، مقاطعة خهنان. ويحمل الجانب الداخلي من «دينغ هومو وو» التي تم العثور عليها في قرية ووقوان



الصورة 1-17 دينغ هومو وو تعود إلى حقبة سلالة شانغ (تصوير خه شين فنغ)

في خرائب يين في مدينة آيانغ، والتي تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ النقوش التالية: 后母戊، ويمكننا أن نستنتج منها أن هذه المصنوعات البرونزية كانت من صنع الملك تسو قنغ أو تسو جيا من سلالة شانغ، وكانت مخصصة لتقدمة الأضاحي إلى أمهما وو. إن هذه أثقل قطعة برونزية تم العثور عليها؛ سواء أكان ذلك بين الآثار الصينية القديمة أو حتى في العالم ككل، وهي تجسّد مدى تقدم الصين القديمة في صهر البرونز وسبكه، والإبداع والحكمة مُنقطعَي النظير اللذين كان الشعب الصيني القديم يتمتع بهما. (الصورتان 1-16، 1-17)

تشمل أنواع أوعية الطعام التي تعود إلى عهد سلالة شانغما يلي: قوي، لي، يان، دو.

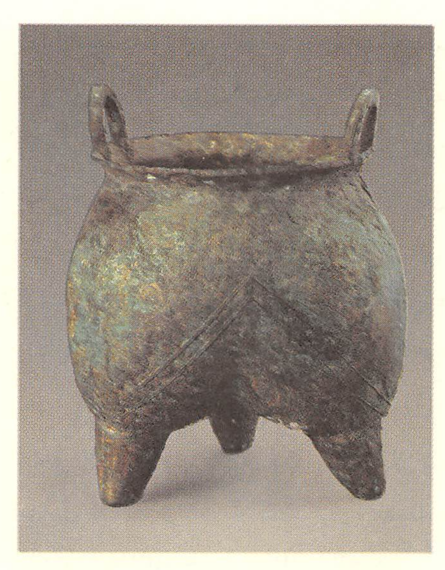
قوي وعاء لحمل الدخن والذرة، وأنواع الطعام الأخرى. كما أنه من أوعية الطقوس المهمة التي كثيراً ما تستخدم بالترافق مع قدور دينغ. بدأ ظهور أوعية قوي البرونزية في وسط عهد سلالة شانغ، ويشبه شكلها شكل القصعة العميقة كما نعرفه اليوم. وقد كانت بعض أوعية قوي البرونزية التي تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ مزينة بأشكال معقدة ودقيقة تشمل وجوه الحيوانات، كما زُيِّنَت بنقوش متشابكة تجسد الغيوم والرعد وغيرها من الأشكال.

معظم الأوعية من نوع لي هي في الواقع أوانٍ كان الناس في حقبة شانغ يستخدمونها في حياتهم اليومية لطبخ الأرز وتخزينه. كما كانت طبقة النبلاء تستخدم هذه الأواني في الشعائر والمراسم، وقد ظهرت للمرة الأولى في أواسط حقبة سلالة شانغ. (الصورة 1-18)

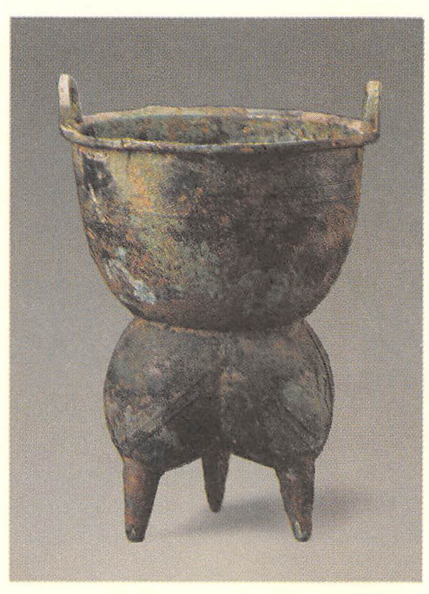
أما يان، فقد كان وعاء للطبخ على البخار يشبه مرجل الطهي بالبخار الموجود اليوم، ويتألف من مخزن للماء يدعى لي يوجد أعلاه إناء مخصص لوضع الأرز ويدعى تسنغ، مع مشبكات برونزية ملصقة أسفله. وقد بدأ الناس بصناعة أوعية من طراز يان في أواسط حقبة سلالة شانغ من خلال الجمع بين تسنغ ولي في عملية سبك واحدة (الصورة 1-19). وفي عام 1976، تم اكتشاف يان ثلاثي في ضريح فو هاو في خرائب يين في مدينة آنيانغ. ويتألف هذا اليان من ثلاثة تسنغ ولي مستطيل واحد، فكانت النتيجة حاوية ضخمة تستخدم لطهي ثلاثة أصناف من الطعام بالبخار في الوقت ذاته، ولا شك في أن هذا التصميم نادر بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ!

أما «دو»، فقد كان يستخدم لتقديم أطعمة مثل المخللات وعجين اللحوم، ويتألف من قرص يقبع في أعلى ساق طويلة. لم تظهر أواني دو في حقبة سلالة شانغ إلا نادراً، ولم تظهر إلا في أواخر تلك الحقبة.

دوّنت لنا السجلات التريخية أن يي دي- أو دو كانغ- من سلالة شيا كان أول من اخترع النبيذ في الصين. أما الاكتشافات الأثرية فتدل على أن أصل صناعة النبيذ



الصورة 1-18 «لي» برونزي نُقِشت عليه أنماط مستقيمة، وقد تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفَظ به في متحف العاصمة



الصورة 1-19 «يان» برونزي نُقِشت عليه أشكال مستقيمة، وقد تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفَظ به في متحف العاصمة



في الصين يعود إلى العصر الحجري الحديث، حيث تم الكشف عن أوعية نبيذ فخارية تعود إلى ذلك الزمن. النبيذ من الأشربة المهمة في الصين، وهو يُصنَع من خلال تخمير الحبوب أو الفواكه، وقد أصبح يلعب دوراً مهماً في الحياة اليومية والاجتماعية في الصين، لذلك يعتبر تاريخ بدء صناعته من العلامات الفارقة في التاريخ الصيني؛ فقد دوَّنت السجلات التاريخية إفراط الناس في شرب النبيذ في حقبة شانغ، وكيف أن هذا الإدمان استمر خلال حكم الملك تشو من سلالة شانغ؛ فقد كان ذلك الملك يمضي ليله ونهاره في «بِرْكة من النبيذ وغابة من اللحوم» اللتين صُنعتا بناء على أوامره!

وأظهرت الأدلة التي توصَّل إليها علماء الآثار أن أوعية النبيذ من بين الأشياء التي ترافق الميت عند دفنه، وقد كان ذلك شائعاً في ذلك الوقت. كما تم اكتشاف بقايا معامل للنبيذ في قرية تايشي في مدينة قاوتشنغ، مقاطعة خهبي. إن هذه الظروف الاجتماعية أثناء حقبة سلالة شانغ مهدت الطريق أمام تطور نوعية جيدة من أوعية النبيذ البرونزية وتشمل الأنواع التالية: جيويه (تكتب بالطريقة التالية: 爵)، وجيويه (تكتب بالطريقة التالية: 角)، وقو، وتشي، وجيا، وقونغ.



الصورة 1-20 «جيويه» 爵 برونزية تعود إلى عهد سلالة شانغ. وقد تم العثور عليها في ضريح فو هاو في خرائب يين، آنيانغ، مقاطعة خهنان عام 1976، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

«جيويه» (爵) اسم عامّ لأوعية شرب الخمر القديمة، ولكنه إذا استُخدِم كاسم علم فهو يشير إلى قدح الشراب ذي الفم البوقي الواسع، والجوف المستدير، والأطراف المقوسة بعض الشيء والذي يُستخدم لصب النبيذ. وتمتد حافة فم القدح باتجاهين، وهناك مقبض على طرف جوفه، ويقف القدح بكامله على ثلاث قوائم تشبه شفرات السكين. وتُصنَع بعض هذه الأقداح بدون وجود فوهة ممتدة باتجاهين أو باتجاه واحد فقط، كما يُصنَع بعضها على شكل مربع وذي أربع قوائم، وبعضها يُصنَع مع غطاء له.

لقد تم العثور على عدد من أقداح جيويه البرونزية التي تعود إلى أوائل حقبة سلالة شانغ من قرية إرليتو، منطقة يانشي، مقاطعة خهنان. كما تم استخراج أربعين منها من ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، وكان أحدها - وهو كبير في الحجم- مزيناً بنقوش دقيقة تصوّر الطيور والحيوانات. (الصورة 1-20)

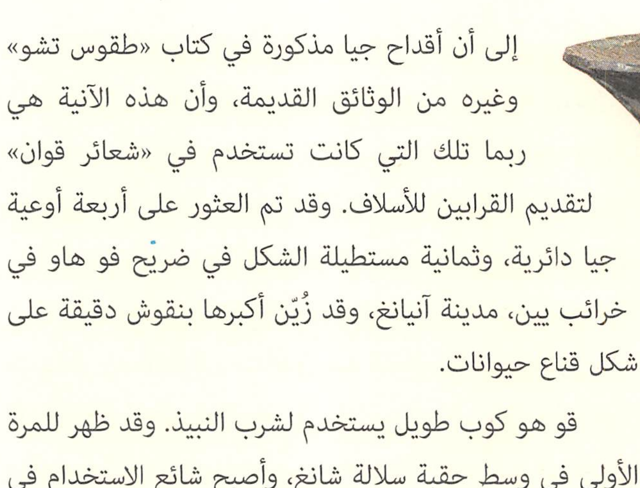
أما قدح جيويه (角) فقد ظهر في أواسط عهد سلالة شانغ، ولم يصنع إلا عدد قليل منه. وهو أيضاً قدح لشرب النبيذ يشبه قدح جيويه (爵) الآخر، وفوهته غير متمددة، ولديه طرفان متقابلان عند فتحته. وقد تم العثور على جيويه برونزي من هذا النوع منحوت على شكل ثور في خرائب يين في مدينة آنيانغ، وكان لديه غطاء، ومقبض مثقوب من أحد جانبيه، حيث يمكن ربط خيط أو حبل دقيق فيه.

يشبه جيا النوع الأول من أقداح جيويه (爵)، ولكنه أكبر حجماً (الصورة 1-21)، وقد أشار وانغ قوه وي في كتابه «أعمال وانغ قوان تانغ الكاملة: مقالة حول جيا»



الصورة 1-21 «جيا» برونزية مع أنماط «تاوتيه» تعود إلى عهد سلالة شانغ، تم العثور عليها في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، وهي محفوظة في متحف العاصمة





الصورة 1-22 «قو» برونزي من عهد سلالة شانغ. وقد تم اختياره من محطة المؤن في شاخه في منطقة شانغبينغ، بكين عام 1982، وهو محفوظ في متحف العاصمة

إلى أن أقداح جيا مذكورة في كتاب «طقوس تشو» وغيره من الوثائق القديمة، وأن هذه الآنية هي ربما تلك التي كانت تستخدم في «شعائر قوان» لتقديم القرابين للأسلاف. وقد تم العثور على أربعة أوعية جيا دائرية، وثمانية مستطيلة الشكل في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، وقد زُيّن أكبرها بنقوش دقيقة على شكل قناع حيوانات.

قو هو كوب طويل يستخدم لشرب النبيذ. وقد ظهر للمرة الأولى في وسط حقبة سلالة شانغ، وأصبح شائع الاستخدام في أواخر تلك الحقبة، حيث ما كان يستخدم عادة مع الجيويه (الصورة 1-22). وقد تم العثور على 53 قو برونزي في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ.

تشبه تشي زجاجات النبيذ التي نعرفها اليوم، وقد بدأت بالظهور في أواخر عهد سلالة شانغ.

أما قونغ، وهو أكبر أوعية شرب النبيذ، فقد اتسم بشكله البيضاوي أو المستطيل، وجمال تصميمه الشامل لنقوش دقيقة ومعقدة الشكل. وقد ظهر قونغ للمرة الأولى في أواخر عهد سلالة شانغ، وتم العثور على ثمانية منه في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ. وكان كل اثنين من تلك الثمانية مصنوعين معاً، ومصممين بطريقة جميلة تدل على عبقرية صانعيها (الصورة 1-23). وفي عام 1959، تم العثور على قونغ مصمم على شكل تنين في قرية تاوهوا، منطقة شيلو، مقاطعة شانشي؛ حيث صُمِّم الوعاء على شكل قرن ثور يوجد أعلاه تنين مرفوع الرأس ذو قرنين متنافرين وأسنان بارزة؛ وقد زُيِّن هيكل هذا القونغ بنقوش بديعة وفريدة تصور التنين وتوه (التمساح الصيني).

تسون هو الاسم العام للأوعية التي يُحفظ فيها النبيذ، وكذلك للأوعية المستخدمة



الصورة 1-23 «قونغ» برونزي يعود إلى حقبة سلالة شانغ، وقد تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين في آنيانغ، مقاطعة خهنان (تصوير شو مي)

في تقديم القرابين، ولكنه أيضاً مصطلح يشير إلى نوع خاص من أوعية النبيذ المستخدمة في تقديم القرابين، والتي تتميز بكونها طويلة وأنيقة الزينة، وقد صُنعت بكميات كبيرة. تعتبر أوعية تسون في غاية الأهمية، بل لا يفوقها أي نوع من الأواني في الأهمية إلا قدور دينغ التي أشرنا إليها سابقاً. ويوجد نوع آخر من التسون الذي يشبه في تصميم هيكله العام أشكال بعض الحيوانات والطيور مثل البومات والفيلة والثيران والخراف، وتعرف هذه باسم: تسون الطيور والحيوانات. ظهرت أولى أواني تسون في منتصف حقبة سلالة شانغ، وشاع استخدامها مع أواخر تلك الحقبة. وقد تم العثور على عشرة منها في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ؛ منها خمسة أسطوانية الشكل، وثلاثة مربعة، واثنتان على شكل بومة (الصورتان 1-24، 1-25). كما تمّ أيضاً العثور على تسون وحيد قرن شياوتشن يو، ويعود تاريخه إلى أواخر حقبة شانغ في منطقة





الصورة 1-24 «تسون» على شكل بومة، وهو يعود إلى حقبة سلالة شانغ. تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين، آنيانغ، مقاطعة خهنان عام 1976. وقد نقش على طرف فمه الحروف: «»؛ من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)



الصورة 1-25 «تسون» برونزي من حقبة سلالة شانغ، تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين، آنيانغ، مقاطعة خهنان عام 1976، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

ليانغشان، مقاطعة شاندونغ، ويبدو شكله وكأنه وحيد قرن مزدوج القرنين يقف على الأرض، ما يجعله غاية في الروعة والإبداع.

أما «يو»، فهو وعاء مصمم خصيصاً لحفظ النبيذ المعطر المخصص للطقوس الشعائرية. وبحسب ما تبين من الاكتشافات الأثرية، لم تظهر أوعية «يو» إلا في أواخر عهد سلالة شانغ، وعادة ما تترافق مع أوعية تسون، وتتميز بمقبضيها الدائريين الموجودين على جانبي فتحة الوعاء. كانت الأوعية من نوع «يو» التي استُخرجت من ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، موجودةً في مجموعات تتألف كل منها من زوجين، وتتميز بمقابضها الحلقية، وكان لكل منها غطاء قد نقشت صورة طائر في طرفه الأعلى. أما حلقة المقبض فتنتهي بنقوش لرؤوس تنانين. كما سُبِكَت هياكل بعض أوعية «يو» على أشكال بعض الحيوانات؛ مثل ذلك الذي تم العثور عليه في منطقة آنهوا في مقاطعة هونان. فقد بدا هيكل ذلك الوعاء وكأنه نمر جاثم وقد فغر فاه تائقاً لالتهام الرجل الذي أمسك به بإحكام بمخالب قائمتيه الأماميتين؛ وهو تصميم يحمل في



الصورة 1-26 «بو» برونزي يعود إلى عهد سلالة شانغ. وقد تم العثور عليه في ضريح فو هاو في خرائب يين، آنيانغ، مقاطعة خهنان عام 1976، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

ثناياه بعض المضامين الغامضة. لهذا الوعاء غطاء ومقبض حلقي الشكل ما يجعله سهل الحمل، وتزين هيكله نقوش معقدة لأشكال الحيوانات كالنمور والتنانين.

يشبه وعاء «بو» ما نسميه اليوم بالمرطبان، وقد تم العثور على ثلاثة من هذه الأوعية في ضريح فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، ويشكل اثنان منها زوجاً. وكانت كلها مغطاة، وقد زُيِّنت هياكلها بنقوش تُظهِر وجوه الحيوانات ووحش كوي الأسطوري المشابه للتنين. (الصورة 1-26)

«لي» وعاء كبير لحفظ النبيذ، وتختلف أشكاله بين المستدير والمستطيل، ولكنه يتميز دائماً بوجود نتوء صغير في القسم الأسفل منه مُصمَّم لصبّ النبيذ. وقد ظهر للمرة الأولى في منتصف حقبة سلالة شانغ (الصورتان 1-27، 1-28)، وقد تم اكتشاف أزواج من هذه الأوعية البرونزية في ضريح فو هاو في مدينة آنيانغ تحمل صور وحوش كوي على أطرافها العليا، وأشكالاً دوارة، مع مثلثات تحمل صور كوي في باطنها.

يي هو الاسم العام الذي يُطلَق على المصنوعات البرونزية المخصصة للطقوس





(في الأعلى) الصورة 1-27 «لي» الماعز الثلاثة البرونزي من عهد سلالة شانغ. وقد تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو في بكين عام 1977، ويُحتَفظ به في متحف العاصمة

(في الأسفل) الصورة 1-28 قسم من «لي» الماعز الثلاثة البرونزي من عهد سلالة شانغ

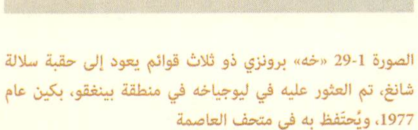
والشعائر. ولكن عبارة «يي المستطيلة» تشير حصراً إلى نوع من الأوعية المخصصة للنبيذ، والذي بدأ بالظهور في أواخر حقبة سلالة شانغ. عادة، يُزيَّن كامل الوعاء بزخارف دقيقة ومعقدة، وقد تم الكشف عن خمسة منها في ضريح فو هاو في خرائب يين، وكان أحدها «يي مستطيلة ومزدوجة»، أي أنه كان مستطيل الشكل، ولكنّه كان يتألف من مربعين متحدين معاً، كما كانت الحروف: 妇好 منقوشة على القسم الأسفل منه.

«هو» وعاء لحفظ النبيذ، وغالباً ما يكون بيضاوي الشكل مع مقبضين مثقوبين في عنقه؛ حيث يمكن أن يُعلَّق منهما ويُحمل بسهولة، بالإضافة إلى وعائَي «هو» مربعين. وقد اكتُشفَ عدد من أوعية «هو» البرونزية المجموعة في أزواج في ضريح فو هاو في خرائب يين، والتي زُيّنت هياكلها بالكامل بصور الحيوانات ووحوش كوي.

كان يتوجّب على مالكي العبيد القدماء أن يغسلوا أيديهم قبل الطقوس والشعائر كعلامة على التقوى والطهارة، ولذلك تتضمن المصنوعات البرونزية المخصصة للشعائر الدينية أوعية لتخزين المياه لهذه الغاية، وقد كانت أوعية الماء في حقبة سلالة شانغ تندرج غالباً ضمن صنفين: خه وبان.

خه عبارة عن إناء لسكب الماء على اليدين، ويُستخدَم أيضاً لإضافة الماء إلى النبيذ لتعديل تركيزه في أوعية مثل الجيويه. يبدو شكل خه وكأنه إبريق شاي؛ بجوفه المستدير وفوهته التي تشبه الأنبوب في مقدمته، وبمقبضه في جانبه الخلفي، ويتميز بكونه يستند على ثلاث قوائم (الصورتان 1-29، 1-30). كانت لإناء خه الذي تم اكتشافه في منطقة يانشي في محافظة خهنان، والذي يعود إلى حقبة سلالة شانغ، فوهةٌ مثبتة أعلاه، وثلاث قوائم مخروطية مجوفة تحته. وقد شهد آخر عهد سلالة شانغ صنعَ نوع جديد من إناء خه مربع الشكل وله أربع قوائم، وقد تم اكتشاف ثلاث أوانٍ من هذا النوع في الأضرحة الإمبراطورية التي تعود إلى سلالة شانغ والموجودة في خرائب يين في آنيانغ، مقاطعة خهنان. وقد نُقِشت على كل إناء الحروف التالية على التوالي: «左»، «中»، «右» والتي تعني: «اليسار» و«الوسط» و«اليمين»؛ ولا يمكن للعين إلا أن تلاحظ الإتقان الذي صُنِعت به هذه الأواني جميعها.





الصورة 1-29 «خه» برونزي ذو ثلاث قوائم يعود إلى حقبة سلالة شانغ، تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفظ به في متحف العاصمة

الصورة 1-30 «خه» برونزي مستطيل الفم عليه نقوش «تاوتيه»، تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفظ به في متحف العاصمة

بان إناء لحمل المياه المستخدمة بعد طقوس غسل الأيادي، وقد ظهر للمرة الأولى في منتصف حقبة سلالة شانغ. تتميز أواني «بان» البرونزية التي تعود إلى حقبة شانغ بفتحة مستديرة وجوف قليل العمق ودعامة حلقية الشكل، وقد نُقِشت على حواف فوهات بعضها صور لطيور. وكثيراً ما يكون أسفلها مزيناً بنقوش لصور التنانين والسلاحف والأسماك. (الصورة 1-31)

كان الصينيون في ما مضى يعلقون الكثير من الأهمية على يويه؛ وهي الكلمة التي تشير إلى النشاطات الترفيهية التي تشمل الموسيقى والرقص، فكانوا يرون أن التناغم الموسيقيّ لم يكن إلا تجلياً وتجسداً للتناغم الكوني، ولذلك كانت الطقوس الشعائرية التي يجريها النبلاء تترافق عادة مع نشاطات يويه، حيث يتمكنون من إظهار أذواقهم الرفيعة وآدابهم على أكمل وجه ممكن. لذلك، يمكننا القول إن الآلات الموسيقية



الصورة 1-31 «بان» برونزي مع نتوءات على شكل طيور، ونقوش على شكل أسماك. تم العثور عليه في ليوجياخه في منطقة بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتَفظ به في متحف العاصمة

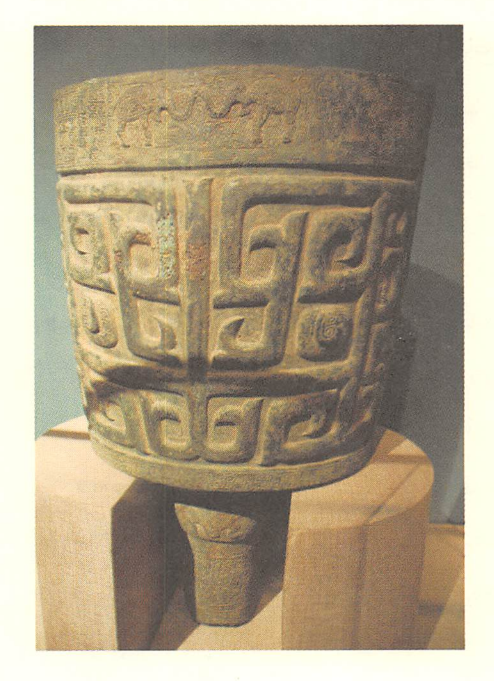
المصنوعة من البرونز تندرج عموماً تحت فئة المصنوعات البرونزية المخصصة للطقوس والشعائر، وكانت تشمل أثناء حقبة سلالة شانغ آلة ناو والأجراس الصغيرة والطبول.

ناو آلة موسيقية إيقاعية، يُعزَف عليها وفتحتها إلى الأعلى، وهي تُصدِر أصواتاً حين تُضرَب بمطرقة خاصة (الصورة 1-32). وقد تم العثور عن عدد منها في مجموعات تتألف كل منها من ثلاث أو خمس آلات في خرائب يين في مدينة آنيانغ. أما آلات ناو التي اكتُشِفت في المقاطعات الجنوبية مثل هونان وجيانغشي وتشهجيانغ فقد تميزت بحجمها الكبير، ومنها آلة ناو الكبيرة التي تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ، والتي تم العثور عليها في منطقة نينغشيانغ، مقاطعة هونان عام 1983، والتي لا يمكن العزف بها إلا إذا وضع مقبضها على رفٍّ خشبي. (الصورة 1-33)

أما الجرس الصغير فهو حتى الساعة أقدم الآلات الموسيقية التي تم اكتشافها. في عام 1962، تم العثور على أجراس صغيرة صُنعت من البرونز وتعود إلى حقبة سلالة شيا في قرية إرليتو في منطقة يانشي؛ وتتميز بوجود مقبض أعلاها وجناح صغير على كل من طرفيها.







(في الأعلى) الصورة 1-32 آلة «ناو» برونزية تعود إلى أواخر عهد سلالة شانغ، تم العثور عليها في ضريح فو هاو في خرائب يين في آنيانغ، خهنان عام 1976؛ من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لانبينغ)

الصورة 1-33 آلة «ناو» برونزية كبيرة نقشت عليها صور تشبه الفيلة، وهي تعود إلى أواخر حقبة سلالة شانغ. يبلغ ارتفاعها 103.5 سم ووزنها 221.5 كلغ، وقد تم العثور عليها في نينغشيانغ في محافظة هونان؛ ويحتفظ بها متحف تشانغشا في هونان

«ناو» آلة موسيقية إيقاعية تستخدم في النشاطات العسكرية والشعائرية. وأثناء حكم سلالة شانغ توّجت آلة «ناو» البرونزية التي تحمل نقوش صور الفيلة كملكة الآلات الموسيقية، وقد كانت الكبرى في زمانها.



تُصنَع الطبول عادة من الخشب، وقد تم اكتشاف طبل خشبي له جلدة مصنوعة من جلود الأفاعي مرة في أحد الأضرحة الموجودة في خرائب يين في مدينة آنيانغ. اتبعت الطبول المصنوعة من البرونز نموذج الطبول الخشبية، ولكن لم يتم اكتشاف إلا عدد محدود منها. في عام 1977، تم العثور على طبل برونزي يعود إلى أواخر حقبة سلالة شانغ في منطقة تشونغيانغ في مقاطعة هوبي، وكان الطبل موضوعاً بشكل أفقي على رف، وبدا من بنية جلدته وملمسها أنها مصنوعة من جلد التمساح.

لقد كانت للأوعية والآلات الموسيقية المخصصة للشعائر الدينية أهمية خاصة، ولذلك كانت تُصنَع بمهارة وإتقان يُضفيان عليها مسحة من الجمال والبهاء. وقد جعلتها أشكالها المهيبة وزخارفها المعقدة والدقيقة تحفاً تاريخية فريدة من نوعها تتميز بسحرها الذي لا يبليه الزمن، وتجسِّد جوهر الجدية التي يتصف بها الشعب الصيني القديم وحكمته. في حقبتَي سلالتَي شيا وشانغ، وخاصة في أواخر حقبة سلالة شانغ، استُخدِمت النقوش التي تُمثِّل السحب والرعود لتكمِّل نقوش وجوه الحيوانات والتنانين



ووحوش كوي وطيور العنقاء الأسطورية وحشرات زيز الحصاد التي كانت تملأ أسطح هياكل الآلات البرونزية. (الصورتان 1-34، 1-35)

لكنّ الفكرة العامة السائدة في النقوش كانت الحيوانات والوحوش الغامضة التي تعود إلى الخرافات والأساطير القديمة. وحين تتّحد صور هذه المخلوقات الأسطورية مع بعضها بعضاً على خلفية الهيكل البرونزي، فإن هذا يخلق جواً من الهيبة- إن لم نقل الرعب- في ما يتعلق بهذه المصنوعات. ولا شك في أن ذلك قد عزز الدور الاجتماعي والديني الذي تلعبه الأوعية والآلات الموسيقية المخصصة للشعائر والطقوس، كما أبرز الروح الفنية الرفيعة التي تمتع بها صانعوها. ولعل أكثر المواضيع الفنية العامة تكراراً في هذه المصنوعات هو تاوتيه، أو الأقنعة التي تحمل صور الحيوانات. وحسب ما ذكر كتاب «حوليات الربيع والخريف لليوي: مراجعة الرسول»، إن تاوتيه كلمة تشير إلى حيوان شرس ومفترس، بينما تذكر مصادر أخرى أن الكلمة تشير إلى الرجل القاسي وعديم الرحمة، مثل «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة الخامسة من [حكم] دوق يين من لو»، حيث علّق دو يو قائلاً: «الرجل الجشع المحب للمال هو تاو، أما الرجل الشره فهو تيه». يتميز نمط تاوتيه بالتركيز على الرأس بما أن معظم أشكال هذا النمط لا تصوِّر الجسم. أما تلك التي تصوِّر الجسم فتتميز بأن الجسم فيها منقسم إلى جزءين متناظرين على جانبي الرأس. كما أنّ العينين في هذه الصور كبيرتان، وتُنقَش عادة في موضع عالٍ من الوجه، ولطالما جعلت نظرتها الثاقبة والمخيفة الناس يرتجفون خوفاً. (الصورة 1-36)

أما التنين فهو حيوان غريب صنعته الخرافات والأساطير في الصين القديمة. وفي عام 1987، تم اكتشاف تمثال لتنين تم إنشاؤه من تجميع أصداف البطلينوس في مقابر حضارة يانغشاو في موقع شيشويبو في مدينة بويانغ، مقاطعة خهنان، ويعود تاريخ التمثال إلى ما قبل 6,000 سنة، ولا يُخفى أن هذا الكائن الأسطوري أصبح رمزاً للشعب الصيني اليوم.

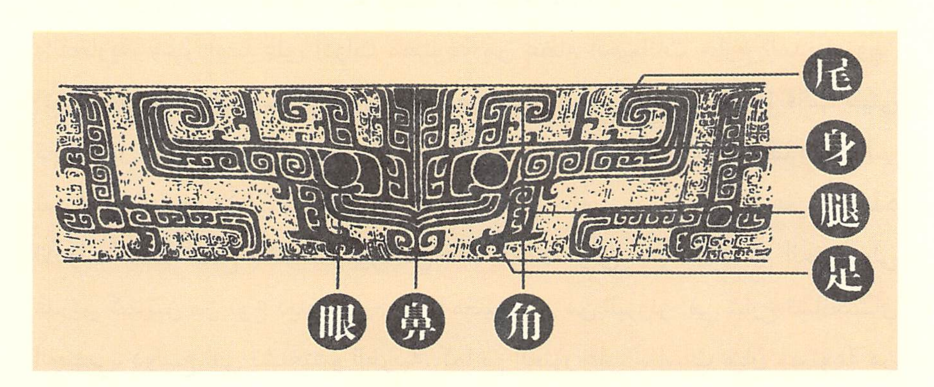
أما وحش كوي فهو أيضاً مخلوق أسطوري يُصوَّر على أنه تنين ذو ساق واحدة، ولا تظهر في المصنوعات البرونزية إلا صورته الجانبية. في حين أن طائر العنقاء بعرفه البارز وريشه النافر، تعتبره الأساطير الصينية القديمة ملكاً للطيور.



الصورة 1-34 نقش يصور تنين «كوي» (تصوير خه شين فنغ)



الصورة 1-35 نقش يصور التنين (تصوير خه شين فنغ)



الصورة 1-36 نقش يصور «تاوتيه» (تصوير خه شين فنغ)

| مهد حضارة البرونز - المدن أثناء حقبة سلالة شانغ

إن نشأة المدن هي أهم إشارة لبزوغ فجر أي حضارة، وقد كان لها دور في غاية الأهمية في نشأة حضارة البرونز القديمة. فقد بدأت المدن بالظهور في الصين في زمن سلالة شيا وحتى قبل ذلك. ولكن حين شهدت حقبة سلالة شانغ استخداماً واسعاً للأدوات البرونزية الذي ترافق مع تطور الهندسة المدنية، كانت تلك حقبة توسع وتطور هائلين للمدن. وقد توصل علماء الآثار منذ عام 1949 إلى اكتشافات كبيرة لآثار المدن التي تعود إلى تلك الحقبة، وخاصة العواصم. ففي عام 1983، تم العثور على آثار مدينة «شيبو»، عاصمة سلالة شانغ، غرب منطقة يانشي في مقاطعة خهنان. وشملت الآثار التي تم العثور عليها مصنوعات برونزية من أنواع مثل جيا وتسون وقه والسكاكين، وكذلك مصنوعات من الجاد ومصنوعات فخارية من أنواع عدة مثل لي وجيا وتسون متسع الفم. كما تم العثور على مواقع معابد للأسلاف وقصور إمبراطورية وأضرحة تعود إلى أوائل حقبة سلالة شانغ في إرليتو، على بعد ستة كلم جنوب غرب شيشيانغقو.

في عام 1955، تم اكتشاف آثار مدينة «آو»- عاصمة الفترة الوسطى من حقبة سلالة شانغ خاصة أثناء حكم الملك تشونغ دينغ- في تشنغتشو في مقاطعة خهنان؛ حيث وجد الباحثون 11 فتحة كبيرة في الجدران الأربعة المحيطة بالمدينة والمبنية من التراب المرصوص، وقد تكون بعض هذه الفتحات موقع بوابة المدينة. كما تم العثور على الكثير من الأضرحة والأقبية والمعامل المتخصصة في صناعة الأدوات البرونزية والفخارية، وعُثِر أيضاً على أدوات مصنوعة من عظام الحيوانات خارج المدينة. ومن الأمثلة على هذه الاكتشافات الفرنُ المخصص لصهر النحاس، وحوالي 1000 قالب طيني تم العثور عليها في موقع معمل لسبك البرونز قرب نانقوانواي. وكانت هذه القوالب تُستخدَم بالدرجة الأولى لسبك أدوات برونزية مثل جيويه وتسو؛ ما يدل على أن هذه الأدوات كانت تصنع بكميات كبيرة في ذلك الوقت. وفي عام 1974، تم العثور على قدرين كبيرتين من نوع دينغ ولي– وكانتا مصنوعتين من البرونز- في شارع تشانغتشاي الجنوبي، دولينغ، في تشنغتشو الغربية. كما تم العثور على أساسات مبانٍ مصنوعة من التراب المرصوص، وحفر لتقديم القرابين جنوب غرب قرية شياوشوانغتشياو في بلدة شيفو التي تبعد عشرين كلم شمال غرب شانغتشنغ، مدينة تشنغتشو (الصورة 1-37).



الصورة 1-37 قدر «دينغ» مربعة نُقِشت عليها أشكال تشبه الحلمات، ويعود تاريخ صنعها إلى عهد سلالة شانغ. تم العثور عليها في شارع تشانغتشاي الجنوبي، تشنغتشو، خهنان عام 1974؛ من معرض «الكنز القومي» في متحف مقاطعة هاينان في 1 نيسان 2009 (تصوير بنغ تونغ)



وتشمل الآثار التي تم العثور عليها هناك مستلزمات بناء مصنوعة من البرونز، وآلة موسيقية، وأجراس حجرية، وألواح مصنوعة من الجاد، ومرطبانات فخارية، بالإضافة إلى تسون بدائي مصنوع من الخزف. وتشير النقوش التي عُثِر عليها على أسطح المرطبانات الفخارية إلى أن الموقع ربما كان بقايا بناء مخصص لتقديم الأضاحي، حيث كان الناس يعبدون الملك.

وبالإضافة إلى الأسلحة والأوعية البرونزية المستخدمة في الطقوس، تم اكتشاف جدران مصنوعة من التراب المرصوص وأسس مبانٍ إمبراطورية ومقابر في مواقع المدن المبنية في منتصف حقبة سلالة شانغ في بانلونغتشنغ، منطقة هوانغباي، مقاطعة هوبي، وفي مدينة يوانتشو القديمة الواقعة في مقاطعة شانشي وغيرها.

تُظهِر السجلات التاريخية أنه ومنذ زمن حكم الملك بان قنغ، انتقلت عاصمة ملك سلالة شانغ إلى يين، ولم تتغير مجدداً إلا بعد 273 سنة؛ عند زوال حكم تلك السلالة. وقد أجرى علماء الآثار أعمال استكشاف وتنقيب واسعة النطاق في مدينة آنيانغ منذ عام 1928. وأكدت الأبحاث التي قاموا بها وجود خرائب مدينة يين ضمن قطر يبلغ ثلاثين ميلاً من قرية شياوتون شمال غرب آنيانغ. تُحيط بالموقع حفر مخصصة لتقديم القرابين؛ حيث دُفنَت الحيوانات وحتى البشر لأجل مراسم مثل حفر الأساسات ثم البناء وتحديد بوابات المدينة. وإن حقيقة أن مئات البشر قد قتلوا كقرابين- وكذلك مئات الحيوانات- تدلّ على مدى قسوة نظام العبودية الذي كان قائماً في ذلك الزمن. وهنا علينا أن نشير إلى أن قاعدات الأعمدة الحجرية لم تكن الشيء الوحيد الذي تم العثور عليه عند أساسات معابد الأسلاف والمباني الإمبراطورية، بل كانت تلك القاعدات مزينة أيضاً «بـتشي» برونزية أيضاً. تشي هي إضافة برونزية مفلطحة الشكل تُستخدَم لحماية القواعد الخشبية من الرطوبة. ويُظهِر استخدام تشي مدى تطوّر صناعة صهر البرونز وسبكه في تلك الحقبة.

اكتُشِفَت أيضاً معامل لسبك المصنوعات البرونزية، وصنع الفخار، والأدوات المصنوعة من العظام شمال مياوبو الواقعة جنوب خرائب يين، وكذلك في بيشينتشوانغ الواقعة غرب الخرائب نفسها.

خدمة الموتى وكأنهم لا يزالون أحياء - المصنوعات البرونزية في أضرحة النبلاء

ظلت الصين مجتمعاً قائماً على العبودية خلال العصر البرونزي. وقد تعرض العبيد لمقدار كبير من القهر على أيدي مالكيهم؛ إذ كان يتوجب عليهم بناء أضرحة ضخمة لمالكيهم، وحين يموت أحد أولئك المالكين كانت كمية كبيرة من البرونز تدفن معه، حيث كان من المفترض أن يستخدمها في حياته الآخرة. أما إذا كان الميت من أفراد العائلة الإمبراطورية، فقد كانت كمية الأشياء التي تدفن معه كبيرة جداً. فعلى سبيل المثال، تم العثور على 460 قطعة من البرونز، و755 قطعة من الجاد، وأكثر من 560 قطعة منحوتة من العظام والعاج، وبعض الفخاريات والأدوات المصنوعة من أصداف البطلينوس في ضريح فو هاو، والتي كانت زوجة الملك وو دينغ من سلالة شانغ. ما يعني أن مجموع الآثار التي تم اكتشافها في الضريح وصل إلى 1928 قطعة أثرية متنوعة. وتم أيضاً العثور على 6800 صدفة بحرية وصدفتي محار. ومن بين القطع البرونزية التي تم اكتشافها، كانت هناك 210 قطع مُخصَّصة للاستخدام الشعائري؛ ومنها خمس قدور دينغ مربعة، وعشر قدور دينغ دائرية، وخمس أواني قوي، وخمسة أوعية يي مستطيلة، وعشر أواني تسون. وكانت ست من قدور دينغ المستديرة موجودة في مجموعات تتألف الواحدة منها من قدرين، كما كانت هناك 12 قدراً مرتبة في مجموعتين تتألف كل واحدة منها ستة قدور. أما من حيث وظيفة تلك المكتشفات، فقد كانت معظم المصنوعات البرونزية أوعية للنبيذ، وأكثرها عدداً تلك المخصَّصة لشرب النبيذ مثل جيويه وقو، حيث بلغ عددها 93 قطعة أي 44.6 بالمئة من مجموع القطع



الصورة 1-38 «قو» تسيوي من عهد سلالة شانغ، تم العثور عليها في خرائب يين في آنيانغ، خهنان، ويحتفظ بها متحف نظام الكتابة الصينية في آنيانغ، خهنان (تصوير نيه مينغ)



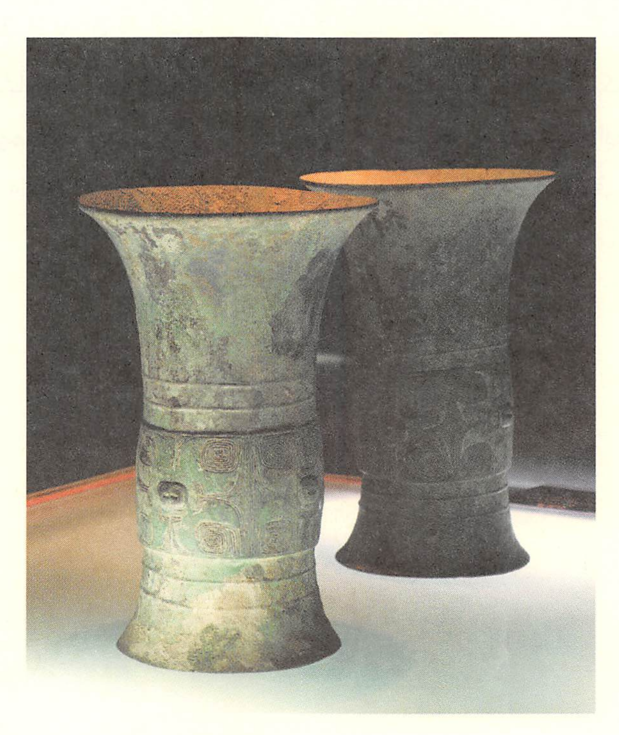
الصورة 1-39 «جيويه» برونزي من حقبة سلالة شانغ، تم العثور عليه في قبر يين في قرية داسيكونغ، آنيانغ، خهنان عام 1986، ويُحتفَظ به في متحف خرائب يين في آنيانغ، خهنان (تصوير نيه مينغ)

البرونزية المخصصة للطقوس والشعائر. وتُظهِر هذه الاكتشافات أن أوعية النبيذ كانت تحتل المركز المهيمن بين المصنوعات البرونزية المُخصَّصة للشعائر أثناء حقبة سلالة شانغ، وتشكل دليلاً مادياً ملموساً يؤكد النظرية القائلة إن شرب الخمر كان شائعاً للغاية في ذلك الزمن. (الصور 1-38، 1-39، 1-40)

كما تم اكتشاف موقع ضخم لتقديم القرابين داخل مقبرة ملوك شانغ في منطقة تعرف بأنها المنطقة الشمالية الغربية المرتفعة فوق قرية هوجيا في مدينة آنيانغ؛ وتُعرَف حفر تقديم القرابين تلك باسم «حفر القرابين المنتظمة» لأن ترتيبها واضح ومنظم، وقد دُفِن البشر أو المواشي في معظمها، أما الأحصنة والكلاب والعربات فلم تتواجد إلا في عدد محدود من الحفر. معظم الحفر التي استخدمت لدفن البشر

مستطيلة الشكل، ويحتوي بعضها على جثث مقطوعة الرؤوس، فيما بعضها الآخر يحتوي على جثث رؤوسها مفقودة أصلاً. وكذلك ثمة حفر رباعية الشكل مخصصة لدفن الجماجم البشرية. وبحسب ما كشفت عنه الأبحاث، كان ذلك موقعاً يُقدِّم فيه ملوك سلالة شانغ القرابين لأرواح أسلافهم، أما الضحايا فقد كانوا في الغالب أسرى حرب شباباً أو في منتصف العمر، وينتمي معظمهم إلى قبيلة تشيانغ.

في كل مرة كان فيها ملوك سلالة شانغ يعقدون احتفالاً شعائرياً كانوا يذبحون ما بين ثلاثمئة وأربعمئة إنسان، ويُظهِر ذلك القسوة والوحشية اللتين اتسم بهما نظام العبودية القائم في ذلك الزمن. فقد كان يحق لمالكي العبيد أن يعذّبوا عبيدهم، بل وأن يقتلوهم في أي وقت يحلو لهم. وهذا بدوره يدل على أن نظام العبودية ذلك رغم قسوته كان لا يزال بدائياً، ولا يأخذ حتى بعين الاعتبار إمكانية الاستفادة من العبيد كقوى عاملة.



الصورة 1-40 «تسون» برونزي من عهد سلالة شانغ، تم العثور عليه في مصنع مجموعة آنيانغ للحديد والفولاذ عام 1972، ويُحتَفَظ به في متحف خرائب يين في آنيانغ، خهنان (تصوير نيه مينغ)



يعتبر القسم الغربي من خرائب يين المتمركز حول شياومينتون في مدينة آنيانغ مثالاً نموذجياً لمقابر مالكي العبيد الأرستقراطيين من الطبقتين الوسطى والصغرى، بالإضافة إلى مقابر الناس العاديين. فقد تم اكتشاف 939 ضريحاً هناك في سبعينيات القرن الماضي، وكانت معظم الأضرحة صغيرة الحجم، حيث إن شخصاً واحداً فقط دُفِن في كل منها داخل تابوت خشبي مع بعض الأدوات الجنائزية. لكنّ بعضها كان كبير الحجم، ودُفِن فيه عدة أشخاص مع الشخص المتوفى. وكان ترتيب هذه الأضرحة منتظماً، ويمكننا تقسيم الواحد إلى ثمانية أقسام يضم كل منها مجموعة منفصلة من الناس. كما احتوت الأضرحة الموجودة في كل قسم أنواعاً مختلفة من الأدوات الجنائزية، حيث كان السائد في بعضها دفن الكثير من أوعية ««لي» المصنوعة من الفخار مع الميت، بينما لم يُدفَن إلا القليل منها مع بعض الموتى الآخرين. كما كانت النقوش المحفورة على الأدوات الجنائزية البرونزية في كل قسم تنتمي إلى قبيلة تختلف عن الأخرى. ولذلك لا بد أن كل قسم قد كان مُلْكاً لقبيلة مختلفة.

إن اكتشاف «القبور القبلية» هذه من حقبة سلالة شانغ يخبرنا الكثير عن حياة الناس ومماتهم ضمن عشيرتهم في تلك الحقبة؛ إذ يُبيِّن لنا مدى قوة رابطة الدم بين أبناء العشائر والقبائل، وكيف لعب ذلك دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية في ذلك الزمن.

اختراع الحروف الصينية

لقد كان اختراع اللغة المكتوبة منعطفاً مهماً في مسار تطور المجتمع الإنساني وصولاً إلى فترات التحضر والتقدم، ولذلك كان ذلك الاختراع من أهم مكونات حضارة البرونز في الصين القديمة. ومع حلول حقبة سلالة شانغ، كانت بضعة قرون من الزمن قد مرت منذ أن بدأت مرحلة التحضر في الصين، وقد شهدت تلك القرون نضج اللغة الصينية المكتوبة. كانت الكتابة في عهد سلالة شانغ تتم باعتماد الخط المسمى «خط عظام النبوءات»، وقد عُثِر حتى الآن على أكثر من ألف قطعة نُقِش عليها هذا الخط فقط في خرائب يي في آنيانغ.

يُشير الاسم «خط عظام النبوءات» عادة إلى الحروف المنقوشة على دروع السلاحف أو على عظام كتف الثور، والتي كانت تُستخدَم لتدوين النبوءات في أواخر حقبة سلالة شانغ. لكنّ بعض تلك الحروف المنقوشة استخدمت أيضاً لتوثيق الأحداث. وقد بلغ عدد الحروف المنقوشة بخط عظام النبوءات حوالي 4,500 حرفاً تم فك رموز أقل من ثلثها فقط حتى الآن. وقد ظهرت من بينها كتابات بالصور والرموز، ولكن الرموز الدالة على الأصوات شغلت نصيباً لا بأس به من تلك الحروف أيضاً؛ ما يدل على أن النقوش على عظام النبوءات كانت قد وصلت إلى درجة جيدة من النضج كلغة مكتوبة ومنهجية. وقد دوّنت النقوش أشياء كثيرة ومتنوعة مثل الصلاة لأجل الحصاد في الإنتاج الزراعي، وبعض الظواهر الفلكية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر، وعمليات غزو دولتَي تو ورِن، وشجرة نسب ملوك سلالة شانغ، وذبح القرابين البشرية أثناء طقوس عبادة ملوك شانغ لأسلافهم، بالإضافة إلى نشاطات الصيد، والأوبئة التي أصيبت بها البلاد. ولا شك في أن هذه السجلات تُقدِّم الكثير من المعلومات القيمة التي دوّنها شهود عيان، والتي تتيح المجال أمام دراسة وافية لحقبة سلالة شانغ.

علينا أن نشير هنا إلى أن نشأة خط عظام النبوءات كان مرتبطاً أشد الارتباط باستخدام الأدوات البرونزية. ففي عام 1952 تم اكتشاف مثقب برونزي يعود إلى منتصف حقبة سلالة شانغ في إرليقانغ، مدينة تشنغتشو، مقاطعة خهنان. ويحتوي المثقب على قائمة فيها قسم يشبه شكله شكل قطعة الألماس، وله طرف مقوس في نهايته، ويتلاءم بشكل كامل مع الثقوب الموجودة في عظام الثيران التي وُجِدت عليها كتابات بخط





الصورة 1-41 مثقب برونزي يعود إلى عهد سلالة شانغ، ويُحتَفَظ به في متحف تشنغتشو في خهنان (تصوير نيه مينغ)

عظام النبوءات، والتي دُفِنت معه؛ ما يظهر أن المثقب كان يستخدم لتجويف الثقوب في دروع السلاحف وعظام الحيوانات. (الصورة 1-41)

بالإضافة إلى خط عظام النبوءات، وبما أن الناس في عهد سلالة شانغ كانوا يستخدمون المصنوعات البرونزية الشعائرية في مراسم مهمة مثل عبادة الأسلاف، فقد بدأوا أيضاً بنقش الحروف على تلك المصنوعات البرونزية أيضاً، وهو ما يسمى «بالنقوش البرونزية»، ويوجد عدد كبير منها يعود إلى حقبتَي سلالتَي شانغ وتشو. وبحسب الإحصاءات التي سجّلها كتاب «المجموعة الكاملة للنقوش البرونزية من حقبتَي سلالتَي شانغ وتشو» (من تجميع الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية) بلغ عدد المصنوعات البرونزية التي تحتوي على نقوش حوالي 12,000 قطعة، أما كتاب رونغ قنغ «فهرس النقوش البرونزية» فقد سجّل 3,700 حرف منقوش، وتمّ التعرف على 2,400 منها. هذه النقوش البرونزية غنية في مضمونها وتمثّل المرحلة الأولى من تطور اللغة الصينية المكتوبة. (الصورة 1-42)

وتتميز النقوش البرونزية أيضاً ببساطتها، حيث لم يُنقَش إلا عدد قليل من الحروف على الوعاء الواحد. وعادة، تشير النقوش إلى قبيلة صانع الوعاء، واللقب الذي أُعطِي للسَلَف المتوفى الذي خُصِّص الوعاء لعبادته في معبد الأسلاف بعد موته؛ فنجد نقوشاً مثل: «ياتشو فويي»، حيث تشير كلمة «ياتشو» إلى قبيلة صانع الوعاء، أما «فويي» فتعني «الأب يي»، وترمز إلى اللقب الذي أُعطِي لوالد صانع الوعاء بعد موته، والذي



الصورة 1-42 نقوش على «قو» يعود إلى عهد سلالة شانغ

يقوم الصانع بعبادة روحه. باختصار، يخبرنا هذا النقش أن صانع الوعاء من قبيلة ياتشو لتخليد ذكرى والده يي.

في أواخر عهد سلالة شانغ، بدأت نقوش روائية أكثر طولاً تظهر على المصنوعات البرونزية. فعلى سبيل المثال، احتوى تسون وحيد قرن شياوتشن يو على 27 حرفاً في القسم الأسفل من هيكله، وتعبّر الفكرة الرئيسة فيه عما يلي: «قام ملك شانغ بجولة تفقدية في مكان يُدعى كوي، وكافأ مسؤول دولة رفيع المستوى في تلك المنطقة يُدعى شياو تشن يو بإعطائه بعض الأصداف. وقد حدث ذلك حين كان دي يي- ملك شانغ- يعقد مراسم لتقديم القرابين قبل الهجوم على دولة فانغ في السنة الخامسة عشرة من حكمه». إذاً، ترافقت هذه النقوش المهمة مع تاريخ هجوم الملك دي يي، والد الملك تشو، على دولة فانغ؛ وهو تاريخ مدوَّن على عظام النبوءات أيضاً، وتوفِّر لنا جميع هذه الاكتشافات مصادر تاريخية غنية لدراسة العلاقات بين شعب شانغ والمجموعات العرقية الشرقية الأخرى.



الكيو يي الصينية

الفصل الثاني

الحفاظ على المراسم في الأواني ⊠حضارة البرونز في عهد سلالة تشو الغربية

مقدمة

شهد آخر عهد سلالة شانغ اشتداد شوكة عشيرة تشو التي كانت تتخذ من وادي نهر وي موطناً لها. وترافق ذلك مع إسراف الملك تشو- آخر ملوك سلالة شانغ- المفرط، وقسوته الوحشية، وخصاله الشريرة التي أشعلت غضب عامة الشعب والعبيد. وما زاد الطين بلة أنّ الملك تشو كان مهووساً بغزو بلاد المجموعات العرقية الشرقية، فقام بعدة حملات عسكرية أدت إلى نضوب موارد البلاد المادية والبشرية.

وفي شهر آذار من عام 1054 قبل الميلاد، استغل وو- ملك عشيرة تشو- تفاقم سوء الأوضاع في البلاد ليقود قبائل مثل يونغ وشو وتشيانغ ووي ولو وبنغ وبو في ثورة عارمة على الملك تشو من سلالة شانغ؛ فالتقت جموع الطرفين في معركة مويه. ولكن عند بدء المعركة، قام الكثيرون من جنود شانغ بتنكيس رماحهم والانضمام فوراً إلى جيش مملكة تشو. وحين رأى الملك تشو من شانغ أنه منهزم لا محالة أحرق نفسه، فقضى نحبه منتحراً، وانتهت بذلك حقبة سلالة شانغ. أرسى الملك وو من تشو القواعد لنشأة حقبة جديدة هيمنت عليها سلالة العبودية الثالثة في تاريخ الصين: سلالة تشو.

تغطي حقبة سلالة تشو الغربية الفترة الممتدة بين تأسيس سلالة تشو عام 1045 قبل الميلاد وانهيارها تحت حكم الملك يو من تشو عام 771 قبل الميلاد. وقد أُعطِيت لقب «تشو الغربية» بسبب موقع عاصمة ملوك هذه السلالة؛ فقد اتخذ ملوك تشو من مدينة هاوجينغ (وتدعى اليوم مدينة تشانغآن وتقع في مقاطعة شانشي) عاصمة لهم. وتقع تلك المدينة غرب عاصمة ملوك سلالة تشو الشرقية الذين خلفوا هذه السلالة.

بعد نشأة سلالة تشو، قام ملوكها بسحق المتمردين على حكمهم من أمثال بقايا أفراد سلالة شانغ والجماعات العرقية الشرقية، ثم قسّموا البلاد بحسب نظام إقطاعي أعطى فيه الملك أقاربه من عشيرة تشو وغيرهم من مخلصي خدمه إقطاعياتٍ؛ فتلقى دوق تشو مثلاً حكمَ ولاية لو، أما دوق شاو فكانت ولاية يان من نصيبه، وتلقى كانغ شو ولاية وي، أما دوق تاي فقد تلقى ولاية تشي. وأدى نظام الحكم هذا إلى امتداد حكم سلالة تشو إلى رقعة من الأرض أوسع من تلك التي حكمتها سلالة شانغ، بالإضافة إلى إنشاء أنظمة الطقوس والمراسم والموسيقى، وتعزيز نظام العشائر الأبوي الذكوري.



وتضافرت هذه العوامل معاً لتعزّز قوة حكم سلالة تشو، كما أدّت إلى المزيد من التطور في نظام العبودية وحضارة البرونز الصينية.

ولهذه الأسباب جميعها، تعتبر حضارة البرونز في عهد سلالة تشو الغربية في غاية الأهمية في تاريخ الصين السياسي والاقتصادي والحضاري القديم.

شهد عهد سلالة تشو الغربية إنشاء نظام تصنيف قدور دينغ البرونزية، حيث تشير إلى الطبقات الاجتماعية لمالكي العبيد، كما شهد تناقصاً كبيراً في عدد الأوعية البرونزية المخصصة للنبيذ مقابل ظهور أنواع جديدة من المصنوعات البرونزية المخصصة للشعائر، وكذلك الآلات الموسيقية البرونزية مثل فو وشيوي ويي وأنواع أجراس جديدة. كما تطورت النقوش البرونزية بشكل ملحوظ، وتشهد على ذلك النقوش المطولة المستخدمة لتعزيز حكم نبلاء سلالة تشو الغربية من خلال تأجيج حماسة عامة الناس. كما تغيرت أشكال المصنوعات البرونزية الشعائرية وأنماط الزخارف التي زُيِّنت بها لتتخذ شكلاً جديداً كلّياً يميل إلى البساطة إن لم نقل الفجاجة. وقد شهد ذلك العصر تطورات جديدة في صناعة الأسلحة البرونزية ومستلزمات الأحصنة والعربات، بالإضافة إلى صناعة نسيج الحرير والتقنيات المعمارية.

| تعظيم الأسلاف عبر صفّ قدور دينغ والعروض الموسيقية

شهدت صناعة سبك البرونز المزيد من التطور في حقبة سلالة تشو الغربية، ولكن على أساس ما كان موجوداً في الأصل في عهد سلالة شانغ. وقد وجد علماء الآثار أفراناً ضخمة لصهر النحاس مبنية من طوب اللبن في مواقع سبك البرونز المكتشفة في بي-ياو، مدينة لوهيانغ، تعود إلى بداية عهد سلالة تشو الغربية ووسطه، بالإضافة إلى منفثات للدفع الهوائي مصنوعة من الطين. ويشير هذا إلى أن الناس كانوا قد بدأوا باستخدام منفثات الدفع الهوائي المصنوعة من الجلد أثناء عملية السبك في ذلك الزمن.

وترافق التقدم في صناعة سبك البرونز مع تقدم مماثل في نوعية الأدوات البرونزية، وخاصة تلك المخصصة للشعائر الدينية. وأول تلك التطورات كان التغيير الكبير الذي شهدته الأدوات البرونزية الشعائرية؛ فلما كان الإدمان على الكحول من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار حكم سلالة شانغ، قام أوائل ملوك سلالة تشو الغربية بمنع شرب الكحول في مملكتهم، وأدى ذلك إلى تقلص كبير في كمية الأوعية البرونزية المخصصة للنبيذ ولتراجع نوعيتها، وخاصة أوعية شرب النبيذ مثل جيويه وجيا وقو وتشيه، وأوعية حفظ النبيذ مثل تسون ويو ويي المربع؛ إذ تناقصت جميعها بشكل حاد، بل وأصبح العثور على واحد منها نادراً بعد منتصف عهد سلالة تشو الغربية.

من بين جميع المصنوعات البرونزية في ذلك العهد، كانت قدور دينغ هي الأكثر أهمية؛ فقد استحدث ملوك هذه السلالة نظاماً يقوم فيه الناس بصفّ عدد من ذلك الصنف من القدور للإشارة إلى هوية مالكيها وطبقاتهم الاجتماعية. وقد استخدم مالكو العبيد قدور دينغ لتقديم القرابين وإقامة الولائم وإجراء الجنائز وغيرها من المراسم والطقوس. وكانت تلك القدور تتشابه في أشكالها وأنماط زخارفها، وتظهر عادة في مجموعات تتألف من أعداد فردية. كانت أحجام القدور في هذه المجموعات إما متشابهة أو متناقصة الحجم بنسب معينة بين قدر وتلك التالية له. وقد علق «خه شيو»، وهو أحد شارحي كتب التاريخ الذين عاشوا في حقبة سلالة هان، على مقطع من كتاب «حوليات الربيع والخريف: شرح قونغيانغ» يذكر السنة الثانية من حكم دوق هوان من لو: «في مراسم تقديم القرابين، يستخدم الإمبراطور تسع قدور دينغ. أما مسؤولو الدولة العلماء فيستخدمون خمس قدور، في حين أن العلماء العاديين يستخدمون



ثلاث قدور». كذلك كانت أنواع اللحوم المستخدمة في كل دينغ واضحة ومحددة؛ فكما أوضح «كتاب قواعد التشريفات: طقوس التهذيب في الخطاب»: يجب أن تحتوي القدر الأولى لحم ثور، وتدعى هذه القدر أيضاً تايلاو. أما القدور التالية فتصنف بحسب ترتيبها، وتحتوي على لحم الخروف، ولحم الخنزير، ولحم السمك، واللحم المجفف، وأعضاء الحيوانات الداخلية، والجلود، والسمك الطازج، واللحوم المجففة حديثاً. في حين أن القدور السبع تُسمى أولاها أيضاً: تايلاو، وتوضع فيها جميع لحوم القرابين الموجودة في القدور التسع باستثناء آخر نوعين. أما القدور الخمس فتحتوي الأولى بينها على لحم الخروف ويدعى: شاولاو، في حين أن بقية القدور تحتوي على لحم الخنزير ولحم السمك واللحم المجفف وأعضاء الحيوانات الداخلية أو جلودها. أما القدور الثلاث فتحتوي على لحم الخنزير ولحم السمك واللحم المجفف، أو لحم الخروف ولحم الخنزير ولحم السمك. وتدعى هذه الأضحية: شنغ.

بحسب ما ذكره «كتاب قواعد التشريفات: طقوس إلباس القبعات للضابط العمومي»، فللعلماء دينغ واحد يوضع فيه لحم الخنزير ويدعى: ته. وبالإضافة إلى ذلك، وبحسبما ذكرت السجلات التاريخية واكتشافات علم الآثار، يترافق استخدام عدد فردي من قدور دينغ مع استخدام عدد زوجي من أوعية «»قوي». فعلى سبيل المثال، يترافق استخدام تسع قدور دينغ مع استخدام ثمانية أوعية قوي، واستخدام سبع قدور دينغ مع استخدام ستة أوعية قوي، واستخدام خمس قدور دينغ مع استخدام أربعة أوعية قوي، واستخدام ثلاث قدور دينغ مع استخدام وعائَي قوي. تدعى قدور دينغ التي تستخدم بأعداد فردية: تشنغ دينغ، أما قدور



الصورة 2-1 «دينغ كه» صغير من آخر عهد سلالة تشو الغربية، تم العثور عليه في معبد فامن في منطقة فوفنغ، شانشي في السنة السادسة عشرة من حكم الإمبراطور قوانغشو من سلالة تشينغ (الموافق لسنة 1890 ميلادية)، ويُحتَفَظ به في متحف القصر في بكين (تصوير لي جيون تشاو)

دينغ المرافقة لها فتسمى: شيو دينغ، وتحتوي على حساء كثيف وقوي النكهة مكوّن من لحم البقر ولحم الخنزير ولحم الضأن ممزوجة مع صلصة نشوية.

ومع أن عمليات الاستكشاف التي قام بها علماء الآثار لم تتوصل إلى أضرحة كبيرة تعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية، إلا أنه قد تم العثور على مجموعة صغيرة تتألف من سبع قدور كه دينغ في معبد فامِن في منطة فوفنغ، مقاطعة شانشي أثناء السنة السادسة عشرة من حكم الإمبراطور قوانغ شو من سلالة تشينغ (الموافق لعام 1890) (الصورة 2-1). سُمِّيت هذه القدور بهذا الاسم لأن صاحبها يدعى: كه، وكان رجل الدولة المسؤول عن المطابخ الإمبراطورية. كان ملك تشو قد أرسله لإصدار بعض الأوامر في تشنغتشو، العاصمة الشرقية للبلاد، كما أن مرتبته كمسؤول دولة رفيع المستوى يتناسب مع طقس قدور دينغ السبع.

كما تم العثور على خمس قدور دينغ وأربعة أوعية قوي في ضرحَي يوي بو، ملك دولة يوي، وزوجته جينغ جي، في قرية روجيا، مدينة باوجي، مقاطعة شانشي. وقد صُنِعت هذه الأدوات البرونزية أثناء حكم الملك مو من سلالة تشو الغربية. كما تم التنقيب عن أربع قدور دينغ مستديرة، منها ثلاث قدور شنغ دينغ، وقدر شيو دينغ واحدة

الصورة 2-2 قدور «دينغ تشانغ فو» من عهد سلالة تشو الغربية، تم العثور عليها في ضريح تشانغ فو في قرية بودو، تشانغآن، شانشي عام 1954، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)



كانت مجموعة مع بعضها مع وعائَي قوي من مقابر تشانغ فو في قرية بودو، مدينة تشانغآن، مقاطعة شانشي (الصورة 2-2). كما تم العثور على قدر دينغ واحدة، ووعاء قوي واحد يعودان إلى منتصف حقبة تشو الغربية من القبر رقم 5 في قرية خهجيا، منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي.

تُثبِت جميع هذه الاكتشافات وجود نظام لترتيب قدور دينغ المستخدمة في مراسم تقديم القرابين أثناء حقبة سلالة تشو الغربية. وقد استمر هذا النظام حتى حلول حقبة الممالك المتحاربة، وظل النموذج السائد في إجراء الطقوس والشعائر في مجتمعات الصين القديمة القائمة على العبودية.

ظهر نوعان جديدان من أواني الطعام في وسط عهد سلالة تشو الغربية وآخره، وهما: فو وشو، وكانا يستخدمان لحمل دخن الذرة والدخن العادي والأرز والسرغوم. ظلت الأوعية من نوع «فو»- والتي كانت تدعى هو أيضاً في السجلات القديمة- شائعة الاستخدام حتى في حقبة الربيع والخريف، ثم في حقبة الممالك المتحاربة (الصورتان 2-3، 2-4)؛ أما أواني شو فبالكاد كان من الممكن رؤيتها في حقبة الربيع والخريف (الصورة 2-5). أما أواني الماء الجديدة من نوع يي فقد كانت تشبه



الصورة 2-3 إناء «فو» جيانغ فو يعود زمن صنعه إلى حقبة سلالة تشو الغربية. كان من قبل ضمن مجموعة عائلة لوه، من معرض «التفاعل والاندماج والبث: آثار حضارية آسيوية من متحف ليويشون» في متحف ملك جنوب يويه في هان الغربية في قوانغتشو، في 7 أيار 2011 (تصوير دونغ لي)



الصورة 2-4 إناء «فو» برونزي مزين بنقوش أقنعة الفيلة، ويعود إلى فترة التحول من حقبة سلالة تشو إلى حقبة الربيع والخريف (القرن الثامن قبل الميلاد)؛ من معرض في متحف العاصمة (تصوير كونغ لان بينغ)



الصورة 2-5 إناء «شو» شانشو من عهد سلالة تشو الغربية، تم العثور عليه في ضريح دولة قوه في سانمنشيا في خهنان. من معرض «علم الآثار والاكتشافات» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)



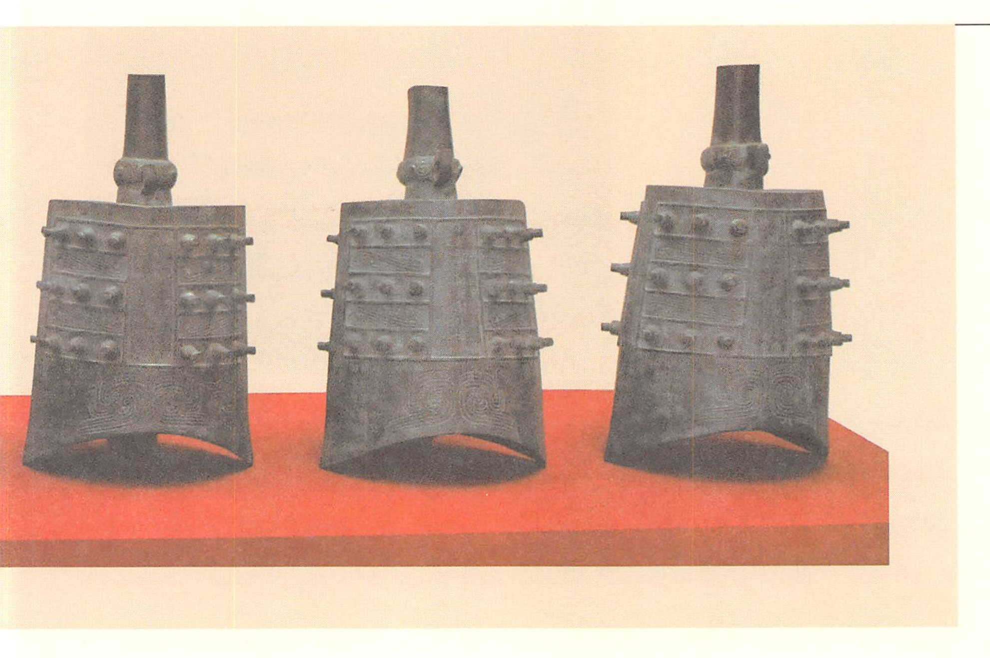
الصورة 2-6 «يي» برونزي من أواخر عهد سلالة تشو الغربية. تم الحصول عليه من بلدة تسيشان في تساويانغ، هوبي عام 1977. من قاعة العرض رقم 2 في متحف شيانغفان في هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

في شكلها أواني قونغ، وتتميز بجوفها البيضاوي ووجود فوهة لها ومقبض في طرفها، بالإضافة إلى ثلاث أو أربع قوائم تحتها، وقد استُخدِمت لتحل محل الأوعية من نوعية «خه» لتقديم الماء أثناء شعائر غسل اليدين مع أواني بان، وقد استمر استخدام ذلك الوعاء حتى حقبة الربيع والخريف وحقبة الممالك المتحاربة (الصورة 2-6).

كما حدثت أيضاً قفزات نوعية في صناعة الآلات الموسيقية البرونزية أثناء حقبة سلالة تشو الغربية، وكان أهمها ظهور الأجراس البرونزية الذي لم يكن ليحصل لو لم تصل تقنيات صهر البرونز وسبكه وفهم نظرية الموسيقى إلى مستوى عالٍ من الرقي. كانت الأجراس تُعلّق على رفٍّ، ويُعزف عليها من خلال ضربها بمطرقة أو مضرب، وتعتبر من أهم عناصر الطقوس الصينية وموسيقى البلاط الملكي في تلك الأزمنة القديمة. ويمكننا تقسيم الأجراس إلى ثلاثة أنواع بناءً على أشكالها: الأول هو جرس يونغ (الجرس اليدوي)، ولديه مقبض عمودي الشكل في أعلاه، كما يمكن تعليقه على رفٍّ بشكل منحرف. والنوع الثاني هو جرس نيو (الجرس على شكل زر)، ولديه مقبض على شكل جسر أعلاه، ويمكن تعليقه على رف بشكل مباشر. أما بو فهو جرس توجد في أعلاه أشكال حيوانات مسطحة، وأسفله مستقيم الشكل ويمكن تعليقه على الرف بشكل عمودي.

أُعطِي كل قسم من أقسام الأجراس من نوع يونغ اسماً خاصاً به. فأعلاه- أي المقبض- يُسمّى هنغ، بينما يُستخدم النتوء المقوس في قسمه الأوسط أو الأسفل لتثبيت الأوتاد ويُدعى شوان، أما الأوتاد فتُدعى وو (Wo)، بينما يُدعى سطح الجرس العلوي وو (wu)، والقسم الأعلى من هيكله يُدعى تشنغ. أما القسم الأسفل فيُدعى قو، وتُدعى الأوتاد على تشنغ «مي»، وطرفها يُدعى جينغ. أما الأنماط الخطية بين الأوتاد فتُدعى تشوان، ويُعرَف القسم الأوسط من تشنغ باسم تشنغ أيضاً، أما القسم الأوسط من قو فيدعى يوي. والحزوز المُستخدَمة لضبط النغمات داخل قو تُسمى سوي. يُسمّى الجرس

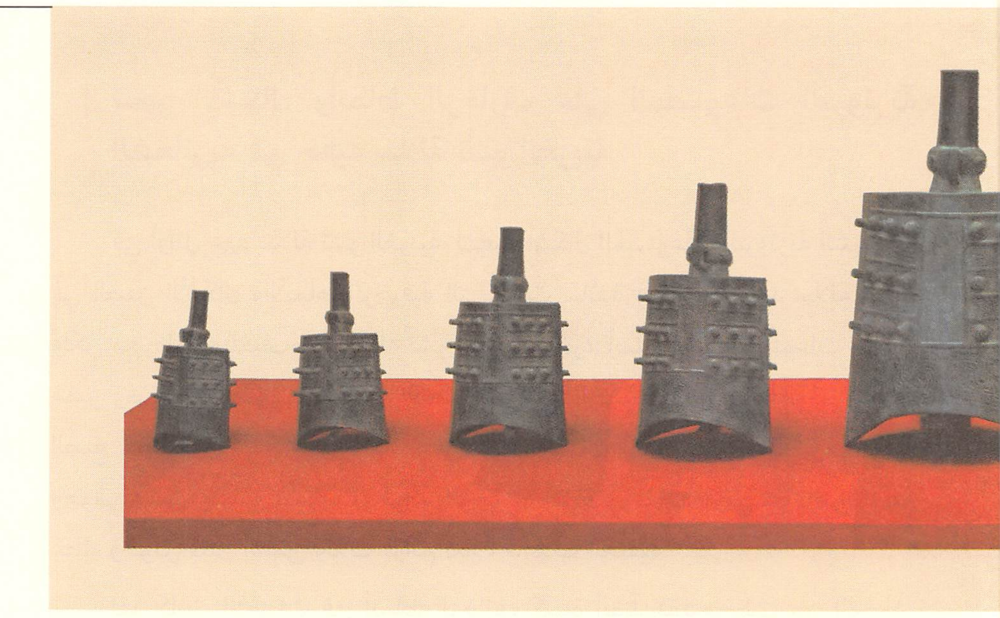




(في الأعلى) الصورة 2-7 أجراس إيقاعية برونزية من حقبة سلالة تشو الغربية، تم التنقيب عنها في فوفنغ في مقاطعة شانشي، ويُحتَفظ بها في متحف الأجراس القديمة في معبد داتشونغ، بكين (تصوي لي يينغ)

(في الأسفل) الصورة 2-8 أجراس تشانغ فو الإيقاعية التي تعود إلى فترة حكم الملك مو من سلالة تشو الغربية. تم العثور عليها في مقبرة تشانغ فو في قرية بودو، تشانغآن، شانشي عام 1954 من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)





المنفرد المعلق للاستخدام باسم ته تشونغ، أما الأجراس من مختلف الأحجام التي تُعلّق بالترتيب وتستخدم كمجموعة فتُسمى الأجراس الإيقاعية (الصورة 2-7). ومنها الأجراس الإيقاعية التي تعود إلى عهد سلالة تشو الغربية والتي تم العثور عليها في قبر تشانغ فو في قرية بودو، مدينة تشانغآن، محافظة شانشي عام 1954، والتي تألفت كل مجموعة منها من ثلاثة أجراس (الصورة 2-8). أما أجراس تشا الإيقاعية التي تعود إلى أواخر حقبة سلالة تشو الغربية، والتي تم استخراجها من قرية تشيجيا في منطقة فوفنغ عام 1960 فتتألف من مجموعات من ثمانية أجراس. تعزف الأجراس نغمتين موسيقيتين عموماً، وتُسمى النغمة التي تُعزف عند ضرب وسط قو: «النغمة المركزية»، أما الأخرى التي تُعزف عن ضرب طرفه فتُسمى: «نغمة طرفية»، وعادة تكون أعلى بنغمتين على السلم الموسيقي من النغمة المركزية. وكثيراً ما تكون المسافة الموسيقية بين هذه النغمات ما يُسمى «بالثالثة الصغيرة» (minor third)؛ كما هو الحال في الجرس الثالث من أجراس تشا الإيقاعية التي تعادل نغمتها المركزية نغمة جيويه (الثالثة من سلم موسيقي خماسي النغمات). وقد طغت الأجراس البرونزية على غيرها من الآلات، واستمر الأمر كذلك حتى في حقبة الممالك المتحاربة، فكان الاحتفال بمراسم صفّ قدور دينغ مع عزف الموسيقى على الأجراس البرونزية يعكس صورة حية عن الحياة المسرفة والمترفة التي كانت الطبقة النبيلة تعيشها في ذلك الزمن.



سحر الأشكال وأنماط الزخارف على المصنوعات البرونزية الشعائرية في حقبة سلالة تشو الغربية

في أوائل عهد سلالة تشو الغربية، اتبعت أشكال المصنوعات البرونزية الشعائرية في الصين الأشكال والأنماط الزخرفية التي كانت سائدة في أواخر عهد سلالة شانغ. ولكن مع حلول منتصف عهد سلالة تشو الغربية وآخره، أصبح لهذه المصنوعات أسلوب مميز وفريد في صناعتها. وكانت القطع البرونزية المصنوعة في ذلك الوقت دقيقة الصنع ومهيبة في شكلها وزينتها. فعلى سبيل المثال، لقدر الدينغ مقابض عمودية وجوف عميق وقوائم تبدو مثل قوائم الوحوش. أما قوي فعادة ما تُصنَع بالترافق مع غطاء وحوض قليل العمق وثلاث قوائم تحت قاعدتها الحلقية. (الصورتان 2-9، 2-10)

لقد كانت التغيرات في أنماط الزخارف كبيرة أيضاً. فقد تحوّلت من الوحوش الغامضة والأشكال المعقدة التي اتسمت بها مصنوعات أواخر عهد سلالة شانغ إلى



الصورة 2-9 «دينغ» جين يعود إلى أوائل عهد سلالة تشو الغربية، تم العثور عليه في ليوليخه في منطقة فانغشان في بكين عام 1974؛ ويُحتَفَظ به في متحف العاصمة



الصورة 2-10 «قوي» بو يعود إلى أوائل عهد سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في ليوليخه في منطقة فانغشان، بكين عام 1974، ويُحتَفَظ به في متحف العاصمة

أسلوب فني أبسط وأكثر فجاجة. فلم يعد تصميم الزينة الكلي والنمط السائد في القطعة البرونزية يطغيان على الأشكال التكميلية الأخرى، ولم تعد الصورة الكلية التي تعكسها الزخارف تُظهِرُ وجوه حيوانات غامضة مثل تنانين كوي، بل تُظهِرُ أشكالاً مقوسة ومتموّجة تُسمى «تشيهتشيوي»، بالإضافة إلى أشكال حلقية متداخلة وأشكال قشرية تمتد في خطوط دون أشكال تكميلية أخرى. ومع أن هذه الأشكال نشأت من صور حيوانات غامضة وأسطورية، إلا أنها لم تحمل في ثناياها إيحاءات الغموض والرعب التي حملتها الأشكال والنقوش التي تعود إلى السلالات السابقة. هذا وقد ظلّت الأنماط المُستخدَمة في عهد سلالة تشو الغربية هي السائدة حتى أوائل حقبة الربيع والخريف، بل واستمر الأمر كذلك حتى استخدام بعضها في حقب التاريخ الصيني التالية.

ونذكر هنا المزيد من التفاصيل حول أنماط النقوش التي ألمحنا إليها في الفقرة السابقة. فبالنسبة إلى النمط المسمى «تشيهتشيوي»، إنه نمط أفقي يشبه تصميمه إما



الحرف S أو الحرف C اللاتينيين، ويُرسَم بخطوط مزدوجة مع رسم يشبه شكل العين في وسطه. أما الأنماط المتموجة المقوسة فهي خطوط متعرجة ومزينة برسوم تشبه القرون أو الأفواه في أعلى الخطوط وأسفلها. في حين أن الأنماط الحلقية المتداخلة تتألف من أشكال دائرية تتكون من مستطيلين أو ثلاثة، لكل منها ضلع مرسوم على شكل قوس، وتتوازى على جانبَي القطعة البرونزية الأيمن والأيسر. أما الأنماط القشرية فهي رسوم متداخلة لأشكال تشبه حراشف الأسماك.

لعل التغيير الأكبر الذي شهدته حقبة سلالة تشو الغربية يكون التطور الكبير في نقش الحروف على المصنوعات البرونزية. فقد كانت تلك الحقبة بحق عصر النقوش الكتابية الذهبي؛ حيث شهدت ظهور عدد كبير من المصنوعات البرونزية مع نقوش كتابية مطولة عليها أطولها حتى الآن النقش المؤلف من 499 حرفاً على دعامة ماقونغ ثلاثية القوائم التي تم صنعها في أواخر حقبة سلالة تشو الغربية.

ولعل سبب تطور النقوش الكتابية في ذلك الزمن هو أن تشو- التي لم تكن إلا ولاية صغيرة- نجحت في التغلب على مملكة شانغ ممتدة الأطراف، فكان على ملوك سلالة تشو أن يعززوا حكمهم، ولم يكن بإمكانهم فعل ذلك إلا عبر تأجيج الرأي العام لصالحهم. لذا، كان استخدام النقوش الكتابية في المصنوعات البرونزية إحدى وسائل الحاكم للدعوة إلى الفضيلة، والتأكيد على أهمية اتباع «طريق الطبيعة» (الطريق الروحي الذي يجلب التناغم بين الإنسان ومحيطه)، وكذلك ليوصل للناس أنباء ما أنجزه سياسياً وعسكرياً، ويخبرهم عن العطايا والمنح التي أغدقها على وزرائه. وقد كانت تلك النقوش دائمة، مما يعني أنه باستطاعة أولاد الحاكم أن يتوارثوها في الأجيال المقبلة كدليل حول إنجازات الملوك، والازدهار الذي جلبوه إلى البلاد. وبالإضافة إلى كل ما سبق، كانت لتلك النقوش الغنية إسهامات في دور القطع البرونزية الشعائرية في الحفاظ على أنظمة الطقوس والشعائر والحكم الأرستقراطي لأصحاب العبيد.

غطت النقوش الكتابية على البرونز نطاقاً واسعاً من المواضيع، ومنها: الأحداث التاريخية المهمة، وتعيين الأتباع، ومنح الإقطاعيات والأراضي والناس أو العبيد، ومعاملات الأراضي، وشعائر تقديم القرابين أو إغداق المنح التي كان ملوك سلالة تشو يقيمونها، وتوجيهات الإمبراطور وأوامره لأتباعه، ورثاء الأسلاف، والأنظمة العسكرية، وأخبار غزو الجماعات العرقية الأخرى، ووثائق حول الأحكام القضائية والنشاطات الاقتصادية وغير

ذلك؛ وهي مراجع قيمة ووفيرة ومباشرة لدراسة تاريخ حقبة سلالة تشو الغربية، لذا قيمتها التاريخية لا تقدر بثمن، وسنقدم أمثلة عليها في الفقرات التالية.

أوّل أصناف هذه الأمثلة عبارة عن سجلات الأحداث التاريخية. ومن الأمثلة على ذلك وعاء «قوي لي» الذي يعود إلى أوائل عهد سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في قرية لينغكو، منطقة لينغتونغ، مقاطعة شانشي عام 1976 (الصورة 2-11)، وقد نُقِش عليه 32 حرفاً في القسم الأسفل من جانبه الداخلي، وتسجّل هذه الحروف واقعة هجوم الملك وو من تشو على مملكة شانغ في يوم جيانتسي حين ظهر كوكب المشتري في السماء، فأطاح بحكم سلالة شانغ في ليلة وضحاها. وفي يوم شينوي، كان الملك وو من

الصورة 2-11 وعاء «قوي لي» مصنوع أثناء حكم الملك وو من سلالة تشو الغربية، ويبلغ ارتفاعه 32 سم. تم العثور عليه في لينتونغ في مقاطعة شانشي عام 1976، ويُحتَفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير أو قه)

يُستخدم إناء «قوي» عادة كوعاء للأرز المطبوخ المقدم كقربان، أما «قوي لي» هذا فقد نُقِشت في جوانبه الداخلية وقسمه الأسفل أربعة أسطر يتألف كل منها من 32 حرفاً، وهي تدوّن تاريخ غزو الملك وو لمملكة سلالة شانغ. وهو أقدم قطعة برونزية تعود إلى حقبة سلالة تشو تم العثور عليها حتى الساعة، والسجل التاريخي المباشر والوحيد حول الأحداث التي وقعت في أوائل حقبة سلالة تشو الغربية.





تشو في مكان يدعى لان- وهو الذي يسمى: تشنغاتشو اليوم- حيث كافأ أحد مسؤولي دولته- واسمه لي- قبل أن يصنع وعاءً برونزياً ثميناً لعبادة روح سلفه تانقونغ.

لهذه الكتابات المنقوشة أهمية كبرى لأنها تؤكد ما أوردته مصادر تاريخية أخرى عن غزوة الملك وو مثل «كتاب التاريخ: الخطبة أثناء معركة مويه»، و«بقية وثائق تشو: غنائم الحرب»، و«خطابات الولايات: خطابات تشو الثانية»، و«سجلات كبير المؤرخين: سير أباطرة سلالة شانغ». بعد إجراء الأبحاث حول علم الفلك، أكّد العلماء الصينيون أن تاريخ معركة مويه كان في 27 آذار عام 1045 قبل الميلاد، وقد حلوا بذلك إحدى معضلات التسلسل الزمني لأحداث التاريخ الصيني القديم.

ومن الأمثلة الأخرى على تلك النقوش الكتابية: وعاء «تسون» خه الذي تم العثور عليه في جياتسون، مدينة باوجي، مقاطعة شانشي عام 1963. وكان الوعاء قد صُنِع أثناء حكم الملك تشنغ من سلالة تشو الغربية، ونُقِش في أدنى جوفه 122 حرفاً دوَّنت تعليمات الملك تشنغ إلى أبناء عائلة تشو الأصغر سناً، كما سجّلَت أن الملك تشنغ- والتزاماً منه بالعمل الذي ورثه من أخيه المتوفى الملك وو- قد نقل عاصمته إلى تشنغتشو. وتتفق هذه الوثيقة مع وثائق تاريخية مثل: «بقية وثائق تشو: نقل العاصمة»، وتؤكّد على أن مدينة تشنغتشو أُنشِئت في بداية حقبة سلالة تشو الغربية ليُعزِّز ملوكها سيطرتهم على الشرق وعلى البلاد ككل؛ ولهذا فهي أيضاً في غاية الأهمية لدراسة تاريخ مدينة لوهيانغ على وجه الخصوص وتاريخ سلالة تشو الغربية عموماً.

تم العثور على إناء «بان» شي تشيانغ في تشوانغباي، منطقة فوفنغ، مقاطعة شانشي عام 1976، وهو مثال آخر في ما يتعلق بهذه النقوش. وقد صُنِع هذا الإناء أثناء حكم الملك قونغ من سلالة تشو الغربية، ونُقِش عليه 284 حرفاً تتحدّث عن سجل منهجي لإنجازات ملوك تشو بدءاً من الملك وِن ووصولاً إلى الملك قونغ، وهذا بدوره يُقدِّم لنا مادة منهجية تتيح أمامنا المجال لدراسة هذا الجانب من تاريخ حقبة سلالة تشو الغربية. (الصورتان 2-12، 2-13)

ننتقل الآن إلى الصنف الثاني من الأمثلة: سجلات تعيين الأتباع. ففي عام 1931، كشف التنقيب في شيتسون، منطقة شيون، مقاطعة خهنان عن إناء ««قوي» صُنِع خلال حكم الملك تشنغ من سلالة تشو الغربية، وإن الحروف المنقوشة عليه تورد ما ذكرته لنا



الصورة 2-12 «بان شي تشيانغ» المصنوعة أثناء حكم الملك قونغ من سلالة تشو الغربية. تم العثور على هذا الوعاء في منطقة فوفنغ، شانشي عام 1976، ويُحتَفَظ به في متحف تشويوان في مقاطعة شانشي. يبلغ ارتفاعه 16.8 سم، وقطر فوهته 47.2 سم، ووزنه 12.5 كلغ، وعمقه 8.6 سم (تصوير سون تونغ تشاو)

سُمِّي هذا الوعاء على اسم «تشيانغ» من عائلة وي في مملكة تشو الغربية، وقد صُنِع تعظيماً لروح أسلافه. ووجود كلمة «شي» (التي تعني: التاريخ) في اسمه يشير إلى مهنة تشيانغ، إذ كان المؤرخ الرسمي.

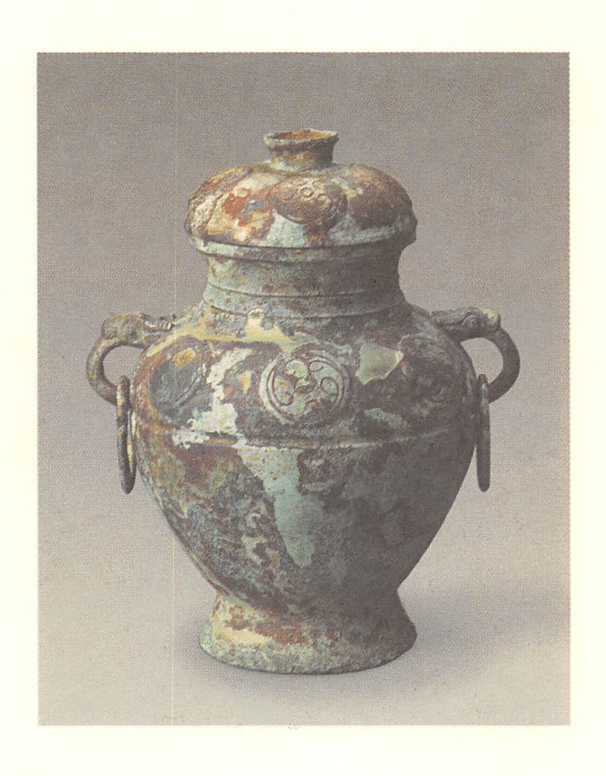
الصورة 2-13 يحمل إناء «بان شي تشيانغ» الذي يعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية نقوشاً كتابية في القسم السفلي من جانب الإناء الداخلي، وهي تتألف من 284 حرفاً مقسّمة على 18 سطراً. يشيد النصف الأول من النص بالإنجازات السياسية التي حققها ملوك سلالة تشو الغربية من الملك وِن إلى الملك مو، أما القسم الأخير فيسجل تاريخ عائلة وي.

قدّم لنا إناء «بان شي تشيانغ» مادة تاريخية مهمة لدراسة تاريخ حقبة سلالة تشانغ، ونظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. النقش في حد ذاته تحفة في فن الخط كُتِبت بأسلوب بسيط وأنيق، حيث تؤلف كل أربعة حروف جملة؛ وهذا أقدم نص تم اكتشافه يستخدم أسلوباً نثرياً بسيطاً وإيقاعياً.



كتب مثل «سجلات كبير المؤرخين: سير حياة وي كانغ شو»؛ حيث قال هذا الكتاب إن وو قنغ- ابن الملك تشو من سلالة شانغ- قد ثار ضد حكم عائلة تشو، فأرسل تشنغ من تشو الدوق تشو لقمع الثورة للمرة الثانية في حملة عسكرية انتهت بمقتل وو قنغ. كان على الملك تشنغ أن يُعزِّز حكمه، ويبسط سلطته على البلاد، ولذلك عيّن شخصاً يدعى كانغ شو دوقاً على وي- وهي مقاطعة تمتد بين النهر الأصفر ونهر تشي- ليُحكم سيطرته على من تبقى من أفراد سلالة شانغ.

أما إناءا «خه كه» و«لي كه» اللذان تم العثور عليهما في مقابر تعود إلى أوائل عهد سلالة تشو الغربية وتقع في بلدة ليوليخه، منطقة فانغشان، بكين عام 1986، فيحملان النقوش ذاتها على غطاءيهما وحول فوهة كل منهما، وهي نقوش تتألف من 43 حرفاً (الصورة 2-14)، وغايتها الأساسية توثيق تعيين الملك من سلالة تشو لشخص يدعى كه دوقاً على منطقة يان. وتُظهِر الأبحاث أن كه هو الابن الأكبر للدوق شوانغ من شاو الذي كان يحمل لقب الحامي الأعلى لسلالة تشو الغربية، وقد عُيِّن كماركيز يان الأول.



الصورة 2-14 «لي كه» من عهد سلالة تشو الغربية، تم العثور عليه في ليوليخه، منطقة فانغشان، بكين عام 1986

تطابق المعلومات المذكورة في هذه النقوش ما ورد في «سجلات كبير المؤرخين: سير حياة دوق شاو من يان»؛ حيث ذكر الكتاب ما يلي: «غزا الملك وو من تشو مملكة الملك تشو من شانغ، ثم منح الدوق شاو مقاطعة شمال يان». كما يتوافق ما ذكرته النقوش مع تعليقات سي ما تشن- المؤرخ في حقبة سلالة تانغ- حين قال: «عُيِّن الابن الأكبر دوقاً على يان، بينما ورث الابن الأصغر لقب دوق شاو». وأكّدت النقوش البرونزية أيضاً أن الموقع المكتشف في ليليوخه هو موقع عاصمة مقاطعة يان خلال أوائل حقبة سلالة تشو الغربية؛ ما يساعدنا في الوصول إلى المزيد من التبصر حول تاريخ بكين كعاصمة الصين القومية.

من النماذج الأخرى: «قوي» الدوق تسه من يي الذي تم العثور عليه في هضبة ياندون، منطقة دانتو، مقاطعة جيانغسو. وقد صُنِع هذا الإناء أثناء حكم الملك كانغ من سلالة تشو الغربية، ويحمل 120 حرفاً منقوشاً من الداخل على القسم الأسفل من جوفه. واستناداً إلى تلك النقوش، يبدو أن الملك كانغ قد أعاد تعيين الدوق تسه من يو كدوق على يي، وأعطاه السلطة على الأراضي والناس فيها. كما وفّرت هذه الكتابات معلومات مفصلة حول الإقطاعيات في أوائل عهد سلالة تشو الغربية، حيث كان الأتباع المخلصون يكافَأون بمنحهم الحكم على الأراضي والناس فيها. وتكمل هذه السجلات ما هو مذكور في كتاب الشعر «قصائد مديح لو: المعبد المهيب»، إذ ورد: «وبحسب ذلك، عَيَّن [الملك] دوق لو، وجعله «ماركيز» على الشرق، مُعطِياً إياه الهضاب والأنهار، والأراضي والحقول، مع الناس الذين يعيشون عليها».

الصنف الثالث من نماذج النقوش هو سجلات المكافآت بالإقطاعيات والأراضي. ومن الأمثلة عليها النقوش الكتابية على «تسون تشيان» التي صُنِعت خلال حكم الملك تشاو من تشو، والتي تُخبِر قصة إعطاء بعض المناطق إلى تشيان.

في عام 1969، تم العثور على يوي يونغ (إناء للماء) يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية في منطقة لانتيان، مقاطعة شانشي. وتُوثِّق النقوش الكتابية التي وُجِدَت على هذا الإناء أنه نزولاً عند أوامر الملك قونغ، قام الدوق يي بإعطاء قطعتَي أرض لمسؤول في الدولة يُدعى يونغ. وقطعتا الأرض هما منطقة يينيانغلوه، وقطعة أرض تنتمي إلى شيسوفو. وبحسب ما ذكره النص المنقوش على الإناء، كان شيسوفو موجوداً أيضاً في ذلك الوقت. ويُظهِر النص معلومة في غاية الأهمية؛ وهي أن ملوك سلالة تشو كانت لديهم سلطة استعادة الأراضي وإعطائها لأناس آخرين.



الصورة 2-15 «دينغ دايوي» مع النقوش الكتابية عليه. وهو يعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في منطقة مي في شانشي، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير نيه مينغ)

الصورة 2-16 زخارف على قوائم «دينغ دايوي» الذي يعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في منطقة مي في شانشي، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير نيه مينغ)

أما الصنف الرابع من الأمثلة فهو النصوص المنقوشة التي توثِّق تقديم الناس والعبيد والأشياء الأخرى. ومن نماذج هذا النوع «دينغ دايوي» الذي تم العثور عليه في منطقة مي في مقاطعة شانشي في السنة الأولى من حكم الإمبراطور داوقوانغ من سلالة تشينغ، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (الصورتان 2-15، 2-16). صُنِع الوعاء أثناء حكم الملك كانغ من سلالة تشو الغربية، ونُقِش على جدرانه الداخلية نص يتألف من 291 حرفاً. وذكَرَ النقش أن الملك كانغ في السنة الثالثة والعشرين من حكمه كافأ مسؤول الدولة النبيل يوي بإهدائه عدداً كبيراً من الناس ويبلغ 1726 شخصاً، منهم 17 شخصاً من عشائر أخرى و1709 مدنيين.

علينا أن نوضِّح هنا أن هناك عدداً وفيراً من النقوش الكتابية البرونزية حول مِنحٍ تشمل مصنوعات برونزية شعائرية، وثياباً رسمية، وعربات، وأحصنة... ولذلك لن نشير إليها هنا.

خامس الأصناف هو أسعار البشر؛ إذ إن الباحثين لم يعثروا في الوثائق التاريخية التي وقعت بين أيديهم على أي إشارة إلى أسعار بيع العبيد في العصور القديمة، والمعلومات الوحيدة التي توفرت لديهم في ما يتعلق بذلك هي تلك المذكورة في النقوش الموجودة على قدر «دينغ ليو» التي تعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. وقد تم العثور عليها في مقاطعة شانشي أثناء حقبة سلالة تشينغ. وبحسب ما يَذكُر النص المنقوش على القدر، قُدِّرت قيمة خمسة عبيد بحصان واحد وبعض الحرير في بداية الأمر، ثم انتهت المعاملة التجارية بثمن آخر هو مئة هوان (الهوان وحدة للوزن كانت تستخدم في الصين القديمة، حيث يعادل الهوان الواحد حوالي 300 غ) من النحاس؛ ما يعني أن ثمن العبد الواحد كان 20 هوان من النحاس، الأمر الذي يُظهِر أن العبيد كانت لديهم قيمة مادية أقل، ووضع اجتماعي أدنى حتى من الأبقار والأحصنة!

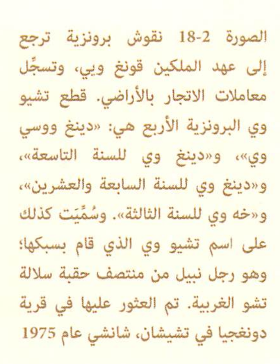
أما سادس أصناف الأمثلة فهو توثيق معاملات بيع الأراضي وشرائها. ومن نماذج هذا الصنف «خه وي» الذي تم العثور عليه في قرية دونغجيا، منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي عام 1975. تم سبكه في السنة الثالثة من حكم الملك قونغ من سلالة تشو الغربية (الصورتان 2-17، 2-18)، ويحمل الإناء نقوشاً كتابية دَوَّنَت أن تشيان وي بادل ما قيمته مئة بنغ من الفرو والجاد بـ 13 قطعة من الأراضي التي يمتلكها جوبو. ولكن، بحسب ما ذكرته النقوش، إن المعاملة كانت تحتاج إلى موافقة بو يي فو وغيره من الوزراء الذين كان عليهم أن يرسلوا مسؤولي الدولة «سي تو» و«سي ما» و«سي قونغ»



الصورة 2-17 «خه وي» تعود إلى السنة الثالثة من حكم الملك قونغ من سلالة تشو الغربية (حوالي السنة 920 قبل الميلاد)، ويُحتفَظ بها في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير هاو تينغ)







الصورة 2-18 نقوش برونزية ترجع إلى عهد الملكين قونغ ويي، وتسجِّل معاملات الاتجار بالأراضي. قطع تشيو وي البرونزية الأربع هي: «دينغ ووسي وي»، و«دينغ وي للسنة التاسعة»، و«دينغ وي للسنة السابعة والعشرين»، و«خه وي للسنة الثالثة». وسُمِّيَت كذلك على اسم تشيو وي الذي قام بسبكها؛ وهو رجل نبيل من منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليها في قرية دونغجيا في تشيشان، شانشي عام 1975

للإشراف على معاملات الأراضي. ويظهر هذا السجل بداية ضعف سلطة الولايات على ملكية الأراضي؛ وهي السياسة التي اتبعتها دولة تشو الغربية في أوائل حكمها، وتعكسها تعابير مثل: «كل ما هو موجود تحت السماء الفسيحة مُلكٌ للمَلِك، وكل من هم داخل الأراضي التي تحدها البحار خدم للملك»، وكذلك أوامر مثل: «تُحظَّر المتاجرة بالأراضي»، إذ لم يكن بيع الأراضي وشراؤها مسموحين إلا للنبلاء. وتُظهِر جميع هذه الوقائع بداية انحسار نظام العبودية في منتصف عهد سلالة تشو الغربية وآخره.

سابع أصناف الأمثلة هو سجلات طقوس تقديم القرابين وإعطاء المكافآت التي كان ملوك سلالة تشو يقيمونها. وبحسب ما سجله كتاب «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة الثالثة عشرة من دوق تشنغ من لو»، «كانت أهم شؤون الدولة هي العبادات والحملات العسكرية» أيام سلالتَي شانغ وتشو. وبما أن غالبية المصنوعات البرونزية الشعائرية كانت في الواقع أوعية لتقديم القرابين، فثمة سجلات كثيرة تتناول طقوس تقديم القرابين في النقوش الكتابية. فعلى سبيل المثال، وثّقت النقوش على «دينغ لا» المحفوظ في متحف قوانغتشو طقوساً عقدها الملك مو من تشو تكريماً لوالده الملك تشاو.

كما توجد الكثير من النقوش التي تذكر كيف قام ملوك تشو بإضفاء ألقاب على رعاياهم، مثل وعاءَي «هو سونغ» اللذين يعود زمن صناعتهما إلى وسط عهد سلالة تشو الغربية وآخره، والموجود أحدهما في متحف الصين الوطني، بينما يتواجد الآخر في متحف القصر الوطني في تايبي (الصورة 2-19). وتتألف النقوش عليهما من 151 حرفاً دوِّنت بتفصيل دقيق تاريخ تعيين كل مسؤول في الدولة، واسمه ومكان تعيينه،

والمسؤول المرافق في المراسم، ومحتوى المرسوم الإمبراطوري القاضي بتعيينه، وطلب تقدمة الجاد من المسؤول المُعيَّن. لا شك في أن هذه النقوش الكتابية تتضمن معلومات أكثر دقة من الوثائق التاريخية الأخرى مثل: «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة الثامنة والعشرون للدوق شي من لو» والتي تصف مراسم تعيين الملك شيانغ من تو للدوق وِن من جين. وتظهر هذه السجلات وجود نظام مكتمل لمنح الألقاب في منتصف عهد سلالة تشو الغربية وأواخره؛ ولذلك كانت من المراجع المهمة في دراسة الطقوس الدينية ونظام تعيين مسؤولي الدولة أثناء حقبة سلالة تشو الغربية.

أما ثامن أصناف الأمثلة فهو تعليمات ملوك سلالة تشو وأوامرهم إلى رعاياهم، وقصائد الرثاء التي تذكر مآثر الأسلاف وإنجازاتهم وفضائلهم.

لقد تم سبك قدر «دينغ ماودينغ» خلال حكم الملك شوان من سلالة تشو الغربية. ويُقال إنه قد تم العثور عليها في منطقة تشيشان في مقاطعة شانشي أثناء حكم

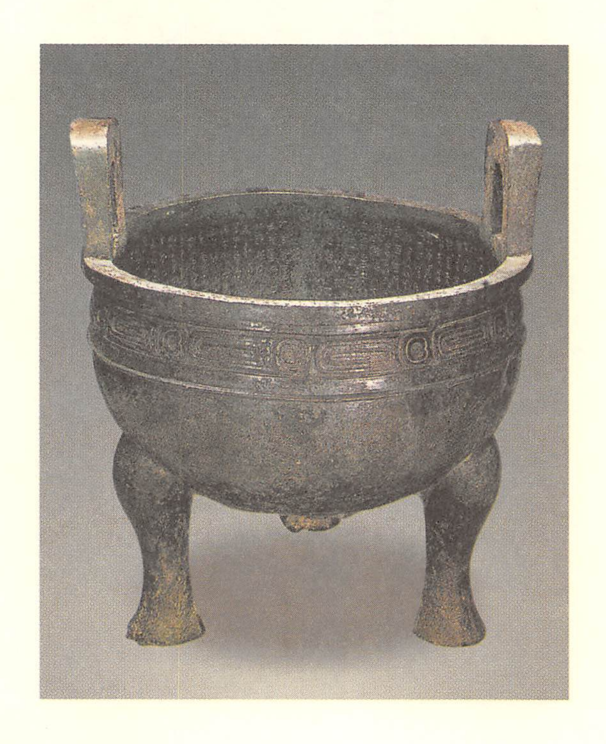


الصورة 2-19 «هو سونغ» من أواخر حقبة سلالة شو، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني. النقوش الداخلية حول عنق الإناء تُظهِر سجلاً كاملاً بمراسم تعيين المسؤولين التي كان ملوك سلالة تشو يعقدونها. وتدعم هذه النقوش ما هو مذكور في وثائق تاريخية أخرى مثل: «طقوس تشو» و«حوليات الربيع والخريف لتسوه» (تصوير كونغ لان بينغ)



الإمبراطور داوقوانغ من سلالة تشينغ، ويُحتفَظ بها الآن في متحف القصر الوطني في تايبي (الصورة 2-20)، وعليها أطول نقش صيني تم اكتشافه حتى الساعة على آنية برونزية؛ إذ يوجد 499 حرفاً سُجِّلت فيها التعليمات الإمبراطورية إلى الدوق ماو حينما تم تعيينه في منصبه. وتصف الكلمات المنقوشة حالة عدم الاستقرار السياسي في المجتمع أثناء حقبة سلالة تشو الغربية؛ فقد قال الملك شوان للدوق ماو إن عليه أن ينقذ العائلة الحاكمة من الانهيار، ولفعل ذلك عليه أن يحكم أتباعه ويعمل بجد، كما عليه ألا ينغمس في شرب الخمر، وأن يتجنب إهانة المفجوعين ويسعى بذلك إلى مساعدة الحاكم في إدارة شؤون البلاد. وكرر الملك تعليماته أكثر من مرة في النص المنقوش بكلمات تعبّر عن قلق الملك واضطرابه.

كما تمدح الكثير من النقوش الكتابية البرونزية في عهد سلالة تشو الغربية الأسلاف، مُعدِّدة مآثرهم ومناقبهم وفضائلهم. ومن النماذج على ذلك، النقوش على قدر «دينغ شيوانغ» التي تم سبكها خلال عهد الملك قونغ من تشو، والتي قام صاحبها



الصورة 2-20 «ماوقونغ دينغ» من عهد سلالة تشو الشرقية. تم العثور عليه في منطقة تشيشان، شانشي في آخر سنوات حكم الإمبراطور داوقوانغ من سلالة تشينغ، ويُحتفظ به الآن في متحف الصين الوطني (تصوير سون تونغ تشاو)

بسبكها ونقش هذه الكلمات عليها «لتعظيم والده الدوق قوي الذي كان رجلاً ذا فضيلة عالية، وللتأمل في تصرفاته الأخلاقية الخاصة. وقد تم إظهار مناقبه أمام الملك الذي منحه ألقاباً»، ولذلك «تم سبك الدينغ لعبادة روح الدوق قوي، وليتم توارثها بعد ذلك ضمن الأجيال التالية».

تاسع الأصناف التي نورد أمثلة عليها هو النظام العسكري أيام سلالة تشو الغربية، وقيام جيوش تلك الدولة بغزو الأقليات الإثنية في المناطق المحيطة بأراضيها. لم تسجّل لنا الوثائق التاريخية القديمة المتعلقة بهذه المسألة إلا وجود ستة فيالق في جيش دولة تشو الغربية. ولكن النقوش البرونزية التي تم اكتشافها، والتي تعود إلى تلك الحقبة التاريخية أظهرت أنه وبالإضافة إلى هذه الفيالق الستة، كانت لدى جيش ملوك سلالة تشو الغربية قوات أخرى هي فيالق تشنغتشو الثمانية، أو فيالق سلالة يين الثمانية. وقد ذُكِرت هذه الفيالق في نقوش «دينغ يوي» الذي تم العثور عليه في قرية رنجيا في منطقة فوفنغ، محافظة شانشي عام 1942. تم سبك «دينغ يوي» أثناء حكم الملك لي من تشو، والفيلق إجمالاً اسم لوحدة من الجيش، وبحسب ما ذكره كتاب «طقوس تشو: مناصب الصيف: المقدمة»، ضم كل فيلق حوالي 12,500 جندي. (الصورة 2-21)

توجد سجلات بالحملات العسكرية التي قام بها ملوك سلالة تشو الغربية على الأقليات العرقية حولهم في النقوش التي وُجدَت على إناء «بان قوه جيتسيباي» الذي تم سبكه في أواخر حقبة سلالة تشو الغربية، والذي تم العثور عليه أثناء حكم الإمبراطور داوقوانغ من سلالة تشينغ، ويُحتفَظ به الآن في متحف الصين الوطني (الصورة 2-22). هذا الإناء هو أكبر إناء من نوع بان تم اكتشافه حتى اللحظة، ويوجد في جوفه 111 حرفاً نُقِشت لتدوِّن نصر قوه جيتسي



الصورة 2-21 وعاء «دينغ يوي» الذي يعود إلى فترة حكم الملك لي من سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في فوفنغ، شانشي؛ من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)



باي في غزوته على شيانيون؛ وهو اسم لمجموعة عرقية توجد في الشمال الغربي، وهم أجداد الهون (الشعب المحارب الذي غزا أجزاء كبيرة من أوروبا تحت إمرة ملكه الشهير أتيلا في القرن الخامس الميلادي). وقد كافأ ملك تشو لواء الجيش في مأدبة في المعبد الإمبراطوري. كُتِبت النقوش في أسطر يتألف كل منها من أربع كلمات، وبنمط لا نظير له في بناء الجمل، يحفل بالكلمات المسجعة بانتظام؛ ما يجعل من هذا النص قصيدة نثرية في غاية الجمال.

عاشر صنف من أصناف الأمثلة هو الأحكام القضائية. وينص «كتاب التاريخ: الماركيز ليوي حول العقوبات»: «ثمة ثلاثة آلاف عقوبة تحت خمس فئات رئيسة للعقوبات». وقد انعكست هذه الحقيقة بشكل واضح في النقوش البرونزية التي تعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية، مثل تلك الموجودة على «يي يينغ» الذي تم سبكه في منتصف وأواخر عهد سلالة تشو الغربية، وتم العثور عليه في قرية دونغجيا، منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي عام 1975. تجتمع الحروف المكتوبة على هيكل الإناء لتشكل نصاً متكاملاً يتألف من 157 حرفاً، ويسجِّل الحكم القضائي بشأن مو نيو الذي خسر دعوى قضائية ضد رئيسه يينغ، فحُكِم عليه بالوسم وبألف جلدة بالسوط، ثم خُفِّف الحكم

الصورة 2-22 «بان قوه جيتسي باي» الذي يعود إلى فترة حكم الملك شوان من سلالة تشو الغربية. يبلغ طول الإناء 39.5 سم ومحيط فوهته 137.2 سم، وقطر فوهته 86.5 سم، ووزنه 215.3 كلغ. تم العثور عليه في قوه تشوانسي في باوجي، شانشي، أثناء حكم الإمبراطور داو قوانغ من سلالة تشينغ؛ معرض المجموعات المختارة في متحف الصين الوطني الذي عُقِد في متحف مقاطعة هاينان في 19 نيسان 2009 (تصوير يانغ شينغ بين)

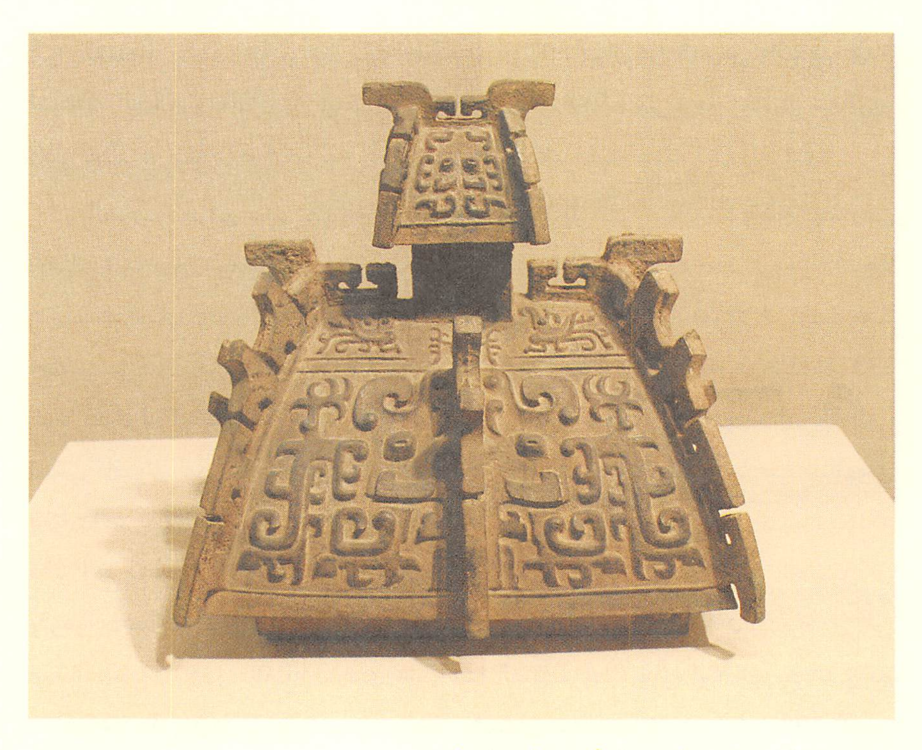


إلى خمسمئة جلدة وعوِّض عن بقية الحكم بدفع 300 هوان من النحاس والتعهد بعدم استئناف الحكم. وبعد أن فاز يينغ بالقضية، قام بنقش الحكم على وعاء برونزي شعائري، وهو يعتبر مرجعاً مفصلاً لدراسة النظام القانوني أثناء حقبة سلالة تشو الغربية.

الصنف الحادي عشر هو النشاطات التجارية أثناء حقبة سلالة تشو الغربية. ومن الأمثلة عليه «بان شيجيا» الذي تم سبكه في حقبة سلالة سونغ. لم نجد اليوم إلا نسخة عن هذه الآثار، وتم الحصول عليها من خلال حكها على الورق، أما الإناء نفسه فقد اختفى من دون أثر، ويظهر من هذه النسخة أنه نُقِش في أسفل الإناء من الداخل 133 حرفاً تقول إن التجارة بين عامة الناس والأتباع من ناحية، وبين المجموعة العرقية التي تدعى نانهواي من ناحية أخرى قد تطورت إلى مستوى عالٍ. اشتهر شعب النانهواي بإنتاج الحرير والنحاس والقصدير، وقد تركت هذه التجارة أثراً عميقاً على اقتصاد مملكة تشو الغربية، ولذلك فرض الحكام قوانين صارمة تتطلب من التجار من الجانبَيْن أن يقوموا بأعمالهم في سوق خصصتها وأدارتها السلطات الرسمية وإلا فسيتعرضون إلى أشد العقوبات. ومن الأمثلة الأخرى على هذا الصنف غطاء «يي لو» المربع الذي تم العثور عليه في قرية ليولونغتسوي، منطقة تشيشان، محافظة شانشي عام 1981 (الصورة 2-23)، وقد صنع أثناء حكم الملك قونغ من سلالة تشو الغربية. وتوضِّح النقوش عليه أن لو من ولاية تشي هو صانع الوعاء، وأنه قد حصد أرباحاً من أعماله التجارية. ويتفق مضمون النقوش التي وُجِدَت عليه مع كتب مرجعية كلاسيكية في التاريخ مثل: «سجلات كبير المؤرخين: سير حياة ولاية تشي» التي وثّقت أن الولاية أولت أهمية كبرى للتطور الاقتصادي منذ أن تولى الدوق تاي من تشي الحكم فيها. وتشير جميع هذه الوقائع إلى الازدهار الاقتصادي الذي شهده عهد سلالة تشو الغربية.

ومن المحتويات الأخرى الجديرة بالملاحظة أثناء حقبة سلالة تشو الغربية تسجيلُ مراحل القمر، الذي أشار إلى مراحل نمو القمر.

التزم أسلوب الكتابة في أوائل حقبة سلالة تشو الغربية بالأسلوب الذي كان مُتبّعاً في أواخر حقبة سلالة شانغ، والذي يتميز بضرباته المتقوسة السريعة وأشكاله وأحجامه غير المنتظمة وعنفوانه. ومن الأمثلة عليه «دينغ دايوي» الذي ذكرناه سابقاً. لكن مع حلول منتصف تلك الحقبة وآخرها، حصل تحوّل في الأسلوب، حيث صار التركيز على أشكال مربعة أكثر أناقة، وقوة أكثر توازناً، وضربات أكثر دقة. وظهر هذا الأسلوب- الذي



الصورة 2-23 غطاء «يي» المربع الذي يعود إلى أواخر حقبة تشو الغربية، والذي تم العثور عليه في قرية ليولونغتسوي في منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي، ويُحتفَظ به في متحف مقاطعة شانشي (تصوير تشانغ فِن تشوان)

عُرِف باسم أسلوب يويتشو- في النقوش على «بان قوه جيتسي باي». وبحسب ما ذكرته المصادر التاريخية، تم اعتماد أسلوب يويتشو في كتابة خمسة عشر مقالاً في «تاريخ من تأليف تشو» الذي ألّفه المؤرخ الرسمي أثناء حكم الملك شوان من تشو. وفي كتاب «شوه وِن جيه تسي» (شرح الحروف وتحليلها) الذي جمعه شو شِن الذي عاش في حقبة سلالة هان الشرقية، تم تعريف الكتابة في عصر تشو من خلال خط الأختام الكبيرة، والمعروف أيضاً باسم: كتابة تشو.

| الرماح البراقة والأحصنة المدرعة - تحسين الأسلحة البرونزية وتجهيزات العربات والأحصنة

شهد عهد سلالة تشو الغربية تطوراً وتحسناً في الأسلحة البرونزية. فقد اتخذ السلاح الرئيس قه (الفأس ذات الخنجر) أشكالاً كثيرة، حيث سُبِك الكثير منها مع ذيل إضافي قصير (ويدعى هو) تحت القسم الخلفي من النصل، كما تم صنع فتحة للوتد على هو تُدعى تشوان، يمكن من خلالها ربط الفأس ذات الخنجر مع مقبضها. كانت أكثر أنواع الفؤوس ذات الخناجر شيوعاً هي تلك التي لديها هو قصير وفتحة وتد واحدة، أو تلك التي لديها هو متوسط الطول وفتحتا وتد. وقد جعل تصميم كل من هو وتشوان الرابط بين الفأس ووتده أقوى وأوثق، مُعطِياً المحارب قدرة قتالية أكبر. كما ظهر أيضاً سلاح جي (المطرد) مصلب الشكل في ذلك الوقت، وهو يجمع بين صفات الفأس ذات الخنجر والرمح. ويتميز المطرد مصلب الشكل الذي تم العثور عليه في قبر ماركيز وي في قرية شين، منطقة جيون، مقاطعة خهنان بشفرته المستقيمة وفتحة الوتد المستديرة، والني (القسم الخلفي) المستقيم، والحربة أعلاه، وبالهو الطويل فيه وفتحتي الوتد في طرفه. نُقِش الحرف الصيني عليه «侯»، ويعني الماركيز. وتم العثور على مطرد آخر مصلب الشكل في قبر الماركيز يان في أوائل حقبة سلالة تشو الغربية في ليوليخه، منطقة فانغشان، بكين، وكانت في أعلاه حربة تشبه السكين، وهي ذات شفرة حادة في مقدمتها، وخطاف في جانبها الخلفي، كما وُجِدَت عليهِ النقوش «燕侯舞戈». ويدعى هذا السلاح قوجي أو جي.

السيف سلاح قصير للقطع والطعن، وقد ظهر للمرة الأولى في أواخر حقبة سلالة شانغ في بعض مناطق الأقليات العرقية في الشمال؛ مثل السيف ذي المقبض المقوس الذي نُقِش عليه رأس الماعز، والذي تم العثور عليه في تشاوداوقو في منطقة تشينغلونغ، مقاطعة خهبي. كما شهد عهد سلالة تشو الغربية ظهور الكثير من السيوف البرونزية في السهول الوسطى؛ وهي المنطقة الواقعة على تخوم النهر الأصفر السفلى والتي تعتبر مهد الحضارة الصينية.

تم العثور على سيوف برونزية في تشانغجيابو، مدينة تشانغآن، وفي قرية خهجيا في منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي، وفي بايتساوبو في منطقة لينغتاي، مقاطعة



الصورة 2-24 سيف برونزي وغمده يعودان إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في ليليوخه في منطقة فانغشان، بكين؛ من المعرض في متحف العاصمة (تصوير كونغ لان بينغ)

قانسو، وفي ليوليخه في منطقة فانغشان، بكين (الصورة 2-24). وتتميز هذه السيوف في الغالب بشكل ورقة الصفصاف المنقوشة عليها، وشفرتها المستقيمة ذات الحدين والمحززة في وسطها، ومقبضها المسطح والمستقيم. وجميع هذه السيوف قصيرة، ومن دون عجرة في أطراف مقابضها. كما تم العثور على السيف البرونزي الذي يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية في تشانغجيابو في مدينة شانغآن، وكانت لديه شفرة قصيرة. وبرزت الخناجر أيضاً أثناء تلك الحقبة، مثل الخنجر ذي العجرة التي تشبه الجرس، والذي يعود إلى أوائل زمن تلك الحقبة، وتم العثور عليه في بايفو، منطقة تشانغبينغ، بكين.

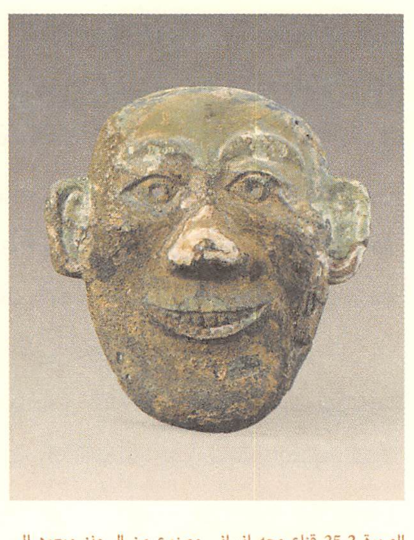
كما تحسّنت الدروع الخشبية المطلية أثناء تلك الحقبة. وكانت مرصعة بزينة برونزية تدعى يانغ، فضلاً عن كونها دائرية أو على شكل وجوه إنسانية أو أقنعة حيوانية (الصورتان 2-25، 2-26). تعزّز هذه الزينة البرونزية من قوة الدرع، كما تضفي عليها مظهراً أكثر هيبة أمام الأعداء. ومن الأمثلة على هذه الدروع، الدرع المصنوعة من الخشب المطلي والتي تعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية، والتي تم العثور عليها في قبر ماركيز يان في ليوليخه في منطقة فانغشان، والمطلية باللونين الأحمر الزاهي والأسود، والمرصعة بزينة يانغ بأشكال دائرية وماسية، وأشكال وجوه إنسانية، كما نُقِش الحرفان: على وجهها الخلفي. (الصورة 2-27)

كما تطوّرت أيضاً تجهيزات الأحصنة والعربات، وانعكس ذلك على تحسّن تصميم العربات المبنية أثناء حقبة سلالة تشو الغربية مقارنة بتلك المبنية أثناء حقبة سلالة شانغ. وشملت المكونات البرونزية الجديدة أشياء مثل: مسمار المحور، والزخارف التي تزين محور الدولاب، وقضيب الجر الأفقي، بالإضافة إلى غطاء العربة. عادة،

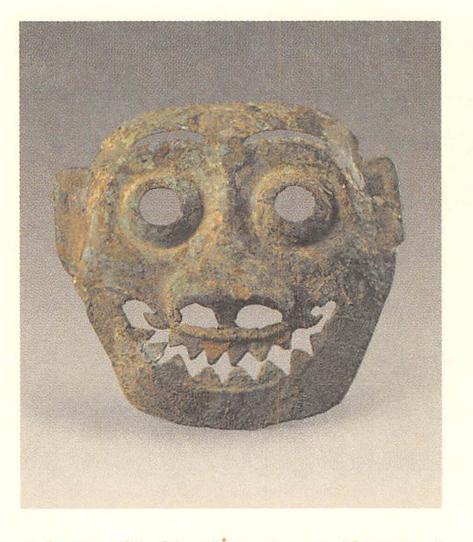


تُلَف حول المحور لتأمين فوتو، أي العارضة في المحور. أما القسم الخارجي من جيان فشكله يشبه اللوح المسطح، ويُستخدم لحماية محور الدولاب من الداخل. خلال حقبة سلالة تشو الغربية، كانت العارضات عادة تتّخذ شكلاً مقوساً يشير طرفاه إلى الأعلى، وكانت لبعضها إضافات مجوفة على شكل رأس حربة قد رُبِطت على كل من الطرفين، أما بعضها الآخر فكان مُحاطاً بأنابيب برونزية طرفها الأول أملس والآخر مسنن. وتشير كلمة لوان إلى الجرس الصغير الرنان الموضوع على الحصان أو العربة، ويتألف من منصة رباعية شبه منحرفة وجرس عريض، وكان يُثَبَّت على العارضة في المقدمة، أو على نير العربة. هذا وقد سجّل لنا «كتاب الشعر لهان يينغ» وظيفة هذا الجرس حين أورد فيه ما يلي: «حين يُثبَّت لوان على العارضة فسوف يتحرك الحصان حين ترتفع العربة، فيبدأ الجرس بالرنين». والأهم من ذلك كله أن أغطية العربات ظهرت في حقبة سلالة تشو الغربية، وكانت غالباً ما تشبه المظلة، وقد تم العثور على بعضها في حُفر حيث وُضعَت الأحصنة والعربات التي تعود إلى تلك الحقبة في ليوليخه في منطقة فانغشان في بكين. وأهم ما في هذه التجهيزات الجديدة هو أنها تضيف إلى المتانة والجمال إلى العربات، مُميِّزةً العربات التي تعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية عن نظيرتها التي تعود إلى حقبة سلالة شانغ. (الصورتان 2-28، 2-29)

تشمل تجهيزات الأحصنة الجديدة في حقبة سلالة تشو الغربية أيضاً تاج الحصان؛ وهو قطعة زينة تشبه المروحة ومزينة بأشكال أقنعة الحيوانات، تتخلل حوافها ثقوب، حيث يتم تمرير أربطة جلدية فيها لتعلق على وجه الحصان. كما أصبح استخدام اللجام- الذي يدعى دانغلو- شائعاً في تلك الحقبة، ولمعظمها جزءان يشبهان القرون يوضعان في القسم الأعلى من التاج، بالإضافة إلى قسم أوسط مستدير يتبعه قسم مستطيل. وتمتعت زينة اللجام مثل تلك المسماة جياوبياو، والقطع المشابهة للقرون بشعبية كبيرة في تلك الفترة. ومن التطورات الأخرى التي شهدها ذلك الزمن وجود زخارف جديدة على اللجام مثل الزينة التي تدعى «جيه يويه»، والتي كانت مصلبة الشكل في بعض الأحيان وتشبه الأنبوب في أحيان أخرى.



الصورة 2-25 قناع وجه إنساني مصنوع من البرونز ويعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في هوانغتوبو في ليوليخه في منطقة فانغشان في بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في معهد أبحاث علم الآثار في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية



الصورة 2-26 قناع وجه حيواني من أوائل حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في هوانغتوبو في ليوليخه في منطقة فانغشان في بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في معهد أبحاث علم الآثار في الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية

يكون مسمار العجلة البرونزي مربع الشكل، وطرفه الأعلى أكبر من طرفه الأسفل، وقد استُخدِم ليحل محل مسمار المحور الخشبي الذي كان يُستَخدم أثناء حقبة سلالة شانغ؛ حيث يوضع في ثقوب الاحتجاز لشدّ محور العجلة أكثر وبطريقة أقوى. أما قطع الزينة التي تُضاف إلى محور العجلة فتُعزِّز من وظيفتها، وتحافظ على استقامتها لتجنّب الميل فيها.

تُعرَف قطع الزخارف الموضوعة على محور العربة باسم: جيان، وهي

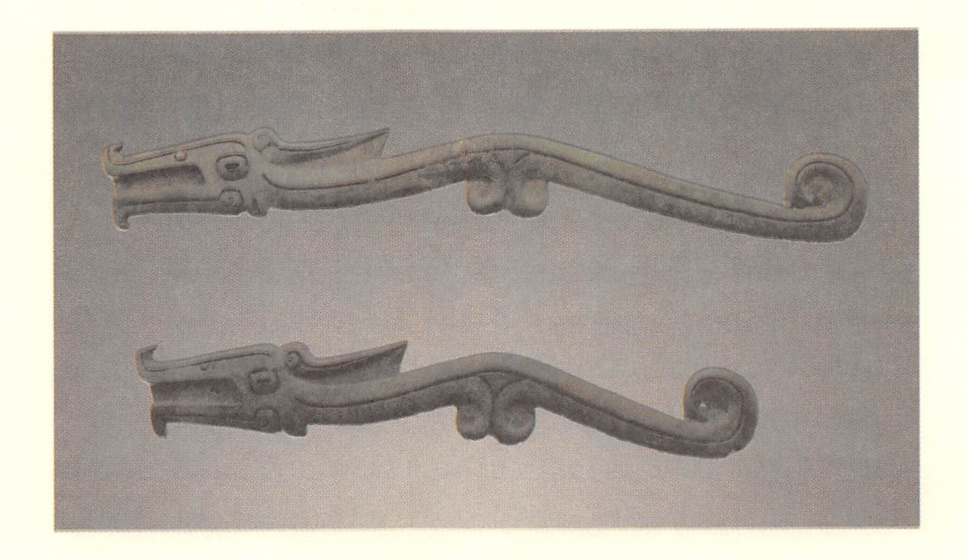


الصورة 2-27 الوجه الآخر من «يانغ» ماركيز يان، وهذه الدرع البرونزية ترجع إلى أوائل حقبة سلالة تشانغ الغربية، وقد نُقِش عليها الحرفان «燕侯»، وتم العثور عليها في ليوليخه في منطقة فانغشان، بكين، ويُحتفَظ بها في متحف العاصمة (تصوير كونغ لان بينغ)



(في الأعلى) الصورة 2-28 قطع من تجهيزات للأحصنة والعربات تعود إلى أوائل حقبة تشو الغربية، وقد تم العثور عليها في ليوليخه في منطقة فانغشان، بكين، ويُحتَفَظ بها في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)

(في الأسفل) الصورة 2-29 قطعتان من التجهيزات المخصصة للأحصنة والعربات والتي تعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية، ويُحتَفَظ بها في متحف لوه يانغ في خهنان (تصوير نيه مينغ)





| النظام الجنائزي الهرمي في حقبة سلالة تشو الغربية

لم يتم حتى الساعة الكشف عن أي من أضرحة ملوك سلالة تشو الغربية، رغم أنه تم العثور على أضرحة ضخمة لبعض أتباع أولئك الملوك، ومنها مقابر ماركيز وي وزوجته التي تم الكشف عنها في شيتسون، منطقة جيون، مقاطعة خهنان، ومقابر الماركيز يان في ليوليخه، منطقة فانغشان، بيك، وكذلك مقابر الماركيز جين التي تم العثور عليها في قرية بيتشاو، منطقة تشووو، مقاطعة شانشي. وتتسم هذه القبور بترتيبها المنتظم، حيث وُضِعت الأضرحة كبيرة الحجم في الجهتين الشرقية والغربية، أما تلك الصغيرة ومتوسطة الحجم فقد وُضِعت في النصف. ويُظهِر ذلك الترتيب العادةَ التي كانت سائدة في حقبة سلالة تشو الغربية؛ وهي دفن النبلاء من العائلة ذاتها معاً. وبحسب كتاب «طقوس تشاو: مناصب الربيع: الشخص المسؤول عن المقبرة» كانت مجموعات القبور تلك يُشار إليها بالفعل بكلمة: «المقبرة».

وبالنسبة إلى القبور الموجودة في شيتسون، فقد تعرضت للنهب من قبل اللصوص، واختفت معظم الأدوات التي دُفِنت مع الموتى فيها. فعلى سبيل المثال، لم يبقَ في ضريح كبير يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية إلا عدد قليل من المصنوعات البرونزية وهي «دينغ» و«دوي» و«جيويه» و«تسون» و«يو»، بالإضافة إلى عدة تجهيزات للأحصنة والعربات، وكذلك القليل من الأسلحة. وبما أن بعض المطارد التي تم التنقيب عنها في ذلك القبر تحمل النقش «侯»، فلا بد أن القبر يعود إما إلى ماركيز وي أو إلى زوجته. هذا وقد تم الكشف عن بقايا 12 عربة، و72 حصاناً، وثمانية كلاب في حفرة كبيرة في المقبرة مُخصَّصة للعربات والأحصنة.

أما قبور ماركيز يان فتقع شمال غرب قرية هوانغتوبو في ليليوخه، منطقة فانغشان في بكين، جنوب شرق آثار عاصمة ولاية يان أثناء حقبة سلالة تشو الغربية، حيث تقع اليوم قرية جونغجيالين، وكذلك شرق خط سكة الحديد الذي يصل بين بكين وقوانغتشو. وقد تعرّضت هذه القبور للنهب أيضاً، ولم يتبقَّ إلا عدد قليل من المصنوعات البرونزية الشعائرية وبعض الأسلحة وتجهيزات الأحصنة، وتشمل المصنوعات البرونزية المتبقية خه كه ولي كه، وقد سبقت الإشارة إليهما؛ وتثبت هذه المصنوعات البرونزية أن القبور تعود إلى الماركيز كه من يان. تُظهِر الأبحاث أن كه الابن الأكبر للدوق شوانغ من شاو قد

حل محل دوق شاو كحاكم على مناطق يان، وقد تحوّل لقبه إلى أول ماركيز ليان. (الصورة 2-30)

تقع مقبرة ماركيز جين على بعد كيلومتر واحد جنوب غرب قرية بيشتاو، منطقة تشو وو، مقاطعة شانشيي، وهي تشكّل جزءاً مهماً من تيانما؛ وهي الكلمة التي تشير إلى آثار مقاطعة جين في بلد تشوتسون. أُنشئت الأضرحة التي دُفِن فيها ماركيز جين مع زوجته عبر فترة طويلة من الزمن امتدت بين عهدَي الملكين تشاو ومو من سلالة تشاو الغربية إلى أوائل حقبة الربيع والخريف. وقد تم العثور على كميات كبيرة من مصنوعات البرونز والجاد الشعائرية، وكذلك على المنحوتات الحجرية. وتحمل بعض المصنوعات البرونزية نقوشاً تؤكد أن المقبرة تعود إلى ماركيز جين الذي عاش أثناء حقبة سلالة تشو الغربية (الصورتان 2-31، 2-32). هذا وقد سُرقت أجراس من ضريح الماركيز سو من جين وبيعت إلى هونغ كونغ، لكنّ متحف شانغهاي عاد واشتراها.

تُظهِر النقوش المحفورة على هذه المصنوعات البرونزية أن إنشاء الضريح يعود إلى زمن الماركيز شيان من جين، أي تقريباً في عهد الملك شوان من سلالة تشو الغربية. كما كشف التنقيب في القبر نفسه عن وجود مجموعة من لواحق الأحزمة القماشية

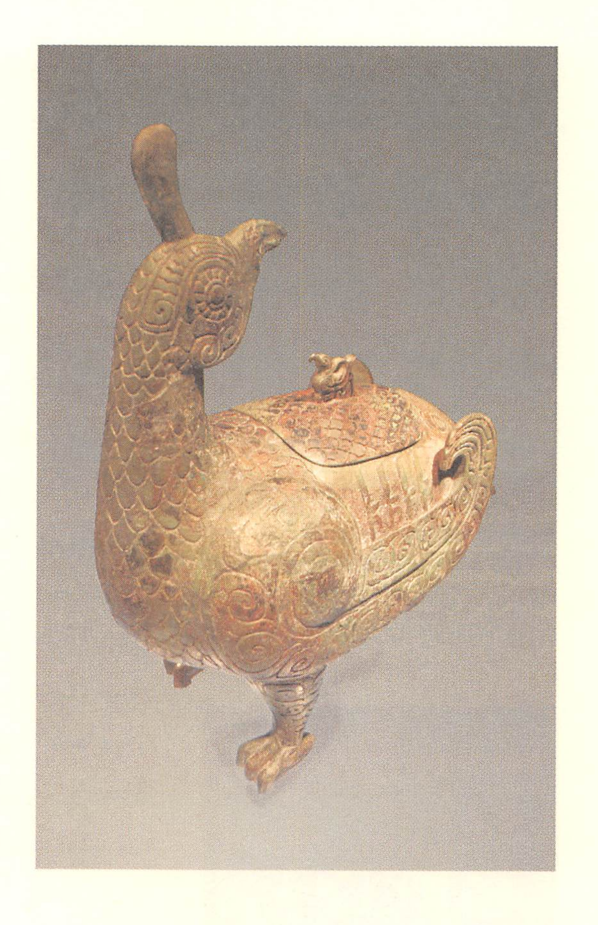


الصورة 2-30 «خه كه» يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية، وقد تم العثور عليه في القبر رقم 1193 في ليليوخه، منطقة فانغشان، بكين. ويُحتفَظ به في متحف العاصمة



الصورة 2-31 وعاء «هو» يعود إلى الماركيز «بو ما» من جين الذي عاش أثناء حقبة سلالة تشو الغربية. وقد تم العثور عليه في قرية بيتشاو في تشووو، شانشي. من معرض «علم الآثار والاكتشاف» في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)





الصورة 2-32 «تسون» منحوت على شكل طائر، ويعود إلى ماركيز جين في حقبة سلالة تشو الغربية. يبلغ ارتفاعه 39 سم، وطوله 30.5 سم، وقد تم العثور عليه في ضريح جين في شانشي، ويُحتَفَظ به في متحف شانشي (تصوير هوانغ شو)

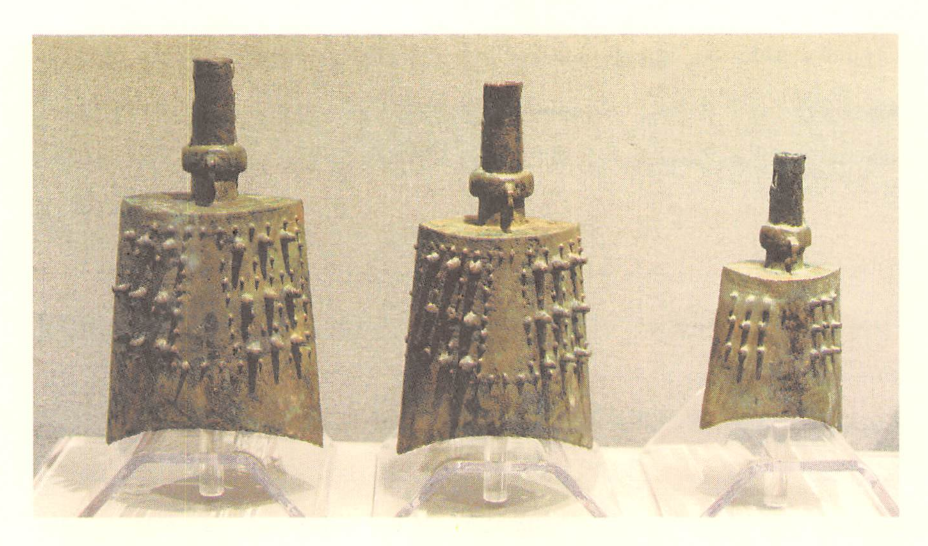
المصنوعة من الذهب، ومجموعات كثيرة من أدوات الزينة المصنوعة من حجر الجاد، والتي تشمل أقنعة وقلادات ودبابيس وكذلك لواحق للثياب، وقد صُنِعت من مجموعات مختلفة من يوان (قرص جاد مسطح ومثقوب في وسطه) بالإضافة إلى حلقات الجاد وقطع الجاد وهوانغ (حلى متدلية ومسطحة نصف دائرية تصنع من الجاد)، وأنابيب الجاد، وحبات عقد من الجاد والكالسيت والعقيق، وتعتبر هذه هي النماذج الأولى التي تطورت إلى الملابس المصنوعة من الجاد التي رأيناها لاحقاً في حقبة سلالة هان (وهي بذلات غريبة مصنوعة من الجاد كان الإمبراطور الميت يُكسى بها في جنازته). كما تم أيضاً العثور على 7 قدور دينغ برونزية، و5 أواني قوي في القبر رقم 91. ويتلاءم هذا الاكتشاف مع ما ذكرته الوثائق التاريخية عن عدد قدور دينغ وأواني قوي المستخدمة

في شعائر تقديم القرابين التي كان كبار أتباع الإمبراطور يجرونها. وقد ساعدَت الحروف السبعة والعشرون المنقوشة أسفل قطعة من المصنوعات البرونزية التي شوّهها مرور العصور علماءَ الآثار في معرفة صاحب القبر، وهو الماركيز جينغ من جين، ابن الماركيز لي من جين.

وفي عام 1984، تم التنقيب عن قبر جينغشو في تشانغجيابو في مدينة تشانغآن، مقاطعة شانشي. وذلك القبر بمثابة نموذج لمقابر الوزراء. كان جينغشو من كبار وزراء ملك تشو، ويتمركز ترتيب المقبرة حول قبور تعود لعدة أجيال من عائلته، أما القبور الأصغر حجماً فقد تم ترتيبها حول المركز بطريقة منتظمة؛ فكانت النتيجة تفرقة واضحة بين المقابر الرئيسة وتلك الأقل أهمية. ويُظهِر ذلك الترتيب أن الوزراء أيضاً كانوا يمارسون عادة دفن أفراد العائلة معاً في مقبرة واحدة؛ ومن بين جميع قبور جينغشو، كان هناك ضريح واحد قد أنشئ باستعمال قطع من الخشب، وقد ثُبِّتت على التابوت الخارجي تجهيزات أحصنة وعربات بروزية، وقد وضع تابوت ثانٍ داخله. ولسوء الحظ، نهب اللصوص معظم المصنوعات التي دُفِنَت مع الميت، فلم يتبقَّ إلا جرس حجري من النوع المسمى تشينغ. تعرّض قبر زوجة جينغشو- الموجود شرق قبر شينغشو نفسه- لنهب اللصوص أيضاً، ولكن بقيت فيه بعض المصنوعات البرونزية الشعائرية، ومن بينها الجرسان اللذان سُمّيا جينغشو تساي، وتسون نُحِت على شكل ثور، بالإضافة إلى جيويه وغطاءين لوعاءين من نوع يو.

تم اكتشاف مقابر يوييبو التي تعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو في روجياتشانغ، مدينة باوجي، مقاطعة شانشي بين عامي 1974 و1975. وقد شملت المصنوعات البرونزية المدفونة فيها أنواعاً متعددة من الأواني والأوعية مثل دينغ، وقوي، ولي، ودو، وجيويه، وتشي، وتسون، ويو، ولي (lei) وأجراس في مجموعات تتألف كل منها من ثلاثة أجراس، بالإضافة إلى أسلحة وتجهيزات للأحصنة والعربات. ومن بين هذه المصنوعات، كانت هناك خمس قدور دينغ مربعة وثلاث مستديرة، ولعلها كانت تمثل المصنوعات البرونزية المستخدمة كأدوات جنائزية لأتباع الإمبراطور في الولايات الصغيرة أثناء حقبة سلالة تشو الغربية. علينا أن نلاحظ هنا أن جينغ جي، زوجة يوييبو، لم تكن الوحيدة المدفونة بجانب زوجها، بل دُفِنت محظياته وهن على قيد الحياة معه في القبر أيضاً، وأضيفت إلى المقابر حفر للعربات والأحصنة. (الصور 2-33، 2-34، 2-35، 2-36)





الصورة 2-33 أجراس برونزية في مجموعات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أجراس، وهي تعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليها في القبر رقم 1 في روجياتشوانغ، باوجي عام 1974، ويُحتَفَظ بها في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير سون تونغ تشاو)



الصورة 2-34 دينغ يويبو مربع يعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في القبر رقم 1 في روجياتشوانغ، باوجي عام 1974، ويُحتفَظ به في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير سون تونغ تشاو)



الصورة 2-35 «قوي» يويبو مزود بأربعة مقابض وقاعدة مربعة. وقد تم العثور عليه في تشيفانغتو عام 1981، ويُحتفظ به في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير سون تونغ تشاو)





الصفحة 2-36 جيمغجي يويتسوي (إناء ماء منحوت على شكل حيوان التابير) يعود إلى حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في روجياتشوانغ، باوجي عام 1974، ويُحتفَظ به في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير سون تونغ تشاو)

أما قبور تشانغ فو التي تعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية، فقد تم اكتشافها في قرية بودو، مدينة تشانغآن، مقاطعة شانشي عام 1954، واكتُشِفت فيها قطع برونزية شعائرية تشمل أربع قدور من نوع دينغ، ووعاءين من نوع قوي، وأوعية من أنواع لي وجيويه وقونغ ويو ولي وهو وخه وبان، وأجراس في مجموعات تتألف كل منها من ثلاثة أجراس. كانت ثلاث من قدور دينغ الموجودة في القبر متشابهة الشكل، وقد يكون سبب ذلك أنها جميعها كانت تُستخدم لحمل اللحوم أثناء طقوس تقديم القرابين، بينما كانت الأخرى مختلفة في شكلها وأكبر في حجمها؛ ولعل سبب ذلك أنها كانت تستخدم كقدور لطبخ اللحم. لم يتم العثور على أي حفر للأحصنة والعربات في هذه المقبرة؛ ما يشير إلى أن صاحب المقبرة وإن كان من الطبقة النبيلة إلا أنه أقل

مستوى من أصحاب المقابر الأخرى، أي أن طبقته الاجتماعية تقع في مكان ما أدنى من طبقة كبار مسؤولي الدولة، ولكن أعلى من عامة الشعب.

وتم اكتشاف قبر آخر يعود إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية في قرية خهجيا، منطقة تشيشان، مقاطعة شانشي. ولم يُعثَر فيه إلا على قدر دينغ واحدة، وإناء قوي واحد، بالإضافة إلى بعض الأسلحة البرونزية التي شملت الفؤوس ذات الخناجر والرماح، بالإضافة إلى تجهيزات الأحصنة والعربات التي شملت ألجمة وقطع زينة للأحصنة. يبدو أن ذلك القبر كان لرجل من أدنى مستويات الطبقة النبيلة، ولذلك لم نجد فيه أي حفر للأحصنة والعربات.

وخلاصة القول، إن الأمثلة التي ذكرناها سابقاً تشير إلى أن نظاماً هرمياً محدداً للجنائز كان قد تكون ضمن الطبقة النبيلة في حقبة سلالة تشو الغربية. وقد تكوّن نظام صَفّ قدور دينغ ضمن مرفقات تجهيز الميت في تلك الحقبة، ثم تكامل بدفن آلات موسيقية وعربات وأحصنة في مقابر أتباع الإمبراطور المباشرين ووزرائه. ولكن، لم تُستخدَم هذه التجهيزات والإضافات في قبر أي شخص مستواه الاجتماعي أدنى من طبقة الوزراء. ويعكس هذا الأمر ازدياد تطور الطقوس والمراسم الدينية والاجتماعية أثناء حقبة سلالة تشو الغربية، ويدعم موثوقية المصادر التاريخية في ما يتعلق بتكوين الشعائر الدينية وقيام دوق تشو باختراع الموسيقى الكلاسيكية الصينية.



الكيو يي الصينية

الفصل الثالث

لوحات متعددة الألوان
⊠فنون المصنوعات البرونزية
أثناء حقبة الربيع والخريف

مقدمة

اشتهر الملك يو- آخر ملوك سلالة تشو الغربية- بطغيانه وقلة فطنته وإساءة استخدامه لسلطته، ما أفقده ثقة النبلاء والأتباع المقربين. وفي السنة الحادية عشرة من حكمه (771 قبل الميلاد)، تعاون الماركيز شن والماركيز ليوي والماركيز تسنغ مع شعب قوانرونغ، وقاموا باجتياح العاصمة هاوجينغ ونهبها. وقد انتهت تلك الأحداث بمقتل الملك يو على سفح جبل لي، وسقوط سلالة تشو الغربية. بعد ذلك، اتفق الماركيز شن وغيره من النبلاء على تعيين يي جيو- ولي عهد يو السابق- ملكاً على البلاد، وأصبح اسمه الملك بينغ من تشو. وفي عام 770 قبل الميلاد، نقَل الملك بينغ من تشو عاصمته شرقاً إلى لوَهْلي (التي تُسمى لوَهْيانغ اليوم، وتقع في مقاطعة خهنان). وقد أطلق المؤرّخون على هذه الفترة الممتدة بين هذه الأحداث وبين إعادة تشين شي هوانغ توحيد الصين عام 221 قبل الميلاد اسم حقبة سلالة تشو الشرقية. وهم يقسمونها إلى فترتين فرعيتين: تمتد الأولى بين 770 قبل الميلاد و476 قبل الميلاد ويُطلَق عليها اسم: حقبة الربيع والخريف، وهو اسم مشتق من كتاب كونفوشيوس الشهير: «حوليات الربيع والخريف». أما الفترة الثانية الممتدة بين عامي 475 و222 قبل الميلاد فيُطلَق عليها اسم: حقبة الممالك المتحاربة.

تتميز حقبة الربيع والخريف بتحول المجتمع الصيني من مجتمع قائم على العبودية إلى الإقطاعية؛ فقد تقلصت سلطة بلاط ملوك تشو مقابل ازدياد قوة النبلاء وسلطتهم؛ فبسط أتباع للإمبراطور وهم الدوق هوان من تشي، والدوق شيانغ من سونغ، والدوق وِن من جين، والدوق تشونغ من تشو، والدوق مو من تشين على التوالي هيمنتهم على الدولة عبر إيصالهم ولاياتهم إلى مراكز قوة استثنائية لم تحظَ بها من قبل.

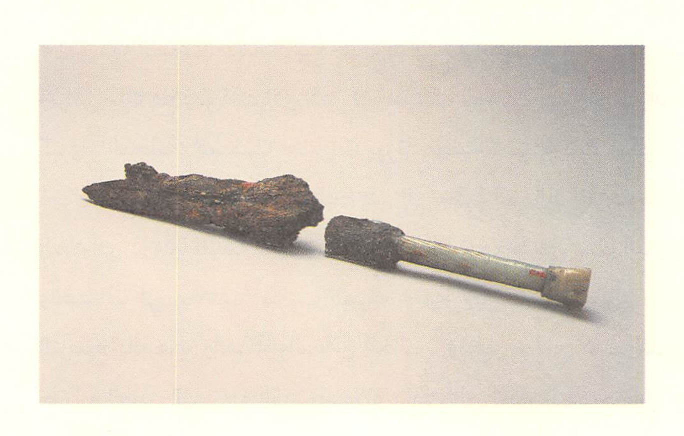
كما اتسمت حقبة الربيع والخريف ببدء استخدام الناس للأدوات المصنوعة من الحديد، وترافق ذلك مع نمو اقتصادي كبير في مختلف الولايات أدى إلى قفزات هائلة في تطور حضارات البرونز المحلية؛ فتشكلت حضارات برونز محلية مختلفة تتبع أساليب متباينة. ومع حلول فترة تحوّل الصين من حقبة الربيع والخريف إلى حقبة الممالك المتحاربة، وصلت حضارة البرونز في البلاد إلى ذروتها الثانية مع التوصل إلى عمليات رائعة في سبك البرونز، وحصول تطورات كبيرة وتحسنات في مختلف أساليب السبك، وبروز طريقة السبك بالشمع الضائع، وتحسين أسلوب الترصيع بالذهب والفضة والنحاس الخالص. وتُظهِر جميع هذه التطورات مدى تقدم إنجازات حضارة الصين البرونزية القديمة، وكيف أدت إلى تطور البلاد حضارياً وثقافياً وروحياً.



| الحقبة التي استخدم فيها كل من البرونز والحديد

كما ذكرنا من قبل، تم العثور على يويه برونزي ذي شفرة حديدية تم صنعه من خلال تسخينه وضربه بالحديد النيزكي، وهو يعود إلى حقبة مبكرة للغاية من تاريخ الصين، وهي حقبة سلالة شانغ. يُمثِّل ذلك الاكتشاف أول معرفة بالحديد واستخدامه. وبحسب ما كشفته أبحاث علماء الآثار، بدأ سبك الحديد من خلال عملية صهر يدوية بالظهور أثناء فترة الانقلاب من حقبة سلالة تشو الغربية إلى حقبة الربيع والخريف. فعلى سبيل المثال، تم العثور على سيف حديدي ذي مقبض من الجاد في مقابر ولاية قوه في شانغتسونلينغ، سانمنشيا، مقاطعة خهنان عام 1990 (الصورة 3-1)، وقد حدّد مختبر علم المعادن الصيني في جامعة العلوم والتكنولوجيا في بكين نوعه على أنه قطعة من المصنوعات الحديدية المشغولة عبر الصهر اليدوي في فرن لافح (bloomery). كما تمت أيضاً صناعة مِسنّ السكاكين الحديدي ذي المقبض البرونزي الذي تم العثور عليه في مقابر تعود إلى أوائل حقبة الربيع والخريف في قرية جينغجيا، منطقة لينغتاي، مقاطعة قانسو، بالطريقة نفسها.

في عملية الصهر اليدوي في الفرن اللافح تتحول أوكسيدات الحديد إلى معدن الحديد عبر حرقها في نيران وقودُها الفحم النباتي على درجة حرارة منخفضة نسبياً تبلغ حوالي ألف درجة مئوية. وينبغي أن تزول الشوائب الموجودة في الحديد إذا أُريد استخدامه في صناعة الأواني، ويتم ذلك من خلال ضربه باستمرار.



الصورة 3-1 سيف مصنوع من الحديد وذو مقبض مصنوع من الجاد وجوف من البرونز، تم العثور عليه في قبور ولاية قوه في شانغتسولينغ، سانمنشيا، مقاطعة خهنان عام 1990

وفي أواخر حقبة الربيع والخريف، بدأ استخدام حديد الزهر الأبيض (white cast iron) في صناعة الأدوات الحديدية مثل قدر دينغ الحديدية التي تم العثور عليها في قبور تعود إلى أواخر حقبة الربيع والخريف في يانغشياشان، مدينة تشانغشا، مقاطعة هونان عام 1976، والتي تم التعرف على المادة التي صُنِعت منها على أنها حديد الزهر الأبيض. وتلازمَت نشأة صناعة الأدوات باستعمال حديد الزهر الأبيض مع الازدهار الجديد الذي شهدته صناعة صهر البرونز وسبكه في تلك الفترة. وقد كانت لإنتاج حديد الزهر الأبيض أهمية كبرى، حيث كان من السهل استخدامه في سبك مختلف أنواع الأدوات الحديدية، وقد مهّد الطريق أمام اتساع استخدامها بكثرة، فلعب دوراً حاسماً في زيادة الإنتاجية.

تُظهِر هذه الاكتشافات أن الصين بدأت باستخدام حديد الزهر قبل أوروبا بحوالي 1800 سنة. ولا شك في أن ذلك من الإسهامات المهمة للشعب الصيني القديم في الحضارة العالمية.

وبالإضافة إلى ما أسلفنا ذكره، تم العثور على سيف حديدي ذي نصل برونزي في قبر في يانغجياشان في مدينة تشانغشا. وقد أثبتت تحاليل العلماء أنه تعرّض لعملية تسقية على درجة حرارة عالية، ما يدلّ على أن عملية كربنة الفولاذ لا بد أنها كانت تنتج عبر عملية الفرن اللافح في ذلك الزمن.

باختصار، لقد ساهم الاستخدام العام للأدوات الحديدية في أواخر حقبة الربيع والخريف في ظهور معدات فولاذية صلبة أدت إلى ازدياد الإنتاج الزراعي من ناحية، كما وفّرت أدوات ذات استمرارية عالية لمختلف أنواع الحرف اليدوية من ناحية أخرى، وتشمل هذه الحرف صهر البرونز وسبكه، فكانت النتيجة أن صناعة البرونز وغيرها من الصناعات شهدت قفزات نوعية وغير مسبوقة.



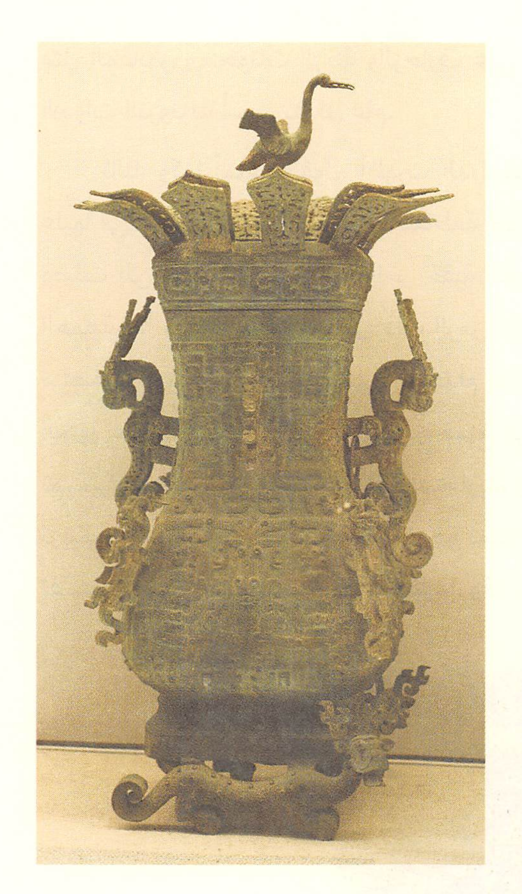
| تغير العادات

مع تضاؤل سلطة بلاط ملوك تشو وازدياد هيمنة الولايات التابعة لهم، حصل تناقص كمي في المصنوعات البرونزية التي قام ملوك تشو ورعاياهم بسبكها، ولكن في المقابل حصل تزايد وتطور ملحوظان في تلك المصنوعات التي قام الأتباع النبلاء والوزراء بصنعها.

وقد شهدت حقبة الربيع والخريف، وخصوصاً منتصفها وآخرها، مرحلة جديدة من التقدم سواء أكان ذلك في نطاق التصنيع الكمي أم في التقنيات المستخدمة في صهر البرونز وسبكه. فأولاً، ازداد إنتاج البرونز بشكل هائل، فاستُخدمت الدعامات العمودية والطرق معاً لاستخراج المعادن بشكل متكرر من موقع منجم تونغليويشان في مدينة دايه، مقاطعة هوبي، حيث كان كل فرن مخصص لصهر النحاس ينتج 300 كلغ من البرونز يومياً. وتدل مخلفات خبث المعادن وبقايا شوائبها على أن الموقع صهر ما بين 80 و120 طن من البرونز في أحد الأيام، ما يدل على المقدار الهائل من البرونز الذي كانت البلاد تنتجه حينها.

ثانياً، لقد تطورت طريقة سبك البرونز بالقوالب، فأصبحت المصنوعات البرونزية أخف وزناً وأرق سماكة. وقد كشفت أعمال البحث والتنقيب في موقع معامل سبك البرونز في ولاية جين، والتي بدأت في قرية نيو في مدينة هوما، مقاطعة شانشي عام 1959 عن بيوت، وبوتقات لتذويب النحاس، وأتن (جمع أتون) لتجفيف القوالب الطينية، ومواقع للعمل، وأقبية، وأكثر من خمسين ألف قالب تشكيل وقالب خارجي صُنِع أكثر من مئة منها ضمن مجموعة واحدة. كما تم أيضاً العثور على قدور وأوعية من أنواع مختلفة مثل دينغ وهو وجيان (وعاء ماء كبير شبيه بوعاء هو)، وأجراس، وفؤوس ذات خناجر، ومشابك للأحزمة، وأغطية لمحاور عجلات العربات، وكونغشوبو (عملة معدنية كانت تصنع على شكل مجرفة وتُستخدم في ذلك الزمن). وتظهِر الأبحاث أن قوالب التشكيل والقوالب الخارجية في تلك الحقبة كانت تُجمَع بعد أن تُصنَع بشكل منفصل عن بعضها، كما اتبعت الأشكال المحفورة على القوالب الخارجية باستمرار وحدة لتحديد الأنماط والأشكال على القوالب الطينية، وقد أدى التوصل إلى هذه التصاميم إلى تحديد معيار للإنتاج، فحسّن من إنتاجية اليد العاملة بشكل كبير. كما تطوّرت طريقة

السبك المنفصل كثيراً؛ وما تتضمنه هذه الطريقة هو القيام بسبك المستلزمات واللواحق البرونزية- مثل المقابض والقوائم والمقابض الحلقية- التي تستخدم في صناعة الأوعية والأواني مسبقاً، ثم بعد ذلك يتم وضعها في القالب لصناعة هيكل الإناء الذي يتم سبكه في المرحلة الأخيرة من العملية، حيث يتوافق كل من هيكل الإناء ولواحقه مع بعضها بعضاً، وفي بعض الأحيان كان يتم صنع الهيكل قبل تثبيت اللواحق عليه.



الصورة 3-2 «هو» اللوتس والكركي المربع. وهو يعود إلى حقبة سلالة تشو أثناء فترة الربيع والخريف، وقد تم العثور عليه في مقبرة في شينتشنغ، خهنان عام 1923، ويُحتفَظ به في متحف خهنان (تصوير نيه مينغ)

جعل استخدام أسلوب الإنتاج هذا عملية سبك الأواني ذات الأشكال المعقدة أكثر سهولة، حيث صار من الممكن بالنسبة إلى أهل هذه الصناعة سبك أدوات برونزية ذات أشكال أكثر جمالاً وأناقة تحمل قيمة فنية أكبر. ومن الأمثلة على هذا الطراز الجديد من الأواني «هو» اللوتس والكركي المربع الذي تم العثور عليه في مدينة شينتشنغ، مقاطعة خهنان (الصورة 3-2). ويتميز هذا الوعاء بالوحشين القابعين أسفله، والتنانين الأربعة الزاحفة على جوانبه الأربعة، وطائر الكركي المغرد والخافق بجناحيه وسط طبقتين من أوراق زهرة لوتس في كامل تفتحها على غطاء الوعاء. أما هيكل الإناء فيتميز بأشكال التنانين المتداخلة التي تكاد دقة رسمها تجعلها واقعية.

إن هذا العمل البرونزي متميز حقاً؛ كمثال يجسّد طريقة عمل «السبك المنفصل». وبالإضافة إلى هذه الطريقة، شاع استخدام تقنية لحْم اللوازم والملحقات البرونزية

مثل المقابض ومنحوتات الزينة والزخارف على هياكل الأوعية، ما جعل عملية صناعة الأدوات البرونزية أسهل بشكل عام.

ثالثاً، وكما أسلفنا القول، أظهرت الدراسات حول أوعية «جين» التي تم العثور عليها في شياسي، منطقة شيتشوان، مقاطعة خهنان أن عملية السبك بالشمع الضائع قد وصلت إلى مستوى متقدم في أواخر حقبة الخريف والربيع، ما يُثبِت أن اختراع هذه العملية بدأ في حقبة سابقة على ذلك الزمن؛ ربما في أوائل حقبة الخريف والربيع أو منتصفها. ومن الأمثلة الأخرى على استخدام هذه الطريقة وعاءا تسون وبان اللذان تم العثور عليهما في قبور الماركيز يي من تسنغ في مدينة سويتشو، مقاطعة هوبي، وقد تم سبكهما في أوائل حقبة الممالك المتحاربة، ووضع وعاء تسون داخل وعاء بان، وتم تزيينهما بطبقات من أشكال بانهوي (وهو نمط متكرر من أشكال الأفاعي الملتفة على نفسها) المعقدة والمجوفة حول فتحتيهما. وقد تمّ سبك هذين الإناءين باستخدام تقنية

الصورة 3-3 «تسون» و«بان» برونزيان من قبور الماركيز يي من تسنغ، حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بهما في متحف هوبي (تصوير هوانغ شو)

الشمع الضائع، ما يُظهِر استمرار تطور أسلوب السبك هذا في حقبة الممالك المتحاربة. (الصورة 3-3)

رابعاً، أدى اختراع الأدوات المصنوعة من الحديد الصلب والفولاذ في أواخر حقبة الربيع والخريف إلى حصول تطورات كبيرة في عملية معالجة أسطح المعدات البرونزية. والأمثلة الأولى على ذلك كانت الترصيع بالذهب والفضة، حيث كانت الأشكال إما تُسبَك أو تُنحت على أسطح القطع البرونزية قبل أن توضع عليها أسلاك أو حزوز الفضة أو الذهب، وبعد ذلك يتم صقل السطح وطليه. ولذلك تُعرف هذه العملية أيضاً باسم «الطلي بالذهب أو الفضة». لم يُستخدَم أسلوب الصناعة هذا لصنع الأشكال التزيينية والزخارف فحسب، بل استُخدِم أيضاً في النقوش الكتابية، وخاصة على الأسلحة المُستخدمة في ولايات «وو» و«يويه» و«تشو» و«سونغ» الجنوبية، وقد لعب دوراً في غاية الأهمية في ما يتعلق بتزيين هذه الأسلحة. أما المثال الثاني على هذه التطورات فهو عملية التطعيم بالنحاس الخالص؛ فقد كانت الأشكال المصنوعة من أسلاك أو حزوز النحاس الخالص توضع على أسطح المصنوعات البرونزية قبل أن تُصقَل. وكانت نتيجة تنوع ألوان المعادن التي رُصِّعت بها الأسطح البرونزية في المثالين السابقين أن أشكال الزخارف التي تُزيِّن المصنوعات البرونزية لم تعد محصورة في لون واحد كما كانت في الحقب السابقة، بل أصبحت ذات ألوان زاهية ومتعددة تشمل الأحمر والذهبي والأبيض، ما أضفى عليها مظهراً بهياً مترفاً لم يكن موجوداً من قبل.

كما تطورت عملية حفر الخطوط في أواخر حقبة الربيع والخريف، بالإضافة إلى تحسّن تقنيات سبك البرونز؛ فقد بدأ الناس بصناعة أدوات رقيقة من خلال ضرب قطع من النحاس الخالص لصناعة فئات مختلفة من الأواني مثل يي وفو (مرطبان يستخدم كإناء للنبيذ أو كآلة موسيقية إيقاعية) وجيان، والفناجين وغير ذلك. وقد بدأ حرفيو ذلك العصر باستخدام سكاكين فولاذية لحفر أشكال تصوّر نشاطات مثل الصيد والولائم والمعارك على البر والبحر على أسطح مصنوعاتهم، فكانت الخطوط المحفورة في هذه الأشكال رقيقة ودقيقة، وتمثّل أسلوباً فنياً فريداً من نوعه.

شملت المصنوعات البرونزية الجديدة دوي وجيان وفو وتشنغ وشينيوي وغيرها. أما دوي فهو إناء طعام يُستخدم لحفظ دخن الذرة والدخن العادي (الصورة 3-4)، في حين أن جيان حوض كبير الحجم لحمل المياه أو الثلج، وكان يُستخدم كمرآة أيضاً قبل





الصورة 3-4 الدوي إناء ذو تموّجات ماسية الشكل، وهو يرجع إلى حقبة الربيع والخريف. وقد تم العثور عليه في موقع يانغتشينغ، بكين، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة

أن يشيع استخدام المرآة البرونزية، ولهذا السبب كانت المرايا تعرف باسم جيان في الأزمنة القديمة. بينما فو وعاء لحمل النبيذ أو الماء؛ وإذا استخدم لحمل النبيذ فهو يدعى تسونفو، ومن نماذجه إناء لوانشو فو في ولاية جين الذي يحمل نقشاً كتابياً يتألف من أربعين حرفاً محفورة بالذهب وموزّعة على خمسة أسطر على عنق الإناء وطرفيه وبطنه. أما إذا استُخدم إناء فو لحمل الماء فهو يدعى قوانفو. ومن الأمثلة عليه قوانفو دامنغجي الذي تم العثور عليه في قبور ماركيز تساي في منطقة شو، مقاطعة آنهوي عام 1955، ويتميز بهيكله قصير الجسم والمقبضين على طرفيه. أما تشنغ وجوياو فهما آلتان موسيقيتان إيقاعيتان تُستخدَمان في الولائم أو الحروب، وتبدوان مثل آلة ناو ولكنهما أكثر طولاً ورقّة. كانت هذه الأدوات تصنع في مجموعات يتألف بعضها من إحدى عشرة قطعة، وقد نالت رواجاً كبيراً في المقاطعات الجنوبية مثل وو ويويه وتشو. أما شينيوي فهي أيضاً آلة موسيقية إيقاعية كانت تُستخدَم لتنظيم مسير قوات الجيوش وفي طقوس تقديم القرابين، وتتميز بمقبضها المنحوت على شكل نمر، ولذلك سُمّيَت أيضاً شينيوي ذات المقبض المنحوت على شكل نمر. ظهرت هذه الآلة الموسيقية للمرة الأولى أثناء حقبة الممالك المتحاربة وحقبة سلالة هان، وقد تم اكتشاف معظم آلات شينيوي الموجودة لدينا اليوم في التخوم الوسطى والسفلى من نهر يانغتسه في الجنوب.

وكذلك شهدت النقوش الكتابية على البرونز تغيّرات هائلة خلال هذه الفترة، فلم

يعد لدينا الكثير من النقوش الكتابية المطولة، ولم تعد هذه النقوش تُسجّل التاريخ كما كانت تفعل أيام سلالة تشو الغربية. وبدلاً من ذلك، كان الكثير من المصنوعات البرونزية ذات النقوش الكتابية تعود إلى نسوة اشترينها بمناسبة زفافهن. والسبب الكامن وراء هذه التغيرات كان الصراع على الهيمنة، والحروب الكثيرة التي اندلعت بين الولايات في محاولة كل منها بسط سيطرتها على المزيد من الأراضي، ما اضطر كل من قادة هذه الولايات إلى محاولة تعزيز وضعه وسلطته عبر الدخول في تحالفات سياسية وعسكرية. وفي هذا الإطار وضمن هذه الخلفية، كان الزواج القائم على المصالح المتبادلة يحمل الأهمية ذاتها التي يحملها التحالف، ولذلك تطوّر هذا النوع من الزواج بشكل كبير بين تلك الولايات التابعة، وزاد ذلك من عدد المصنوعات البرونزية التي كانت عائلة الزوجة تقدمها لابنتها كبائنة عند زواجها. وكانت معظم تلك المصنوعات البرونزية إما من نوع بان أو تسا (زهريات توضع في غرف النوم) أو جيان، كما كانت النقوش المكتوبة على

الصورة 3-5 إناء «جيان» البرونزي الذي يعود إلى الملك قوانغ من وو الذي عاش في حقبة الربيع والخريف، وتم التنقيب عنه من قبر ماركيز تساي في منطقة شو في آنهوي عام 1955؛ من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)



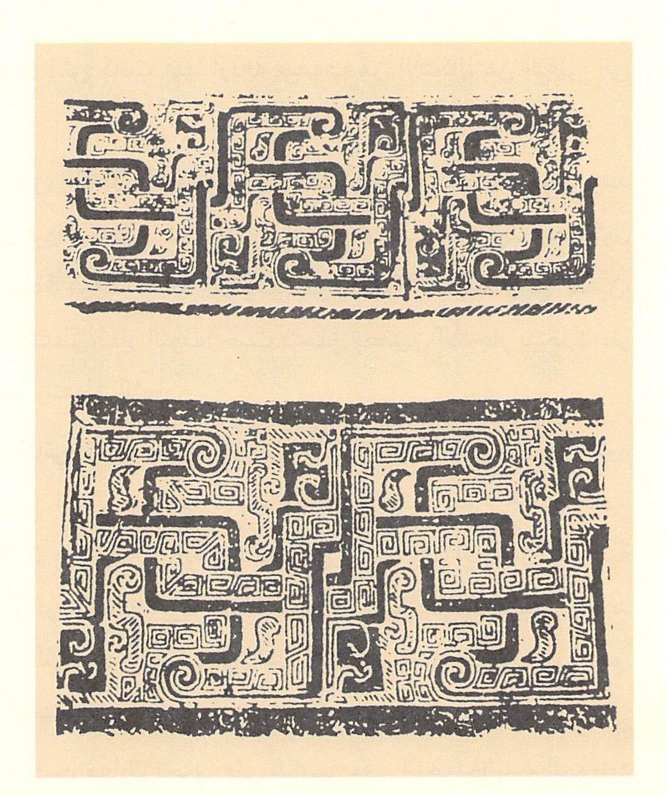


هذه المصنوعات تعبّر عن تعزيز التقارب السياسي بين ولايتَي العروسين، وكانت هذه هي السمة البارزة للنقوش الكتابية على البرونز أثناء تلك الحقبة. على سبيل المثال، تم العثور على جيان صنعه الملك قوانغ والد الملك فوتشاي من وو في قبور ماركيز تساي في منطقة شو، مقاطعة آنهوي عام 1955 (الصورة 3-5)، ويحمل الإناء 53 حرفاً في أسفل جانبه الداخلي؛ ما يعني أنه في أيار ومع اقتراب يوم الزفاف، اختار الملك قوانغ من وو يوماً ميموناً لسبك جيان من أفضل أنواع البرونز وأشابة الرصاص والقصدير لتأخذه ابنته سيشو معها إلى منزل زوجها كبائنة لها، وقد قال لابنته في تلك النقوش: «اذهبي في طريقك، وتذكري أن تحترمي زوجك (ماركيز تساي)! لن تنسى أجيال المستقبل أبداً الصداقة بين ولاية وو وولاية تساي». وهذا ما يُترجم له كلام الملك. ولكنّ النص بلغته الأصلية كان مسجّعاً، ووصف الأحداث بدقة وحيوية أكبر.

| أشكال الزخارف - تصوير أحداث الماضي

حصلت تغيرات كبيرة في حقبة الربيع والخريف- وخصوصاً في أول الحقبة ووسطها- في الأشكال والأنماط المتبعة في تزيين المصنوعات البرونزية وزخارفها؛ فلم نعد نرى أشكال أقنعة الحيوانات التي كانت تستخدم في أيام سلالة شانغ إلا نادراً، كما لم نعد نرى نمط تشيهتشو الذي ميّز الفترتين الوسطى والمتأخرة من حقبة سلالة تشو الغربية. وبدلاً من ذلك، هيمن نمطان جديدان على الزخارف البرونزية، وهما: بانتشي (الصورة 3-6) وبانهوي.

يشير لفظ تشي هنا إلى نوع من التنانين ليس له قرون، أما هوي فيشير إلى أفعى صغيرة. ويتألف كل من التصميمين من مجموعات تتألف كل واحدة منها من شكلين



الصورة 3-6 نمط بانتشي يعود إلى حقبة الربيع والخريف (تصوير شينفنغ)



أو أربعة أشكال، مع وجود شكلين أو أكثر من تشي أو هوي في كل واحدة. كانت نشأة هذه الأشكال من الآثار المباشرة لطرائق سبك البرونز الجديدة التي ظهرت في تلك الحقبة، وخاصة طريقة السبك من خلال الضغط التي نالت شعبية كبيرة؛ حيث إنّ كلاً من التصميمين كانا يُضغَطان على القالب الخارجي باستمرار مع سكة تحمل وحدة من نمط الأشكال التي يُراد حفرها. لم تعد هذه الأنماط والزخارف روحية أو غيبية، بل أصبحت مجرد زينة؛ ما يُظهِر مدى التغيرات الاجتماعية التي انعكست على شتى جوانب الحياة، بما في ذلك الفكرية والروحية.

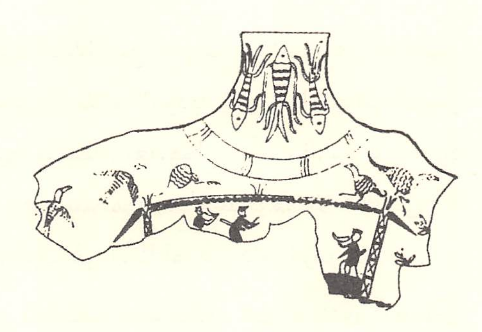
وما هو أهم من ذلك أنّه وأثناء الانقلاب بين فترة الربيع والخريف وفترة الممالك المتحاربة، بدأت تصاميم تزيينية جديدة تظهر مبنية على واقع حياة الناس. فظهرت صور لولائم وحفلات موسيقية ورقصات ومعارك على البر والبحر، فضلاً عن صور للصيد والتقاط ثمار التوت. (الصور 3-7، 3-8، 3-9)

ومن الأعمال التي تمثّل ذلك «هو» برونزي تم العثور عليه في بايهواتان، مدينة تشنغدو، مقاطعة سيتشوان التي كانت فيها أربعة صفوف من الأشكال من الأعلى إلى الأسفل. (الصورة 3-10)

يمثّل الصف الأول من الأشكال الموجودة إلى اليسار تجمع للرماية، حيث يشدّ النبلاء أقواسهم، ويضعون فيها سهامهم، ثم يطلقون السهام لتصيب أهدافها. وقد تكون الصورة المرسومة تجسد سباقاً قروياً للرماية كان يُعقَد في الأزمنة القديمة. وإلى اليمين، يُمثّل الرسم نساء نبيلات يلتقطن ثمار التوت؛ حيث تتسلق بعضهن الأشجار بينما تنتظر الأخريات على الأرض حتى يلتقطن الثمار.

وإلى يسار الصف الثاني، يظهر لنا رسم لمأدبة يتخللها عزف للموسيقى ورقص. وفي القاعات المرسومة في الأعلى يستمتع النبلاء بوجبتهم، بينما يُقدِّم الخدم النبيذ جانباً. في الأسفل، نرى فتيات يرقصن على أنغام الموسيقى التي تعزفها الأجراس المعدنية والحجرية. باختصار، يُمثّل الرسم مأدبة يرفه فيها النبلاء عن ضيوفهم. إلى اليمين توجد صورة لمشهد لتجمع آخر للرماية، وأناس يجثون على الأرض ليرموا الطيور بسهامهم. ومن الملاحظ أن جميع السهام التي يطلقونها مربوطة بحبال.

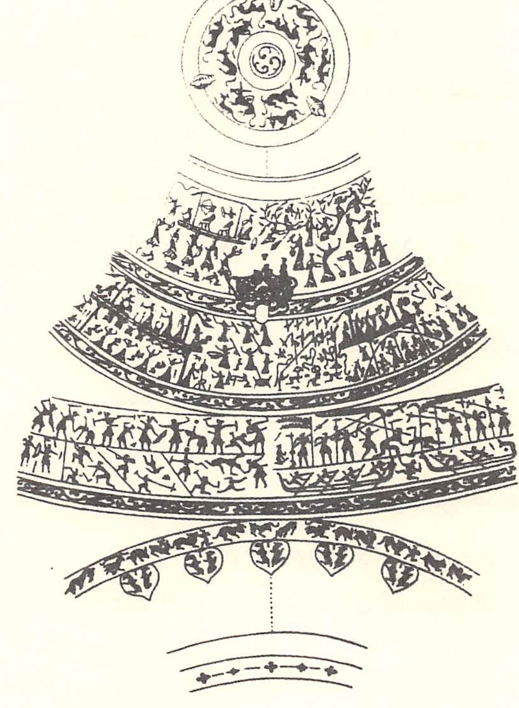
أما السطر الثالث فيجسد معارك تجري على اليابسة وفي البحر؛ فالرسم الموجود



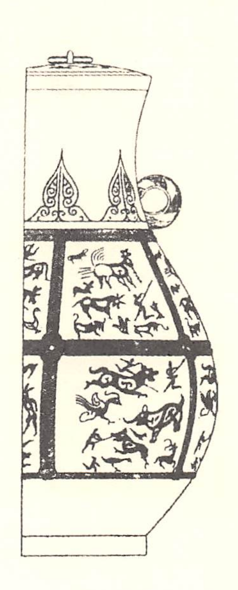
الصورة 3-7 مشاهد لوليمة وقتال 1؛ رسم يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة (تصوير خه شين فنغ)



الصورة 3-8 مشاهد لوليمة وقتال 2؛ رسم يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة (تصوير خه شين فنغ)



الصورة 3-10 أشكال «لهو» برونزي تم العثور عليه في بايهواتان، مدينة تشنغدو، مقاطعة سيتشوان (تصوير خه شين فنغ)



الصورة 3-9 مشاهد لمعارك في البر والبحر تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة (تصوير خه شين فنغ)



إلى اليسار يجسد معركة برية يتصارع فيها المشاة مع عدوهم ليدافعوا عن مدينتهم، بينما يقوم العدو بمهاجمة المدينة ويتسلق السلالم المؤدية إليها. أما الجانب الأيمن فيُمثّل معركة تجري في الماء، وتواجه فيها سفينتان بعضهما، ويتألف الرسم من جنود يجذفون بقوة، كما يظهرون في الأعلى وهم يلتحمون مع أعدائهم. ولا شك في أنه تصوير يصف بشكل واقعي الحروب التي جرت في المناطق في ذلك الزمن.

أما الصف الرابع من الصور فيُظهر نشاطات صيد يُطارِد فيها صيادون يحملون الرماح حيوانات تعدو مسرعة.

وكخلاصة لما سبق، لقد أحدثت الأشكال والأنماط التي ناقشناها ثورة في تصميم الزينة والزخارف في المصنوعات البرونزية، وتعتبر من العلامات الفارقة في تاريخ الفن الصيني؛ إذ تُمثّل الانتقال من الرسوم والأشكال التي تُمثّل عالم الآلهة الغيبي إلى العالم الإنساني المحسوس والمشهود. ولك أن تقول: الانتقال من الخيالي إلى الواقعي. كما تطوّرت أيضاً أساليب التعبير الفنية من الأنماط الهندسية إلى مشاهد واقعية تُرسم في صفوف مختلفة؛ ما أدى في آخر الأمر إلى نشأة فن الرسم الواقعي. علينا أن نعزو هذه الإنجازات إلى التغيّرات الاجتماعية الجذرية التي شهدتها البلاد في تلك الحقبة؛ إذ انتقلت من مجتمع يسوده نظام العبودية إلى المجتمع الإقطاعي. وقد أدى كل ذلك إلى تغير في وعي الناس وتحوّل في حسهم الفني والجمالي. وتعتبر هذه التطورات هي المقدمة لفن الرسم كما وصل إلى نضوجه في حقبة سلالة هان، ولذلك لا شك في أن هذه الأنماط التزيينية كان لها موقع في غاية الأهمية في تاريخ الفن الصيني.

مناطق حضارية مختلفة في حقبة الربيع والخريف

اتسمت حقبة الربيع والخريف بزوال سلطة الدولة المركزية وحلول سلطة النبلاء الإقطاعيين محلها. وقد أدى ذلك إلى تطور سريع في الاقتصادات والثقافات المحلية، فنشأت حضارات برونزية مختلفة ذات صفات محلية خاصة وفريدة، ما أدى إلى ازدياد كبير في وتيرة تطور صناعة الأدوات البرونزية في مختلف الولايات. وعلاوة على المصنوعات البرونزية المستخدمة في بلاط ملوك تشو أنفسهم، تمكّنا حتى الآن من العثور عن مصنوعات برونزية تعود إلى أكثر من أربعين ولاية مختلفة تشمل جين وتشي ويان وتشو ووو ويويه وغيرها. وبطبيعة الحال، تبايَن مدى التطور الاقتصادي بين الولايات، كما اختلفت الثقافة السائدة في كل منها. لذلك، نُصنّف الحضارة البرونزية أثناء حقبة الربيع والخريف عادة ضمن ست مناطق حضارية، وهي: منطقة جين الحضارية في السهول الوسطى، ومنطقة تشي الحضارية في الشرق، ومنطقة يان الحضارية في الشمال، ومنطقة تشين الحضارية في الغرب، ومنطقة تشو (Chu) الحضارية في الجنوب، ومنطقة وو ويويه الحضارية في الجنوب الشرقي. وسوف نتحدّث عن كلٍّ من هذه المناطق الحضارية على حدة في الفقرات التالية.

منطقة جين الحضارية؛ في أوائل حقبة سلالة تشو الغربية، عيَّن الملك تشنغ من تشو أخاه شو يوي حاكماً على مناطق تانغ التي تغيرت تسميتها لاحقاً وصارت تُدعى جين. وبعدما نقل الملك بينغ عاصمته إلى شرق البلاد، أصبحت ولاية جين من الدعامات الأساسية لبلاط ملوك تشو. وقد مكَّن ازدياد قوة هذه الولاية الدوق وِن من جين من بسط هيمنته على ولايات أخرى، ولا سيما بعد أن نجح في اجتياح قوات تشو تشنغبو. تقع منطقة جين الثقافية في السهول الوسطى، وقد غطت مناطق شاسعة من مقاطعات شانشي وخهبي وخهنان الحالية، ولطالما تمتعت هذه المناطق بازدهار اقتصادي فاقت به غيرها في بقية أرجاء الصين. تم العثور على معامل سبك البرونز التي ذكرناها سابقاً في ولاية جين، وتحديداً في مدينة هوما، مقاطعة شانشي. وتُمثّل هذه المعامل ذروة تقنيات صهر البرونز وسبكه في حضارة جين المحلية. أما قطع البرونز التي أنتجتها هذه الولاية فتتميز بأشكالها البسيطة ولكن المهيبة، والتي تزيّنها عادة أنماط خلابة من بانتشي وبانهوي.



تشمل بعض المصنوعات البرونزية المشهورة من هذه المنطقة الحضارية دينغ جينجيانغ (زوجة الماركيز وِن من جين)، وأجراس تسيفان الموسيقية، و«هو» تشاومنغجيه. وتتألف أجراس تسيفان الموسيقية من 16 جرساً تنقسم إلى مجموعتين، مع نقوش كتابية يبلغ مجموعها 132 حرفاً تشير إلى تاريخ صنع هذه الأجراس؛ والذي وافق يوم 11 أيار من السنة الثامنة والعشرين من حكم الدوق شي من لو (الموافق لسنة 632 قبل الميلاد)، وكذلك تُسجِّل الأجراس تاريخ مساعدة تسيفان لدوق وِن من جين في معركة تشنغبو؛ حين شكّل الاثنان تحالفاً في جيانتو، ولذلك تعتبر هذه الأجراس ذات قيمة تاريخية كبيرة جداً.

ومن الأمثلة الأخرى وعاءا «هو» تشاو منغ جيه، ويُقال إنه قد تم استخراجهما في منطقة هوي، مقاطعة خهنان. يتسم كل من الوعاءين بوجود مقبضين متصلين عند عنق الوعاء، وقد نُقِشت صور الحيوانات على كل مقبض، كما نُقِشت صور لزهور اللوتس على الغطاء، بالإضافة إلى أنماط بانتشي وبانهوي وأقنعة الحيوانات وأسلاك الزينة على عنق الوعاء وبطنه. وكذلك نُقِش 19 حرفاً على غطاء الوعاء، وقد سجَّلت تلك الحروف أنه في العام الثالث عشر من حكم الدوق آي من لو، الموافق لسنة 482 قبل الميلاد، تواجه كل من الدوق دينغ من جين والملك فوتشاي من وو في هوانغتشي التي تقع اليوم جنوب منطقة فينغتشيو، مقاطعة خهنان. لذلك، إن هذه الأوعية تحمل بدورها أهميتها التاريخية الخاصة.

كما نشأ أيضاً أسلوب فني جديد في الكتابة نال الكثير من الرواج في منطقة جين الحضارية بعد منتصف حقبة الربيع والخريف، وتتميز الحروف التي اعتمدها هذا الأسلوب برأسها المدبب وجوفها العريض، حيث تكاد تشبه الشرغوف (فرخ الضفدع)، ولهذا أُطلق على هذا الخط اسم: خط الشرغوف. ولم يُستخدَم هذا النوع من الخطوط لتدوين الأحداث فقط، بل لتعزيز آثار الزخارف والزينة على مصنوعات تلك الحقبة أيضاً. ومن الأمثلة على ذلك، جيان تشي جون تسي الذي تم العثور عليه في منطقة هوي، مقاطعة خهنان، وقد كان يحمل في جوفه ستة حروف نقشت بخط الشرغوف. تُظهِر الأبحاث أن تشي جون تسي كان هو نفسه الوزير تشي ياو الذي عاش في ولاية جين في أواخر حقبة الربيع والخريف. هذا وقد تم القضاء على ولاية جين عام 453 قبل الميلاد؛ حين قام تحالف من ولايات هان وتشاو ووي باجتياح الولاية وتقاسم أراضيها.

منطقة تشي الحضارية: في أوائل حكم سلالة تشو الغربية، عين الملك وو من تشاو الدوق الأكبر تاي (جيانغ تسي يا) حاكماً على ولاية تشي التي كانت يينغتشيو عاصمتها. وفي حقبة الربيع والخريف، عيّن الدوق هوان من تشي شخصاً يدعى قوان تشونغ كمستشار، فأجرى ذلك الأخير إصلاحات كبيرة على القوانين الإدارية والعسكرية المتعلقة بالضرائب في الولاية، وقد أسهمت جهوده في جلب فترة من الازدهار إلى ولاية تشي التي رفعت في فترة تاريخية لاحقة شعار «تعظيم الملك وطرد البرابرة»؛ حيث وحّدت مجموعة من الولايات الأخرى لهزيمة المجموعات العرقية التي كانت تُغير على البلاد مثل شعوب قوانغرونغ وديرِ، وكذلك أدانت ولاية تشو (Chu) لتمرّدها على ملك تشو في شاولينغ التي تقع اليوم في منطقة يانتشنغ، مقاطعة خهنان.

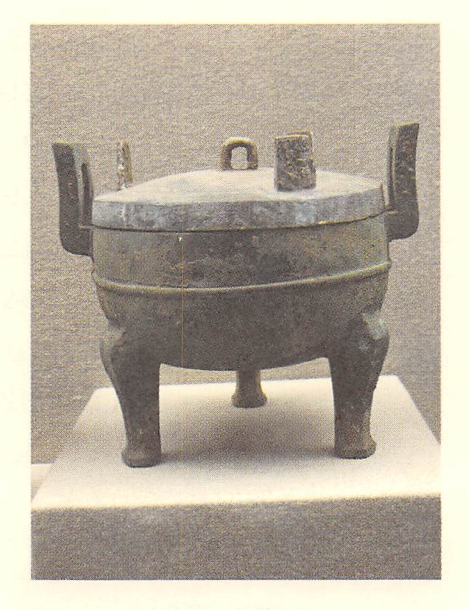
وكانت نتيجة الولاء الشديد هذا أنه تم الاعتراف بولاية تشي كأول ولاية مهيمنة في حقبة الربيع والخريف. وتغطي منطقة تشي الحضارية مقاطعة شانغدونغ المعاصرة. وكانت هذه الولاية تصنع أدوات برونزية فريدة من نوعها مثل إناء «دوي» الذي تم العثور عليه في منطقة يي في مقاطعة خهبي في السنة التاسعة عشرة من حكم الإمبراطور قوانغشو من سلالة تشينغ (الموافق لعام 1893 م) والذي تم سبكه أثناء التحول من فترة الربيع والخريف إلى فترة الممالك المتحاربة. للإناء أربعة مقابض قوسية الشكل على غطائه المستدير، ويحمل نقوشاً كتابية برونزية تقول: «شان دوي»، أي «إناء دوي لحمل الطعام»؛ وقد استُخدِم كقطعة برونزية لبائنة ابنة ماركيز



الصورة 3-11 «هو» هوانتسي منغ جيانغ من ولاية تشي، يعود إلى حقبة الربيع والخريف، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

تسجّل النقوش الداخلية حول عنق الإناء أنه تم إجراء جنازة في منزل هوانتسي منغ جيانغ، ابنة ماركيز تشي. وقد قدّمها الماركيز لتكون جزءاً من مراسم الحداد. ولما كان ذلك لا يتفق مع نظام الطقوس المعمول به في ذلك الوقت، فقد طلب إذن ملك تشو للقيام بذلك عبر الشخص المسؤول عن الطقوس والمراسم.





الصورة 3-12 «دينغ» قوه تسي تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليها في موقع يعود إلى ولاية تشي في لينتسي عام 1956، ويُحتفَظ بها في متحف مقاطعة شاندونغ (تصوير إي قوه تشينغ)

فتحة القدر مغطاة بغطاء مثبت، ووسطها مستقيم، ومقبضاها عموديان على جانبي فتحتها، وتدعم ثلاث قوائم منحوتة على أشكال حوافر الحيوانات هيكل القدر. الغطاء مسطح إجمالاً، مع نتوء بسيط في منتصفه، وله ثلاثة مقابض مستطيلة ونصف حلقية في وسطه. كما توجد حول وسط القدر أنماط من الخطوط، وقد حفر النقش بأختام يينغ حول الغطاء وفي أسفل جوف القدر. يبلغ ارتفاع القدر 33 سم، وطول قطر فتحتها 34 سم، وعلو قوائمها 11 سم، وقد سُبِكت في أواخر عهد الربيع والخريف.

تشي حين زوّجها لحاكم ولاية يان. كما أن قدر دينغ البرونزية التي تم العثور عليها في ذلك الزمن نفسه قد سُبِكت مع مقابض وغطاء مسطح، ويُعتَبر ذلك أيضاً من مميزات المصنوعات البرونزية في حضارة تشي.

كانت النقوش الكتابية البرونزية التي تعود إلى حضارة تشي مستطيلة، وذات أشكال منتظمة وضربات مستقيمة. وتشمل المصنوعات البرونزية الشهيرة التي تعود إلى تلك الولاية في حقبة الربيع والخريف بو شويي، وأجراس شويي، ويوي ماركيز تشي، وجيان ماركيز تشي، وهو هوانتسي منغ جيانغ، وهو قونغ سون تساو، ودينغ قوه تسي. (الصورتان 3-11، 3-12)

في السنة الخامسة من فترة شوانخه من حقبة سلالة سونغ الشمالية (الموافق لعام 1123 م) تم العثور على بو شويي في موقع يعود إلى ولاية تشي في مدينة تسيبو، مقاطعة شاندونغ. وقد نُقِش ما مجموعه 491 حرفاً على القطعة البرونزية تُسجِّل تاريخ قيام الدوق لينغ من تشي بمكافأة شويي؛ وذلك بإعطائه 300 منطقة و4000 جندي في لايدون. لذا، إن لها قيمة تاريخية كبيرة.

ومن الأمثلة الأخرى، «بو» لينغ الذي تم العثور عليه في هوتوتسي في بلدة رونغخه، مقاطعة شانشي في السنة التاسعة من حكم الإمبراطور تونغتشي من سلالة تشينغ (الموافقة لسنة 1870 م) والذي يُحتَفَظ به في متحف الصين الوطني. هذه القطعة البرونزية طويلة وثقيلة، ولها مقبضان على شكل تنينين يبتلعان حيواناً، وتزيّنها



الصورة 3-13 «بو» لينغ من ولاية تشي تعود إلى حقبة الربيع والخريف، تم العثور عليها في هوتوتشي، رونغخه، شانشي عام 1870، ويُحتفَظ بها في متحف الصين الوطني (تصوير لي يينغ)

أنماط تُمثِّل السحب والرعد حول آلة شوان وطبل. كما نُقِش عليها 174 حرفاً تخبرنا أن ماركيز تشي قد منح باوشو- جد لينغ- إقطاعية تشمل الناس والأراضي في شون. وتقدّم هذه الوثيقة البرونزية بعض المعلومات التي كانت ناقصة في كتاب «سجلات كبير المؤرخين: سيرة حياة قوان تشونغ ويان يينغ». (الصورة 3-13)

منطقة يان الثقافية؛ بما أن يان كانت ولاية شمالية ضخمة، فمن النادر أن نجد ما يُسجِّل لنا الأحداث التي جرت فيها في الوثائق التي أرّخت لتلك الحقبة مثل «حوليات الربيع والخريف لتسوه» و«خطابات الولايات»، لكن كتاب «تشونتشيو شييو» (رواية عالم التاريخ عن حقبة الربيع والخريف)-الذي وُجِدَت مخطوطة منه مكتوبة على قماش حريري في القبر رقم 3 في ماوانغدوي في مدينة تشانغشا، مقاطعة هونان بين عامي 1972 و1973- سجّل لنا وقوع معركة بين ولاية يان وولاية جين. ويُظهِر ذلك أن ولاية يان حافظت على بعض الروابط مع السهول الوسطى.





الصورة 3-14 «دوي» نُقِشت عليه أشكال تنانين متداخلة، وهو يعود إلى أواسط وأواخر حقبة الممالك المتحاربة، وقد تم العثور عليه في مصنع الحجارة والطوب في قرية تشونغتشافو، منطقة تونغتشو، بكين عام 1981، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني

(في الأسفل) الصورة 3-15 زخارف تظهر تنانين متداخلة منقوشة على إناء «دوي»



تتفق المصنوعات البرونزية التي تم اكتشافها في ولاية يان منذ عام 1949 بشكل كبير مع تلك المصنوعة في السهول الوسطى؛ فمعظمها مزين بأنماط بانتشي. ولكن، لمّا كانت ولاية يان تبعد مسافة كبيرة شمالاً عن تشنغتشو، فقد حافظت على الكثير من السمات التقليدية للمصنوعات البرونزية كما كانت في حقبة سلالة تشو الغربية. فعلى سبيل المثال، استمر استخدام أشكال أقنعة الحيوانات في تزيين القسم الأعلى من قوائم قدور دينغ، وكذلك القسم الأفقي من مقابضها. لكن المصنوعات البرونزية التي تعود إلى ولاية يان لا تخلو من سماتها الفريدة؛ فنجد أن رسوماً تمثل نشاطات الصيد تزينها في أواخر حقبة الربيع والخريف بدلاً من المعارك البرية والبحرية، وكذلك كانت كثيراً ما تستخدم أشكال الحيوانات والطيور (الصورتان 3-14، 3-15)، ولعلها كانت شديدة التأثر بثقافات الشعوب الرحالة الشمالية نتيجة قربها الجغرافي من منغوليا الداخلية والمناطق الشمالية الشرقية.

أشهر ما يُمثّل المصنوعات البرونزية في ولاية يان في تلك الحقبة «هو» ديشي الذي يحتوي على ثلاثة صفوف من الأشكال المرصعة خلابة المنظر التي تُمثّل صوراً للصيد حول عنق الإناء ووسطه. وتُفرّق ثلاثة أشرطة من الأشكال الخطية بين الأنماط المختلفة؛ يحتوي أوسطها على 41 حرفاً تُسجِّل كيفية احتفاظ ديشي بقطعة البرونز

هذه ككنز بعد نصره على شيانيوي. وهذه القطعة البرونزية تحفة فنية قيّمة على المستويين: الجمالي والتاريخي.

منطقة تشين الحضارية؛ بعد زوال سلالة تشو الغربية، أرسل الدوق شيانغ من تشين قواته لمساعدة بلاط تشو في تجاوز تلك المحنة، فكافأه الملك بينغ من تشو بإعطائه المناطق التي كانت تنتمي إلى تشو الغربية بعد انتقال البلاط الملكي إلى العاصمة الشرقية الجديدة. وقد أدى ذلك إلى تطور كبير في ولاية تشين، فبحسب ما ذكره كتاب «سجلات كبير المؤرخين: سيرة حياة لي سي»، وسّع الدوق شيانغ من تشين أراضي ولايته غرباً، واستمر ذلك حتى منتصف حقبة الربيع والخريف؛ حيث «قام بغزو عشرين ولاية، ووسع أراضيه لآلاف الأميال، واحتل منطقة قبيلة رونغ الغربية». لكن، لما كان موقع ولاية تشين موغلاً في الجهة الغربية من البلاد، كان تطوّرها الاقتصادي بطيئاً، ولذلك كانت المصنوعات البرونزية في تلك الولاية رديئة الصنع، وقد حافظت على الكثير من التقاليد التي كان يُعمَل بها أيام سلالة تشو الغربية؛ فنقوشها البرونزية مثلاً تابعت مباشرة خط تشو في الكتابة الذي كان مُستخدَماً في أواخر عهد سلالة تشو الغربية، وقد تشكّل على أساسه نظام كتابة منتظم ومعياري. (الصورتان 3-16، 3-17)

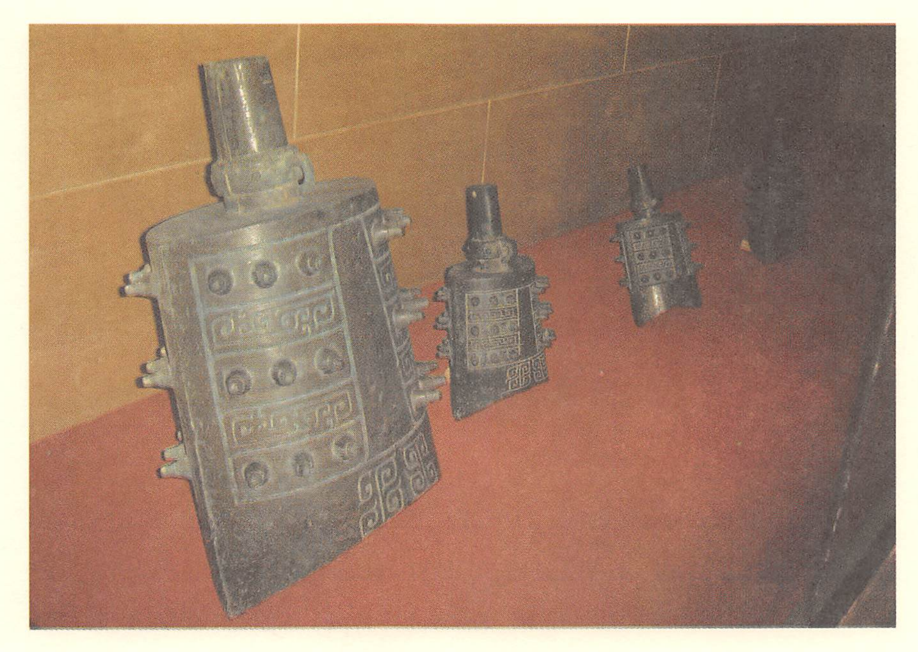


الصورة 3-16 «قوي» دوق تشين، يعود إلى أوائل حقبة الربيع والخريف، وقد تم العثور عليه في مقبرة دوق تشين في تلة داباوتسي في منطقة لي، قانسو؛ ويُحتفَظ به في متحف شانغهاي (تصوير كونغ لان بينغ)



الصورة 3-17 النقوش على «قوي» دوق تشين، تم الحصول عليها من خلال الاستنساخ بالحك على الورق، وقد تم العثور عليها في مقبرة دوق تشين في تلة داباوتسي في منطقة لي، قانسو؛ ويُحتفظ بها في متحف شانغهاي (تصوير كونغ لان بينغ)

الصورة 3-18 «بو» الدوق بو، يعود إلى حقبة الربيع والخريف، تم العثور عليه في معبد تياقونغ في مدينة باوجي، شانشي عام 1978، ويُحتفَظ به في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في منطقة شانشي (تصوير سون تونغ تشاو)



الصورة 3-19 أجراس دوق تشين الموسيقية التي تعود إلى حقبة الربيع والخريف، ويُحتفَظ بها في متحف باوجي للمصنوعات البرونزية في مقاطعة شانشي (تصوير هاو تينغ)

لكن باستثناء ما ذكرناه، كانت المصنوعات البرونزية التي تعود إلى حضارة تشين تمتلك مميزاتها الخاصة، ومنها قدر دينغ التي تم العثور عليها في قرية سونغ، منطقة هو، مقاطعة شانشي عام 1974، والتي تتميز بجوفها قليل العمق وقوائمها السميكة. وقد شملت المصنوعات البرونزية التي تُمثِّل حضارة ولاية تشين في تلك الحقبة جرس دوق تشين وبو دوق تشين، وقد تم العثور عليهما في معبد تايقونغ الواقع في مدينة باوجي، مقاطعة شانشي عام 1979، وجرس دوق تشين الذي تم العثور عليه أيام سلالة سونغ، و«قوي» دوق تشين الذي تم العثور عليه في شينانشيانغ، مدينة تيانشوي، مقاطعة قانسو عام 1923. (الصورتان 3-18، 3-19)

يحتفظ متحف الصين الوطني الآن «بقوي» دوق تشين، ويتميز هذا القوي بأنماط بانتشي على هيكله وغطائه، وقد نُقِش عليه 105 أحرف تروي تاريخ ولاية تشين، وقد كتبها الدوق جينغ من جين، ولذلك أهميتها التاريخية لا تُقدّر بثمن. وبالإضافة إلى ذلك، تم أثناء حفر النقوش ضغط كل حرف على قالب معجوني ذي سكة مستقلة خاصة به،





الصورة 3-20 «قوي» دوق تشين، يعود إلى حقبة الربيع والخريف، وتُبيِّن النقوش الكتابية عليه كيف أن دوق جينغ من تشين كان يطمح إلى الحفاظ على إنجازات أسلافه من خلال حماية مناطق سلطته؛ من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

قبل أن تُسبك النقوش في البرونز بشكل دائم. لذا، يمكننا اعتبار هذه الطريقة إحدى الطرائق الرائدة التي أدت إلى صناعة الأختام، وقوالب الأختام الطينية، وتقنية الطباعة باستعمال السبائك المتحركة (movable type). (الصورة 3-20)

منطقة تشو (Chu) الحضارية، بدأ شأن هذه الولاية عندما منح الملك تشنغ من تشو (Zhou) مقاطعة دانيانغ لشيونغ يي، فيكونت تشو (Chu). ولكن مع حلول حقبة الربيع والخريف، لم يعد الفيكونت وو من تشو (Chu) راضياً عن وضعه كتابع لملك تشو (Zhou)، ولا بلقبه النبيل، فما كان منه إلا أن أعلن نفسه ملكاً، فأصبح اسمه الملك وو من تشو. وهكذا، كان أول ملك من سلسلة ملوك حكموا هذه الولاية. وبعد ذلك، نقل الملك وِن من تشو عاصمة الولاية إلى يينغ، فشهدت الولاية ازدهاراً كبيراً في منطقة جيانغهان. وفي أواخر حقبة الربيع والخريف، كانت ولاية تشو قد بسطت سلطتها على عدد يتراوح بين الأربعين والخمسين من الولايات الأصغر حجماً في منطقة جيانغهواي، ومنها ولايات شن وشي ودنغ وتانغ ولوه ولي وغيرها... فأصبحت من أقوى الولايات التابعة في الجنوب، ونشأت فيها حضارة ولاية تشو التي مثّلتها الدولة نفسها. تمتاز المصنوعات البرونزية العائدة إلى حضارة هذه الولاية بقوائمها الطويلة والنحيلة، وبشكل خاص بطريقة كتابة النقوش البرونزية عليها والتي كانت تدعى «خط الطير»؛ وذلك لأن الحروف كانت تنقش إما على أشكال طيور أو كانت تزيّن بأشكال طيور. وقد استُخدِم هذا الأسلوب الفني الأنيق في الكتابة لتزيين سطوح الأواني البرونزية التي كان الكثير منها يُزخرف بترصيعات ذهبية في غاية البذخ.

تشمل المصنوعات البرونزية التي اشتهرت بها ولاية تشو: دينغ وانغ تسي وو، وأجراس وانغ سون قاو الموسيقية، وجرس وانغ سون ييتشه، وجرس ملك تشو، وقوي ملك شاو، وفو تشو تشوتسي تشيجياو (وهو صحن مستطيل مخصص لحمل الأرز والدخن)، ويوي الأمير شنتشان، وموقد الأمير يينغتسي، وفأس ذات خنجر تعود إلى ملك سونيوي من تشو، وغيرها...

تم العثور على قدور دينغ وانغ تسي وو في شياسي في منطقة شيتشون، مقاطعة خهنان عام 1978؛ حيث وُجِدت في مجموعات تتألف كل واحدة منها من سبع قدور مصفوفة لأجل طقوس تقديم القرابين، وقد زُيِّن وسط الكبرى بينها برسوم لتنين كوي، وكذلك بأنماط تشيهتشو وأنماط أخرى تجسد السحب. كان وانغ تسي وو، أو تسي قنغ، ابن الملك تشوانغ من تشو (Chu)، وقد عمل لاحقاً كرئيس للوزراء أثناء حكم الملك كانغ من تشو، ومات في السنة الثامنة من حكم ذلك الأخير (الموافق لعام 552 قبل الميلاد)، وتُمثّل قدر دينغ هذه صناعة البرونز في حضارة تشو في أواخر حقبة الربيع والخريف. (الصورتان 3-21، 3-22)



الصورة 3-21 «دينغ» وانغ تسي وو (مع ملعقة من نوع بي) من ولاية تشو تعود إلى حقبة الربيع والخريف. تم العثور عليها في القبر رقم 2 في شياسي، شيتشوان، خهنان عام 1978، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني. تُسجِّل النقوش الكتابية داخل القدر رواية وانغ تسي وو الشخصية عن لطف حكمه، وعبادته للأسلاف، وصلواته لأجل خير ذريته

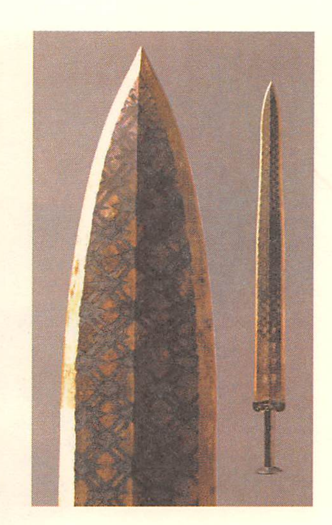




الصورة 3-22 نقوش على «دينغ» وانغ تسي وو تقول: «سبك وانغ تسي وو هذا الدينغ تعظيماً للملك ون من تشو، ولكونه أدّى اليمين وقدّم القرابين. وقد نلتُ الاحترام نتيجة حكمي الخيِّر، وأرجو أن تتمكن ذريتي من اتباعي فيه في المستقبل».

منطقة وو ويويه الحضارية؛ في أواخر حقبة سلالة شانغ، هرب تاي بو وتشون يونغ، ابنا الملك تاي من تشو إلى ولاية وو واستقرا فيها. حيث عيّن الملك كانغ من تشو أحد أفراد ذريتهم- ويُدعى تشو شانغ- كتابع حاكم على ولاية وو. ازدهرت ولاية وو خلال حكم الملك شومنغ من وو في حقبة الربيع والخريف. وفي أواخر هذه الحقبة، بلغت من القوة ما مكّن الملك خه ليوي من وو من احتلال يينغ عاصمة ولاية تشو (Chu) بعد أن تحالف مع ولاية جين، وكذلك شنّ ابنه الملك فو تشاي من وو حروباً متواصلة ضد ولاية تشي قبل أن يتحدى الدوق دينغ من جين على وضع الهيمنة في هوانغتشي عام 482 قبل الميلاد. في تلك الأثناء، استغل الملك قوه جيان من يويه الذي كان يعيش في كوايجي (اليوم شاوشينغ في مقاطعة تشه جيانغ) الفرصة ليهاجم عاصمة ولاية وو (اليوم سوتشو، مقاطعة جيانغسو)، ومع حلول عام 473 قبل الميلاد كان قد أتم احتلال ولاية وو، وأصبحت ولاية يويه منذ ذلك الوقت أقوى ولاية في الجنوب الشرقي.

لقد اتّسمت حضارتا وو ويويه اللتان مثّلتهما هاتان الولايتان بصفات محلية فريدة؛ أولها أن أكثر الأسلحة البرونزية تطوراً- وخاصة السيوف البرونزية- كانت تسبك في تلك المنطقة، وقد أثنى كتاب «طقوس تشو: سجل التجارات»- وهو عمل يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة- عليها بأفضل ما تحمله العبارة. هذا وقد اكتشف علماء الآثار سيوف الملك فوتشاي من وو، والملك قوه جيان من يويه، وقد أثبت اكتشافها صحة ما ورد في تلك الوثائق التاريخية. فعلى سبيل المثال، نُقِشت على نصل سيف قوه جيان- الذي تم العثور عليه في منطقة جيانغلينغ، مقاطعة خهبي (الصورة 3-23)- ثمانية حروف على سطرين بخط الطير. وقد صُنِع السيف من أجود أنواع البرونز، وزُيِّن بأنماط داكنة اللون وماسية الشكل، بالإضافة إلى زخارف من البلور الأزرق والفيروز على القسم الواقي من




الصورة 3-23 سيف قوه جيان ملك يويه، تم العثور عليه في ضريح نبلاء ولاية تشو (Chu) في موقع وانغشان، الرقم 1 في جيانغلينغ، خهبي

مقبضه. وقد تمكّن العلماء من العثور على السيف، ولم يضره مرور الزمن؛ رغم أن ما بين 2400 و2500 سنة قد مرت على دفنه تحت الأرض.

ثانياً، كانت المصنوعات البرونزية الشعائرية التي تعود إلى حضارتَي وو ويويه فريدة في شكلها وتصاميم زينتها. عادة، تكون لقدر دينغ المصنوعة في هذه المنطقة ثلاث قوائم تتسع تدريجياً، وتعرف باسم يويه دينغ. أما وعاء «قوي» فهو عادة ذو فتحة صغيرة ووسط مسطح ومقبضين بارزين يشبهان الأذنين. وفي بعض الأحيان، تفرّق خطوط بين الأشكال المنقوشة عليه. أما وعاء تسون فوسطه مفلطح وفيه نتوءات، أو كان على شكل طائر. في حين أن مقبضَي «بان» ملتصقان بالهيكل بإحكام، حيث أصبحا جزءاً من الزينة. أما التصاميم الزخرفية التزيينية فتكون عادة على أشكال أقنعة حيوانات أو تنانين كوي أو أشكال نسيج ودبوس. كما كانت لمصنوعات برونزية أخرى مميزات محلية فريدة؛ مثل الأوعية المسبوكة على أشكال قرون، وبان ذي العجلات الثلاث؛ وهو الذي نحت على شكل عصفور مع مقبضَين حلقيَي الشكل (الصورة 3-24). وقد شملت المصنوعات البرونزية التي تمثل وو ويويه أيضاً ما يلي: جرس تشه جيان، جيان الملك قوانغ من وو، جيان فوتشاي من وو، ودينغ الخاص بوو وانغسون وورين، و«فو» الملك يوشي من وو، وفأس ذات خنجر تعود إلى الملك شي يه من هان، وأخرى تعود إلى الأمير يوي، وسيف الملك قوانغ من وو وغيرها... (الصور 3-25، 3-26، 3-27)







(في الأعلى) الصورة 3-24 «بان» برونزي له ثلاثة ألوان ويعود إلى حقبة الربيع والخريف، تم العثور عليه في ووجين، جيانغسو، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير نيه مينغ)

(في الأسفل) الصورة 3-25 نقوش على «جيان» الملك فوتشاي من جيان، وقد سبك الملك فوتشاي بنفسه الوعاء بالبرونز

جيان الملك فوتشاي من وو، ويحمل نقشاً كتابياً من 13 حرفاً من الداخل، وقد قام الملك شخصياً بسبكه.



(في الأعلى) الصورة 3-26 جيان الملك فوتشاي من وو، ويعود إلى حقبة الربيع والخريف. يبلغ طوله حوالي 44.8 سم، وقطر فتحته 76.5 سم، وقد تم العثور عليه في ليوليقه، منطقة هوي، خهنان، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير يانغ شين بين)

(في الأسفل) الصورة 3-27 جيان الملك فوتشاي من وو (جزء من لوحة أكبر)



禮在東方

الكيو يي الصينية

الفصل الرابع

حرفية فائقة
⊠المصنوعات البرونزية
خلال حقبة الممالك المتحاربة

مقدمة

تطوّرت أساليب صهر الحديد بشكل كبير في حقبة الممالك المتحاربة. ومع حلول منتصف هذه الحقبة وأواخرها، انتشر استخدام الأدوات الحديدية بشكل كبير، ما أدى إلى تحسين الإنتاجية في مجتمع ذلك الزمن. وقد هيمنت سبع ولايات على تلك الحقبة، وهي: تشي، وتشو (Chu)، ويان، وهان، وتشاو، ووي، وتشين، كما تميزت بازدهار غير مسبوق في الفكر الفلسفي الذي أصبح من الموروثات الثقافية التي لا تقدر بثمن لحضارة البرونز في الصين القديمة.

اتسمت هذه الفترة باكتمال التحول من نظام العبودية إلى النظام الإقطاعي. وقد تم ذلك عبر عدة إصلاحات جرت في عدة ولايات؛ مثل تلك التي أجراها كل من لي كوي في ولاية وي، وشانغ يانغ في ولاية تشين. وكانت النتيجة أن العصر البرونزي في الصين بدأ بالأفول مع نهاية حقبة الممالك المتحاربة. فرغم الجمال الساحر الذي اتصفت به الأواني البرونزية التي صُنِعت في منتصف هذه الحقبة وآخرها، إلا أن شعبية المصنوعات البرونزية على العموم شهدت تراجعاً كبيراً. ومن الأمثلة على هذه المصنوعات رائعة الجمال: أواني «لي» و«جيان» المربعة والمذهبة التي تم العثور عليها في شانغتسونلينغ، سانمنشيا، مقاطعة خهنان. صُنِعت معظم الأواني البرونزية بدون أي تصاميم زخرفية. وكانت معظم النقوش الكتابية عليها محفورة على السطح البرونزي فقط، وعادة بكلمات مقتضبة وبسيطة تشير إلى زمن صناعة الإناء، ومكان صنعه، والشخص المسؤول عن صناعته، بالإضافة إلى اسم صانعه نفسه. ولكن في بعض الأحيان، كان وزن الإناء وحجمه منقوشين بدلاً من هذه التفاصيل. وكما أشار كتاب «حوليات الربيع والخريف لليوي: تقويم الشتاء» فإن «اسم الصانع يوضع على القطعة التي صنعها كي تختبر نوعيتها وجودتها».

وبالرغم من كل ذلك، استمرت صناعة صهر البرونز وسبكه بالتطور، ولكنّ استخدامات هذه الصناعة تحولت إلى مستلزمات الحياة اليومية نتيجة عدة عوامل. ففي البداية، أدى ازدهار التجارة إلى تطور سريع لتداول العملات المصنوعة من البرونز، بالإضافة إلى الحاويات التي تستخدم في قياس الوزن والحجم. ثانياً، برزت صناعة المستلزمات المنزلية والشخصية مثل المرايا ومشابك الأحزمة والمصابيح والأختام





الصورة 4-1 مصباح برونزي منحوت على شكل محارب من ولاية تشي في عهد الممالك المتحاربة. يبلغ ارتفاعه 23.9 سم، وقطر كل من صفيحتيه 11.5 سم، وطول الملعقة 22.7 سم. وقد تم العثور عليه في تشوتشنغ في شاندوقنغ عام 1957؛ ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني (تصوير وانغ دا نينغ)

وبطاقات الإثبات وغيرها، وقد كانت جميعها تصنع من البرونز، وقد تطورت جنباً إلى جنب مع منتجات مصنوعة بعناية، ومرصعة بالجاد والمينا، ومطلية بالورنيش. (الصورتان 4-1، 4-2)

وبالرغم من تطور صناعة الأسلحة الحديدية، ظل استخدام الأسلحة المصنوعة من البرونز هو المهيمن. وقد ازدادت كمياتها بشكل كبير بسبب شراسة الحروب وكثرتها في تلك الحقبة؛ حيث كانت الولايات المختلفة تتنازع على ضم الأراضي من بعضها بعضاً. وظهرت أسلحة جديدة وقوية مصنوعة من الخشب مثل القوس والنشاب (crossbow)، وترافقت مع ظهور آلية إطلاق السهام.

اتسمت المرحلة الأخيرة من حقبة الممالك المتحاربة بازدياد الحروب وشراستها بين الولايات المستقلة المختلفة. وفي النهاية، نجح تشين شي هوانغ أولاً في ضم ولاية هان إلى مملكته عام 230 قبل الميلاد، وبعد ذلك بعشر سنوات تمكّن من توحيد الولايات



الصورة 4-2 مصباح برونزي ذو مقبض طويل يزينه نمط متدرج يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليه في قبر وانغشان رقم 2 في جيانغلينغ، هوبي؛ من «معرض حضارة تشو (Chu)» في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

الست عبر غزوه لولاية تشي عام 221 قبل الميلاد، وأعلن نفسه إمبراطوراً؛ واضعاً بذلك حداً لانقسام الصين إلى إقطاعيات يحكمها النبلاء، والذي استمر لقرون طويلة امتدت عبر حقبة الربيع والخريف، ثم حقبة الممالك المتحاربة قبل أن يتمكن تشين شي هوانغ من جعل البلاد متوحدة، ومتعددة الأعراق تحكمها دولة مركزية مستبدة؛ فكانت هذه بداية حقبة سلالة تشين. وباعتلاء تشين شي هوانغ العرش الإمبراطوري انتهى العصر البرونزي في الصين. ومع أن استخدام العملات والمرايا المصنوعة من البرونز استمر حتى أثناء حقبتَي سلالتَي تشين وهان، إلا أن المصنوعات الحديدية والخزفية (البورسلين) المزينة بالطلاء والورنيش احتلت المركز الأساسي في حياة الناس وموارد إنتاجيتهم، فانتقلت الصين بذلك إلى عصرها الحديدي المبكر.



إنجازات في الآلات الموسيقية البرونزية

شهدت حقبة الممالك المتحاربة استمرار تطور صناعة صهر البرونز وسبكه، فتحسن المستوى التقني وتحسن معه المستوى الإنتاجي. ومن أفضل المصنوعات التي تجسّد إنجازات تلك الحقبة: الأجراس الإيقاعية البرونزية التي تم العثور عليها في أضرحة الماركيز يي من تسنغ في مدينة سويتشو، مقاطعة هوبي عام 1978، والتي تعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة. تتألف الأجراس الإيقاعية من 64 جرساً موزّعة على ثماني مجموعات ترافق معها جرس من نوع «بو» قدمه الملك شيونغ تشانغ من تشو (Chu)، وقد سجّلت عليها النقوش تاريخ صنعها، وهو السنة السادسة والخمسون من حكم الملك هو من تشو (Chu) (الموافقة لسنة 433 قبل الميلاد). وبذلك بلغ مجموع الأجراس 65 جرساً؛ وهي أكبر مجموعة من الأجراس الإيقاعية البرونزية التي تم العثور عليها في الصين حتى الآن. (الصورتان 4-3، 4-4)

الصورة 4-3 أجراس الماركيز يي من تسنغ الموسيقية، وهي تعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليها في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سويتشو، هوبي، ويُحتفَظ بها في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)



حين تم العثور على الأجراس، كانت لا تزال سليمة ومعلقة على رفوف مربعة الشكل وموزعة على ثلاثة صفوف يعلو كل منها الآخر. كما تم العثور على مضربين خشبيين طويلين ومطليين بالورنيش، وست مطارق خشبية مصنوعة على شكل الحرف T اللاتيني؛ وهي جميعها تُستخدم لقرع الأجراس. وكانت العوارض الوسطى والعلوية أيضاً تستند إلى رؤوس ستة تماثيل برونزية لمحاربين يحملون السيوف وأيديها. وقد عُلِّقَ 19 جرساً تم توزيعها على ثلاث مجموعات في الصف الأعلى، أما الصف الأوسط فقد عُلِّق فيه 33 جرساً من نوع يونغ موزَّعة على ثلاث مجموعات أيضاً، في حين أن الصف الثالث احتوى على مجموعتين تتألف الواحدة منهما من ستة أجراس من نوع رونغ بالإضافة إلى جرس بو الذي أهداه الملك شيونغ تشانغ من تشو.



الصورة 4-4 أجراس الماركيز يي من تسنغ الموسيقية التي تعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة (جرس بو الذي قدمه الملك هوي من تشو)، وقد تم العثور عليه في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سويتشو، هوبي، ويُحتفَظ به في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

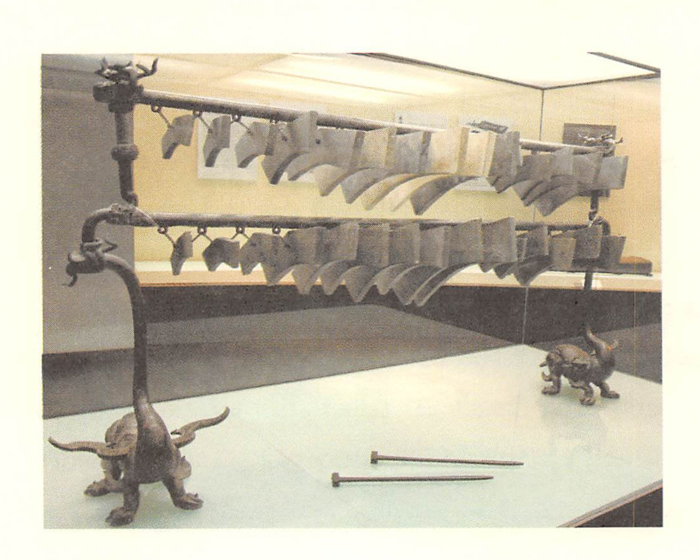
زُيِّنَت هذه الأجراس بدقة وعناية، ورُصِّعت بعدد كبير من النقوش. ولكن بخلاف الحروف التي تقول: «صنع وملكية الماركيز يي من تسنغ»، فإن بقية النقوش تتحدث عن علم الموسيقى، وتشير إلى السلالم الموسيقية، وتعديلات الأجراس الإيقاعية، والتراسل بين مختلف التعديلات والسلالم الموسيقية والنغمات المتغيرة التي كانت موجودة في ولايات تشو (Chu) وجين وتشي وتشو (Zhou) وتسنغ. يبلغ مجموع الحروف المنقوشة على الأجراس الإيقاعية 2828 حرفاً تقدم لنا مرجعاً قيماً حول تاريخ الموسيقى في الصين القديمة. وقد أثبتت الاختبارات التي أجراها معهد الموسيقى الصيني أنّ كل جرس قادر على إصدار نغمتين موسيقيتين مختلفتين تتفقان تمام الاتفاق مع السلالم الموسيقية المذكورة في النقوش، ومع ذلك تظلان قادرتين على إصدار نغمتهما الأصلية. أما بنية السلالم الموسيقية المذكورة في النقوش فتتوافق مع السلّم العالمي ذي النوتات السبع والذي يبدأ بنوتة الدو الكبير (C Major). النطاق الذي تغطيه الأجراس الإيقاعية واسع، إذ تغطي خمسة دواوين موسيقية تقريباً، وتصدر الدواوين الوسطى حوالي 12 نصف نغمة، وتتوافق مع التعديل



المتساوي ذي الاثنتي عشرة نغمة. كما أن قدراتها على التعديل والتحويل تُمكّن الأجراس الإيقاعية من عزف أنغام مختلفة؛ ما يعني أن هذه الآلة الموسيقية كانت في غاية الأهمية في ما يتعلق بتطور الموسيقى الصينية، وتُظهِر أن أساليب سبك البرونز كانت قد وصلت إلى درجة من الرقي أثناء حقبة الممالك المتحاربة، حيث أتاحت المجال أمام تصميم الأصوات التي تصدرها المصنوعات البرونزية.

في عام 1979، دخلت الأجراس الإيقاعية للمرة الأولى في حيازة المتحف الوطني للتاريخ الصيني (الذي أصبح اسمه اليوم متحف الصين الوطني)، فعزفت مقطوعات موسيقية مثل تشوشانغ، و«أتمنى لك رحلة موفقة»، وغيرها من الأغاني الوطنية والأجنبية المشهورة أمام السفراء الأجانب الذين ذُهِلوا لدى رؤيتهم هذه الإنجازات الهائلة التي حقّقها الشعب الصيني في مجالَي الموسيقى وصناعة البرونز.

كما تم أيضاً العثور على 32 جرساً إيقاعياً في أربع مجموعات، ومعها أربعة طبول، وآلات موسيقية وترية مختلفة تشمل 12 آلة سه، وآلة تشين ذات خمسة أوتار، وآلة تشين ذات عشرة أوتار، وكذلك أربع آلات شنغ (آلة نفخية مصنوعة من القصب)، وآلتَي تشي (مزمار قديم) وصفارتَين. ويوحي لنا كل ذلك أن مجموعات كبيرة من الموسيقيين كانوا يعزفون معاً من ناحية، وأن مستوى الأداء الموسيقي كان متطوراً أثناء حقبة الممالك المتحاربة من ناحية أخرى. (الصورة 4-5)



الصورة 4-5 أحجار أجراس الماركيز يي من تسي، وهي تعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليها في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سيتشو، هوبي؛ ويُحتفَظ بها في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

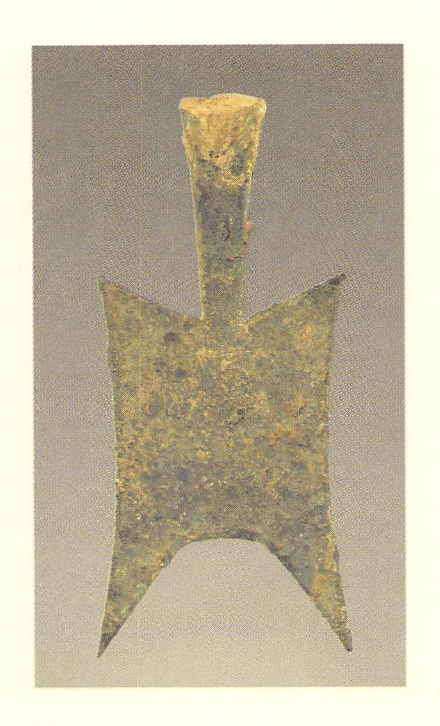
| العملات البرونزية في مختلف الولايات

كشفت أبحاث علماء الآثار ومكتشفاتهم أن الأصداف البحرية كانت تُستخدَم كزينة، وتتداول كعملة أثناء حقبة سلالة شانغ؛ فقد تم العثور على 6800 من أصداف الودع في ضريح فو هاو في خرائب يين في مدينة آنيانغ، مقاطعة خهنان. وفي ذلك الوقت، استخدم الناس البرونز وعظام الحيوانات وأصداف المحار لصنع أصداف مُقلَّدة وشبيهة بأصداف الودع. وحتى في حقبة سلالة تشو الغربية، ظلت أصداف الودع تستخدم كعملة، ولكن البرونز- بحسب وزنه- صار يستخدم كعملة أيضاً. وقد أدى أفول نظام العبودية في وسط حقبة الربيع والخريف وآخرها إلى تطور الاقتصاد القائم على التجارة، وبالتالي إلى استخدام العملات المعدنية. وفي عام 1959، تم اكتشاف 12 قطعة عملة برونزية منحوتة على شكل مجرفة وتعود إلى تلك الحقبة في موقع في ولاية جين، جنوب قرية نيو، مدينة هوما، مقاطعة شانشي. سُبِكت هذه العملات في أواخر عهد الربيع والخريف، ويبلغ طول كل منها 12 سم، وقد حُفِرت ستة حروف على وجه كل منها، أما بقية العملة فتتسم بنقش يشبه الكتفين والقدمين، مع مقابض مجوفة. ولذلك سُمِّيت هذه العملة «كونغشوبو»، وهي كلمة تعني «عملة المجرفة ذات المقبض المجوف». كما استخدمت عملة كونغشوبو في بلاط سلالة تشو الشرقية في حقبة الربيع والخريف، وقد تكون هذه العملات كبيرة أو صغيرة، وقد تكون أطرافها مسطحة أم منحدرة الشكل، وقد تكون سيقانها مقوسة. وعادة، كان يُنقَش حرف واحد على وجه كل عملة مثل «王»؛ وهو حرف يختصر عبارة «المدينة الإمبراطورية»، حتى إن بعضها كانت تحمل نقش «东周» الذي يعني «سلالة تشو الغربية». هذا وقد استمرت شعبية هذه العملة حتى حقبة الممالك المتحاربة. (الصورتان 4-6، 4-7)

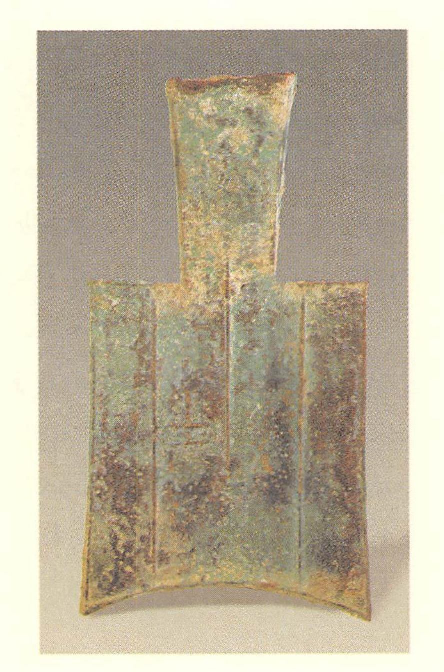
وخلال حقبة الممالك المتحاربة، وخاصة في آخرها، سرَّع ازدهار الاقتصاد السلعي من عملية تقدّم غير مسبوقة أدّت إلى استخدام العملات البرونزية. وبالطبع، مع اختلاف أنواع التطور الحضاري الموجود في كل ولاية، اتخذت هذه العملات أشكالاً مختلفة. ولكن، يمكننا أن ندرجها ضمن أربعة أصناف: عملة بو، وعملة السكين، وعملة هوان، والأصداف البرونزية.

استُخدِمت عملة بو في ولايات هان وتشاو ووي، ولكن مقبضها لم يكن مجوفاً كما كان الحال من قبل، بل كان المقبض مسطحاً مثل بقية تمثال المجرفة، ولذلك أطلق عليها اسم: بينغشوبو. في ولاية وي، كانت عملة بو عادة تحتوي على نقوش تُحدِّد قيمة كل منها بالإضافة إلى مكان سكّها، فكانت تُقسم إلى قيم: نصف جين، وجين واحد، وجينين؛ حيث يُعادل الجين الواحد ما بين 12 إلى 15غ. (الصورة 4-8)

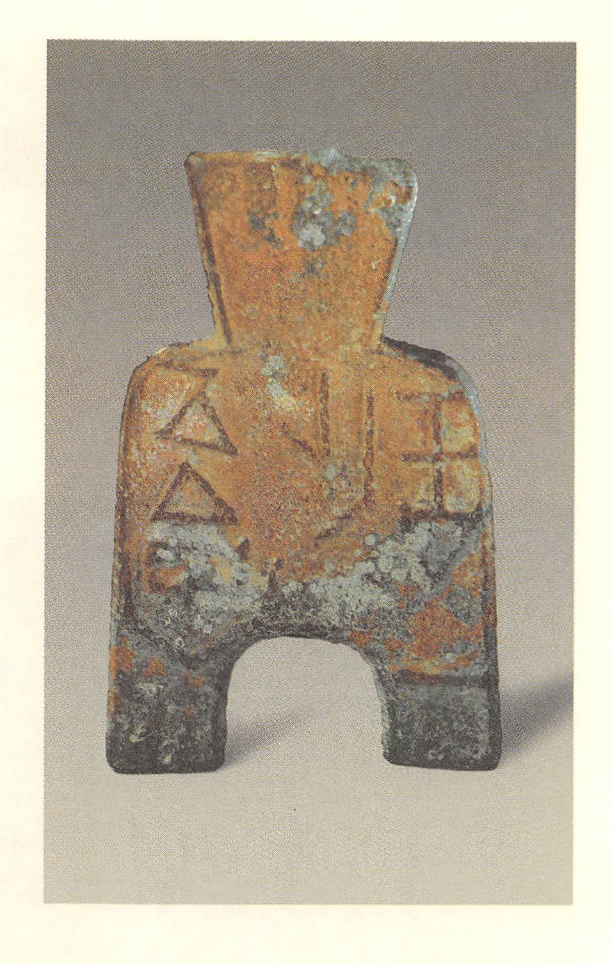
لكنّ عملة بو في ولاية تشاو لم تكن لها إلا قيمتان، وكانت أسماء الأماكن منقوشة على بعضها. بعض عملات بو تحتوي على ثلاثة ثقوب ولذلك تُدعى المجارف ذات الثقوب الثلاثة، كما نُقِشت حروف مثل «南行唐» و«十二铢» على بعضها. أما عملة السكين الصغيرة والمستقيمة فكانت تدعى «السكين المستقيم»، وكانت تُستخدم أيضاً في ولاية تشاو، وتحمل نقوشاً بأسماء بعض الأماكن مثل «甘单».



(في الأعلى) الصورة 4-6 عملة كونغشوبو كبيرة لها أطراف مدببة، ولا تحتوي على نقوش، من ولاية جين في أواخر حقبة الربيع والخريف. يُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات المعدنية القديمة



(في الأسفل) الصورة 4-7 عملة كونغشوبو مع أطراف عليا مدببة وسفلى مقوسة، وُسِمت بحرف: ، وهي تعود إلى ولاية جين في أواخر حقبة الربيع والخريف. يُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات المعدنية القديمة

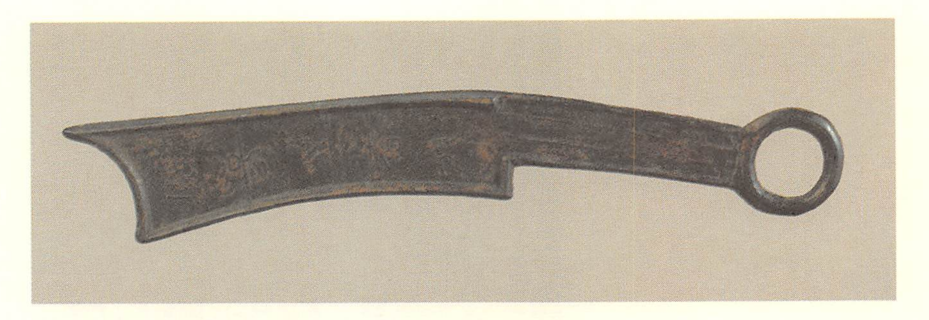


الصورة 4-8 عملة جين واحد من آنيي، تعود إلى ولاية وي في حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات المعدنية القديمة

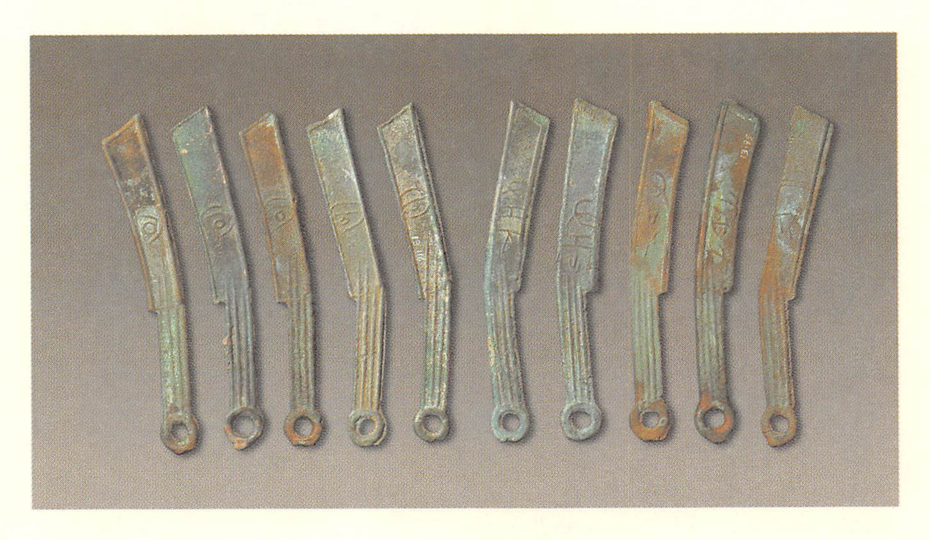
أما عملة بو في ولاية هان، فكانت صغيرة الحجم وذات أطراف مربعة، وتشمل النقوش التي قد نجدها عليها: «平原» وتعني: «السهل». لكن المرحلة الأخيرة من حقبة الممالك المتحاربة شهدت استخدام عملات بو صغيرة ذات أطراف سفلية مربعة في الولايات الثلاث: هان وتشاو ووي.

كانت عملة السكين هي السائدة في ولايتَي تشي ويان، وقد أُطلِق هذا الاسم عليها لأنها كانت منحوتة على شكل سكين. تميزت عملة السكين المستخدمة في ولاية تشي بكونها كبيرة وثقيلة، وهي عادة تحمل النقوش: «齐法化» والتي تعني: «عملة تشي المعيارية» (الصورة 4-9). أما عملة السكين في ولاية يان فقد كانت تنقسم إلى شكلين مختلفين: الأول وهو الأقدم كان ذا أطراف مدببة، أما الثاني اللاحق فقد كان





الصورة 4-9 عملة سكين من آنيانغ، وهي تعود إلى ولاية تشي تحت حكم عائلة جيانغ في حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات المعدنية القديمة



الصورة 4-10 عملات سكين مينغ، من ولاية يان في حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بها في متحف العاصمة

أصغر وشفرته مقوسة أو مستقيمة مع ثنية واضحة في زاوية في وسطه، ويدعى ذلك الشكل الأخير تشينغ (حجر الجرس الإيقاعي)؛ وقد ظهر في وقت لاحق لشكل الشفرات المقوسة. وبما أن هذه السكاكين كانت تحمل نقشاً للحرف «明» الذي يُلفظ «مينغ» باللغة الصينية، فقد سُمِّيَت سكاكين مينغ. (الصورة 4-10)

كانت عملة هوان هي العملة الرئيسة في ولاية تشين، وهي عملة مستديرة لا حواف لها، مع ثقب مربع في وسطها، وعادة يُنقَش عليها «半两» ويعني «نصف ليانغ»،

ولذلك تعرف أيضاً باسم: عملة نصف ليانغ. وكذلك ثمة نوع آخر من عملة هوان يُدعى وِنشين. وعلينا أن نلاحظ هنا أن أنواع القماش وخاصة الحرير كان يتم تداولها كعملة في ولاية تشين.

في ولاية تشو (Chu)، كانت العملة المتداولة عبارة عن أصداف ودع برونزية بيضاوية الشكل تدعى يي بي تشيان (عملة أنف النملة)، وتحمل نقوشاً مثل «君» و«金» و«行» وغيرها، وكذلك عملة المجرفة البرونزية أيضاً؛ حيث كان يتم تداولها بحجمين مختلفين، لكنّ كليهما كانا مستطيلا الهيكل بأطراف علوية مسطحة وسفلية مربعة، وكانت العملات ذات الحجم الأكبر تحتوي على ثقب مستدير في مقبضها، وتحمل نقشاً يقول «شو بو دانغ جين»؛ ما يُشير إلى أن هذه العملة ربما كانت عملة إقليمية تم سبكها بعد أن استولت ولاية تشو على أراضي ولايتَي وو ويوي. (الصورة 4-11)



الصورة 4-11 عملة بو تحمل النقش «殊布当釿» من شمالي ولاية تشو (Chu) خلال حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات المعدنية القديمة

كما كان الذهب المسكوك يُستخدَم كعملة في ولاية تشو (Chu)، حيث كانت صفائح الذهب إما مستديرة أو مربعة، وتحتوي على طبعات إما مستديرة أو مربعة أيضاً تحمل نقوشاً كُتِبت عليها أشياء مثل «يينغ تشنغ» (أو «يينغ يوان» في الماضي)، و«تشن تشنغ»، و«تشوان تشنغ»، و«ذهب لو» وغير ذلك. وفي عام 1974، تم العثور على ما مجموعه ثماني عشرة قطعة من العملات المسكوكة. بعضها كان من نوع «يينغ تشنغ»، وبعضها الآخر كان عبارة عن أقراصٍ ذهبية، وأخرى كانت على شكل حدوة حصان ذهبية،



بالإضافة إلى عملات فضية من منطقة فوقو، مقاطعة خهنان. كانت العملات الفضية من نوع بو، وقد سُبِكت على شكل المجرفة بثلاثة أحجام مختلفة، وباستثناء واحدة منها، لم يكن لبقية عملات المجرفة مقبض مجوف. وتعتبر هذه أقدم العملات الفضية التي تعود إلى حقبة سلالة تشو الشرقية التي تم اكتشافها حتى الآن.

علينا أن نشير هنا إلى أنه في أواخر حقبة الممالك المتحاربة أصبحت عملة هوان هي المستخدمة والمتداولة في جميع الولايات باستثناء ولاية تشو (Chu). وعلى سبيل المثال، كانت عملة هوان المستخدمة في بلاط ملوك سلالة تشو الشرقية لها قطر 2.5 سم، وكانت لها حواف مع ثقب مستدير في وسطها، وتحمل إما نقش «西周» (تشو الغربية) أو «东周» (تشو الشرقية). أما عملة هوان المُستخدمة في ولاية هوان فكانت بدون حواف، ولها ثقب مستدير في وسطها يحمل بعض النقوش (الصورة 4-12). أما ولاية تشاو، فقد حملت عملة هوان فيها نقوش «藺» و«离石»، في حين أن ولاية يان حملت نقش «匕明»، وكذلك حملت عملات ولاية تشي النقوش «賹化» و«賹四化» و«賹六化». وأمام هذه الخلفية من الفروقات، قام الإمبراطور تشين شي هوانغ بتوحيد جميع هذه العملات تحت عملة واحدة؛ وهي عملة نصف ليانغ، وأدى ذلك إلى تطور البلاد اجتماعياً واقتصادياً إلى حدٍّ كبير.



الصورة 4-12 عملة هوان تحمل النقش من ولاية وي في عهد الممالك المتحاربة؛ يُحتفَظ بها في متحف بكين للعملات القديمة

حاويات القياس البرونزية

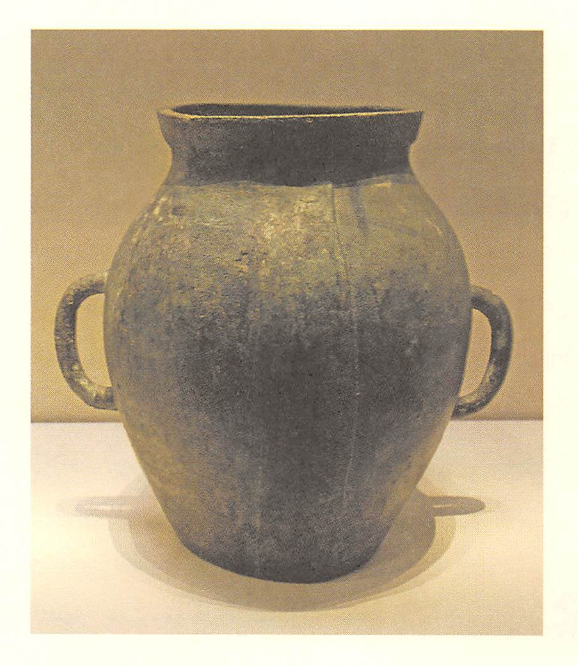
حاويات القياس أدوات قديمة كانت تستخدم لقياس طول جسم ما وحجمه ووزنه. وقد برزت بعد أن وصل التقدم الاجتماعي والاقتصادي والحضاري إلى مستوى عالٍ من الرقي. فعلى سبيل المثال، كانت المسطرة المصنوعة من العاج التي تم العثور عليها في خرائب يين في آنيانغ، مقاطعة خهنان مقسمة إلى وحدات تماثل الإنش الواحد في الطول، ومقسمة إلى وحدات فرعية عشرية. وخلال حقبة الممالك المتحاربة، حين نشأ النظام الإقطاعي تم القضاء على نظام العمالة مقابل الضرائب المسددة عينياً. كما أدى التطور المستمر للاقتصاد السلعي إلى ازدياد الحاجة إلى حاويات قياس برونزية عملية ودقيقة لتسهيل عملية تبادل السلع وتجميع الضرائب. في عام 1931، تم العثور على مسطرة برونزية تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة في قرية جين، مدينة لوه يانغ، مقاطعة خهنان.

أشهر أداة قياس تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة هي فانغشنغ، وهي وعاء قياس معياري صُنِع أثناء الإصلاحات التي أجراها شانغ يانغ في ولاية تشين (الصورة 13-4). يحمل الوعاء 32 حرفاً منقوشاً على الجانب الأيسر من هيكله، وتُسجِّل تلك النقوش أنه «أثناء السنة الثامنة عشرة من حكم الدوق شياو من تشين (عام 344 قبل الميلاد) ترأس دوق تشي وزراءه لدفع الجزية إلى ولاية تشين. وفي شهر كانون



الصورة 4-13 نقوش على «فنغشنغ» صممها شانغ يانغ الذي عاش في ولاية تشين أثناء حقبة الممالك المتحاربة، (تم الحصول عليها من خلال الدعك والتظليل على الورق) ويُحتفَظ بها في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

وقد كانت هذه الأداة أداةَ القياس المعيارية التي تم اعتمادها أثناء الإصلاحات التي أجراها شانغ يانغ خلال السنة الثامنة عشرة من حكم الدوق شياو من تشين (الموافقة لعام 344 قبل الميلاد). فبعد أن نجح الإمبراطور تشين شي هوانغ في توحيد الولايات الست، تم نقش المرسوم الإمبراطوري في السنة السادسة والعشرين من حكمه أسفل الأداة، حيث أمر الإمبراطور رئيسَي وزرائه كوي تشوانغ ووانغ وان أن يُعمِّما نظام شانغ يانغ على البلاد بأسرها.



الصورة 4-14 «فو» تسي خه تسي من ولاية تشي في عهد الممالك المتحاربة. تم العثور عليها في لينغشانوي في منطقة جياو، شاندونغ عام 1857؛ من معرض الصين القديمة في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

«فو» من حاويات القياس في ولاية تشي. وقد كان تسي خه تسي هو اسم تيان خه سي حين شغل منصباً في البلاط الإمبراطوري، وقد صنع هذا الوعاء البرونزي قبل أن يصبح ماركيز تشي.

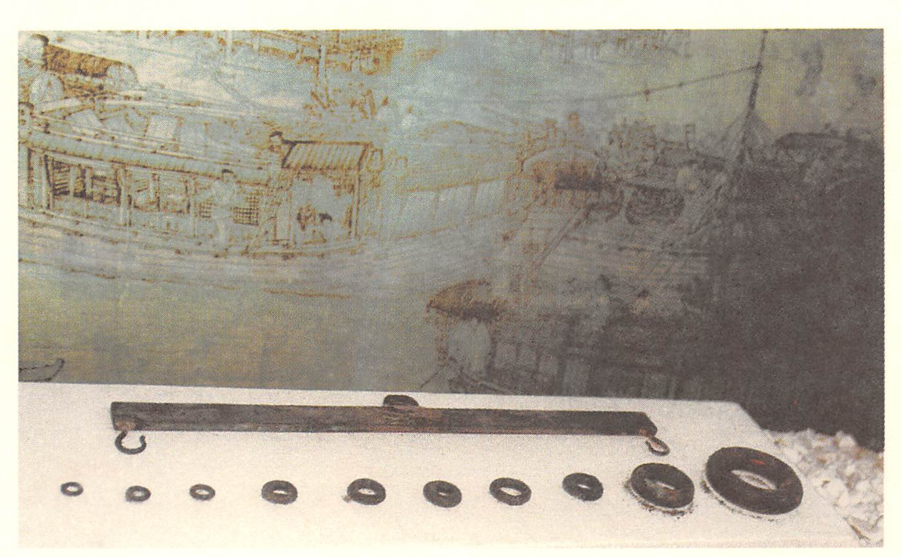
الثاني وأثناء الشتاء، صنع المستشار شانغ يانغ الوعاء الذي عرف فيه أن 16 إنش مكعب وخُمس الإنش المكعب يعادل لتراً واحداً». ويُظهِر هذا النقش أن الناس في ذلك الزمن كانوا قد بدأوا باستخدام وحدات القياس، كما بدأوا بحساب أحجام الأشياء، وأن الحساب الرياضي وصنع الأدوات كان قد وصل إلى مستوى متقدم في حقبة الممالك المتحاربة.

وفي وقت لاحق، تمت إضافة المزيد من النقوش إلى أسفل الوعاء، وسجّلت هذه النقوش المرسوم الإمبراطوري الصادر في السنة السادسة والعشرين من حكم الإمبراطور تشين شي هوانغ (221 قبل الميلاد) والقاضي بتعميم معيار القياسات. ويظهر من ذلك أن الإمبراطور قد أقرّ أداة فانغشنغ كمعيار يوحِّد وحدات القياس جميعها. وفي السنة السابعة من حكم الإمبراطور شيانغفنغ من سلالة تشينغ (الموافقة لعام 1857) تم العثور على ثلاثة أوعية قياس تعود إلى ولاية تشي في حقبة الممالك المتحاربة في لينغشانوي، منطقة جياو، مقاطعة شاندونغ. وهذه الأوعية الثلاثة هي: فو تسي خه تسي (وفو هو وعاء قياس شكله مثل القدر)، وفو تشنتشون، وقانغ تسوه قوان. هذا وقد نُقِش أكثر من تسعين حرفاً على وسط فو تسي خه تسي تبيّن كيف أنه ينبغي لـفو صوامع

القمح أن تصبح المقياس في صنع فو تسوه قوان، وأنه ينبغي للأشخاص الذين غشوا في صناعة الوعاء أن يتعرضوا إما للحبس أو لعقوبة أكثر قسوة. ويُظهِر ذلك أنه قد تم التوصل إلى نظام لفحص أوعية القياس ومراقبتها. (الصورة 4-14)

يمكننا أن نقسم المثاقيل البرونزية المستخدمة كأداة للقياس في حقبة الممالك المتحاربة إلى نوعين: الأول هو المثقال حلقي الشكل؛ ومن الأمثلة عليه الميزان والمثقال حلقي الشكل الذي تم العثور عليه في هضبة تسوه جيانغقونغ في مدينة تشانغشا عام 1954 (الصورة 4-15). وربما كانت هذه المثاقيل تستخدم لقياس وزن يينغتشنغ، العملة المعدنية المتداولة في ولاية تشو (Chu). أما النوع الثاني فهو المثقال المقبب؛ وإن كانت بعض أشكال هذه المثاقيل تشبه البطيخ المحزز مع وجود مقابض في أعلى المثقال. ومن الأمثلة على هذا النوع الثاني مثقال قاونو من ولاية تشين أثناء حقبة الممالك المتحاربة، والذي تم العثور عليه في موقع قصر إيبانغ في مدينة شيآن عام 1964. نُقِش على المثقال 16 حرفاً أشارت إلى زمن صنعه، واسم الشخص المُشرِف على صنعه، وصانعه الرئيس، والحرفي، ووزنه، ومكان صنعه. كما حُفرت عليه المراسيم

الصورة 4-15 مثاقيل برونزية حلقية الشكل من ولاية تشو (Chu) في حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ بها في متحف علم القياس والموازين في مدينة تشي القديمة في مقاطعة شانشي (تصوير لوه هونغ)





الإمبراطورية التي صدرت في السنة السادسة والعشرين من حكم الإمبراطور تشين شي هوانغ، والسنة الأولى من حكم إمبراطور سلالة تشين الثاني، وكذلك الحروف الثلاثة: «高奴石».

كانت المثاقيل في حقبة سلالة تشين مشابهة في شكلها لما سبقها، ولكنها قد تكون أيضاً مصنوعة من الحديد، وعادة ما تُطعَّم بصفائح النحاس التي تحمل المرسوم الإمبراطوري الذي صدر في السنة السادسة والعشرين من حكم الإمبراطور تشين شي هوانغ. وقد تم العثور على عدد من هذه المثاقيل بعد نشأة جمهورية الصين الشعبية في مدينة وندنغ، مقاطعة شاندونغ، وكذلك في هضبة النمر في آوهانتشي في منغوليا الداخلية، وفي منطقة تسوه يون في مقاطعة شانشي.

أعمال الفن في الحياة اليومية

في الأزمنة القديمة، لم تكن المرايا الأولى التي استخدمها الإنسان تعدو عن كونها حوضاً من الفخار يحتوي على الماء. وقد سمّى الصينيون القدامى ذلك الحوض جيان؛ وهي كلمة مشتقة من الفعل الذي يعني نظر الإنسان إلى انعكاس صورته. بدأ صنع المرايا البرونزية في العصر البرونزي، وفي الغالب كانت مستديرة وذات جانب مقوس بعض الشيء ومصقول ليعكس الصور، مع وجود مقبض لها في وسط جانبها الخلفي، حيث يمكن تعليقها بحبل. كما كانت تلك المرايا تُزيَّن بزخارف وأشكال حول حوافها. صُنِعت أقدم المرايا البرونزية التي تم اكتشافها في السهول الوسطى في أواخر عهد سلالة شانغ، حيث تم العثور عليها في قبر فو هاو في خرائب يين، مدينة آنيانغ، مقاطعة خهنان؛ إذ عُثِر على أربع مرايا صُنِعت جميعها بأشكال دائرية، وقد زُيِّن الجانب الخلفي من بعضها بأشكال تجسد عروق أوراق الشجر وسلاسل من الخرز، بالإضافة إلى مقابض مقوسة الشكل في وسطها؛ ولكنها جميعها كانت رديئة الصنع.

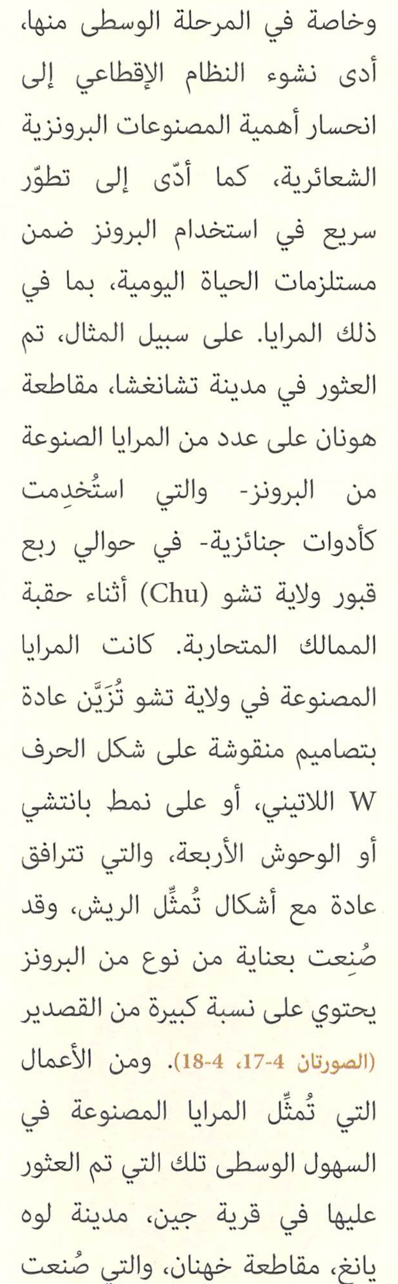
من النادر أن يتم التنقيب عن مرايا برونزية تعود إلى حقبة تشو الغربية أو حتى إلى حقبة الربيع والخريف؛ ما يُظهِر أنّ مستلزمات الحياة اليومية المصنوعة من البرونز لم تكن تُنتَج بكميات كبيرة في تينك الحقبتين؛ مع أن الأدوات الشعائرية المصنوعة من البرونز كانت السائدة فيهما. (الصورة 4-16)

الصورة 4-16 مرآة برونزية تعود إلى عهد الملك وو دينغ من سلالة شانغ. تم العثور عليها في ضريح فو هاو في خرائب يين في آنيانغ، مقاطعة خهنان عام 1976، من معرض «الصين القديمة» في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)





الصورة 4-17 مرآة برونزية نقش عليها نمط بانتشي، وقد نُحتت بطراز مثقب، من ولاية تشو (Chu) في حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليها في تشانغجيانشان في جيانغلينغ، هوبي عام 1976، ويُحتفَظ بها في متحف الصين الوطني



في حقبة الممالك المتحاربة، وخاصة في المرحلة الوسطى منها، أدى نشوء النظام الإقطاعي إلى انحسار أهمية المصنوعات البرونزية الشعائرية، كما أدّى إلى تطوّر سريع في استخدام البرونز ضمن مستلزمات الحياة اليومية، بما في ذلك المرايا. على سبيل المثال، تم العثور في مدينة تشانغشا، مقاطعة هونان على عدد من المرايا الصنوعة من البرونز- والتي استُخدِمت كأدوات جنائزية- في حوالي ربع قبور ولاية تشو (Chu) أثناء حقبة الممالك المتحاربة. كانت المرايا المصنوعة في ولاية تشو تُزَيَّن عادة بتصاميم منقوشة على شكل الحرف W اللاتيني، أو على نمط بانتشي أو الوحوش الأربعة، والتي تترافق عادة مع أشكال تُمثِّل الريش، وقد صُنِعت بعناية من نوع من البرونز يحتوي على نسبة كبيرة من القصدير (الصورتان 4-17، 4-18). ومن الأعمال التي تُمثِّل المرايا المصنوعة في السهول الوسطى تلك التي تم العثور عليها في قرية جين، مدينة لوه يانغ، مقاطعة خهنان، والتي صُنعت بحرفية استثنائية أضفت عليها جمالاً



الصورة 4-18 مرآة برونزية على شكل الحرف W اللاتيني، من حقبة الممالك المتحاربة، يُحتفَظ بها في متحف جينغتشو في مقاطعة هوبي (تصوير تشنغ لي شان)

رائعاً؛ حيث كانت المرايا مرصعة بالذهب والفضة أو بالجاد والمينا، بالإضافة إلى المرايا معقدة التركيب التي تم سبك جانبيها الأمامي والخلفي بالبرونز الذي يحتوي على نسب متفاوتة من القصدير. كما كانت بعض المرايا مزينة بأشكال صوَّرت جندياً على صهوة حصان يُمسِك بسيف ليصطاد وحشاً، وتصوّر الواقع الاجتماعي تصويراً حياً. (الصورة 4-19)

استمر تطور صناعة المرايا البرونزية حتى بعد حقبتَي سلالتَي تشين وهان؛ فكان بعضها يحمل نقوشاً، ولكنّ التطور الأكبر كان ظهور «مرايا اختراق الضوء» (التي سماها الأجانب: المرايا السحرية الصينية) والتي حين يشع النور على جهتها الأمامية أو جانبها فيمكن للأشكال المنقوشة في جانبها الخلفي أن تنعكس بشكل خافت؛ وتدل صناعتها على تطور كبير في تقنيات صناعة المرايا. وقد وصلت هذه التقنيات إلى ذروتها في حقبتَي سلالتَي سوي وتانغ، حيث صُنِعت مرايا بلغت القمة من حيث قيمتها الفنية



الصورة 4-19 مرآة برونزية مزينة بأشكال محاربين يقاتلون وحوشاً، وقد تم العثور عليها في ضريح تشين في منطقة يونمينغ، مقاطعة هوبي



الصورة 4-20 مرآة برونزية ذات نقوش زُيّنت بأشكال حيوانات مباركة وميمونة، وهي تعود إلى حقبة سلالة تانغ، ويُحتفَظ بها في متحف مقاطعة تشه جيانغ (تصوير يانغ شينغ بين)



والجمالية، مثل مرايا أشكال الحيوانات المباركة الميمونة، وعناقيد العنب، ومرايا قصر القمر (الصورة 4-20). وفي حقبتَي سلالتَي مينغ وسونغ، تحوّلت الهيمنة إلى المرايا الزجاجية التي حلت محل المرايا البرونزية كوسيلة أساسية لعكس الصور.

كما أصبحت مشابك الأحزمة البرونزية من بين مستلزمات الناس اليومية الشائعة وواسعة الاستخدام خلال حقبة الممالك المتحاربة. وكان المشبك- ويُدعى الإبزيم أيضاً- أداة زينة للحزام تشبه الآلة الموسيقية الصينية الشبيهة بالعود والتي تُدعى بيبا. يتألف مشبك الحزام من طرف أمامي أكثر رقة ينتهي بتمثال لرأس حيوان وجسم مقوس بعض الشيء، ومن طرف آخر عريض يشبه الأنبوب مع مقبض يشبه الجرس على طرفه الخلفي. كان الرأس والمقبض في المشبك يوضعان في ثقوب كل من طرفي الحزام لشده وتثبيت الثياب. وقد اكتشف علماء الآثار مشابك أحزمة برونزية في السهول الوسطى تعود إلى حقبة الربيع والخريف، وقد صُنِعت في وقت أكثر قدماً من أي من المشابك الأخرى التي تم العثور عليها، وهي تُظهِر أن مشابك الأحزمة اختُرِعت للمرة الأولى في السهول الوسطى، وليس عند المجموعة العرقية الشمالية التي تدعى شيانبي. كانت المشابك أثناء حقبة الممالك المتحاربة تُصنَع من البرونز غالباً، ولكنها أيضاً كانت تُصنَع من الذهب والفضة والحديد والجاد، وكانت صناعة بعضها في غاية الروعة؛ سواء أكان ذلك من حيث استخدامها العملي أو من حيث زينتها الجميلة.

من الأمثلة على هذه المصنوعات رائعة الجمال مشبك الحزام الفضي المطلي بالذهب والمرصع بالجاد الذي تم العثور عليه في قرية قو وي، منطقة هوي، محافظة خهنان. كان طول ذلك المشبك 18.4 سم، ويشبه آلة بيبا التي أشرنا إليها، ويقبع على



الصورة 4-21 مشبك حزام برونزي نُقِشت فيه أشكال أقنعة الحيوانات، وهو يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ به في متحف شينتشنغ في مقاطعة خهنان (تصوير نيه مينغ)

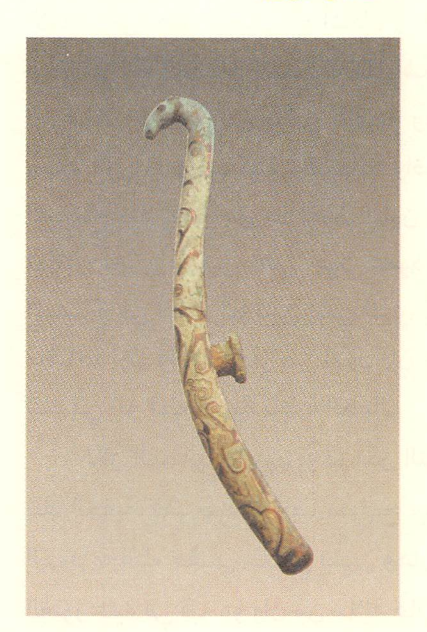


(في الأعلى) الصورة 4-22 مشبك حزام منحوت على شكل وحيد القرن، وهو يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، ويُحتفَظ به في متحف الوديان الثلاثة في الصين في تشونغتشنغ (تصوير يانغ شينغ بين)

(في الأسفل) الصورة 4-23 مشبك حزام من حقبة الممالك المتحاربة، يُحتَفَظ به في متحف جينغتشو في مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

قاعدة من الفضة. نُحِت رأس المشبك المذهب على شكل وجه حيوان، ورُصِّع بثلاث قطع من الجاد الأبيض المُزيَّنة جميعها بحجر كريم ما عدا الوسطى منها. صُنِع القسم الأمامي من المشبك من الجاد الأبيض بطريقة رائعة؛ ما يُظهِر المستوى الراقي من الإتقان الذي وصلت إليه البلاد خلال حقبة الممالك المتحاربة. وقد استمر انتشار استخدام مشابك الأحزمة حتى في حقبتَي سلالتَي تشين وهان، ولكنه فَقَدَ شعبيته مع حلول حقبتَي السلالتين الشمالية والجنوبية، حيث حلّت مثبتات الأحزمة الجديدة محلها. (الصور 4-21، 4-22، 4-23)

يُعتبَر المصباح البرونزي من بين مستلزمات الحياة اليومية الأخرى التي تطورت بشكل كبير أثناء حقبة الممالك المتحاربة. وكان يُستخدم لحمل الزيت أو الشمع اللذين كانا يُستعملان كوقود لإشعال







الصورة 4-24 مصباح قصر تشانغشين من حقبة سلالة هان الغربية، تم العثور عليه في قبور هان في مانتشنغ، خهبي (تصوير نيه مينغ)

النار والإضاءة. صُمِّمت معظم تلك المصابيح حيث تشبه حاوية الطعام الفخارية التي تدعى دو، ولكنّ تلك الحقبة شهدت أيضاً صنع الكثير من المصابيح التي تتسم بأشكالها المعقدة والأنيقة المختلفة؛ ومنها خمسة عشر مصباحاً تم العثور عليها في ضريح ملك ولاية تشونغشان في منطقة بينغشان، مقاطعة خهبي، حيث تشبه أشكالها أشكالَ الأشجار في بعض الأحيان، أو أشكالَ رجال ذوي رؤوس مطلية بالفضة في أحيانٍ أخرى. ويصل ارتفاع المصباح المسبوك على شكل رجل إلى 66.4 سم، ويقف في وسطه رجل ذو عباءة طويلة ورأس مطلي بالفضة وعينين مصنوعتين من الجواهر، ويتميز بتعابير وجهه التي تبدو السكينة والسعادة واضحة فيها. أما عمود المصباح الطويل فقد كان المصباح فيه يُعلَّق من فم تمثال لتنين تشي يُمسِك به رجل بيده اليمنى، بينما تلتف تماثيل أخرى لتنانين تشي حول عمود المصباح ويتسلق قرد عليه إلى حيث يوجد المصباح في أعلاه. أما تنين تشي الذي يُمسك به الرجل بيده اليسرى فيمسك في فمه مصباحاً آخر ولكنه أقصر من الأول. إن هذا التصميم يدل حقاً على مخيلة مبدعة، ولا شك في أنه قطعة فنية باهرة الجمال.

لكنّ المصابيح البرونزية لم تكن النوع الوحيد من المصابيح التي تمت صناعتها في تلك الحقبة، فقد صُنِعت أيضاً مصابيح من الفخار والجاد. هذا وقد ازداد رواج المصابيح البرونزية أثناء حقبتَي سلالتَي تشين وهان، ومن أشهرها مصباح قصر تشانغشين الذي تم العثور عليه في قبر دو وان من سلالة هان الغربية في مانتشنغ، ولاية خهبي. (الصورة 4-24)

رموز مهمة للسمعة والسلطة

حسب ما تذكره السجلات التاريخية، ظهرت الأختام للمرة الأولى أثناء حقبة الربيع والخريف، ولكن أبحاث علماء الآثار لم تكتشف أياً منها يعود إلى تلك الحقبة حتى الآن. وترافق قيام النظام الإقطاعي وزوال النظام الوراثي في المجتمع القائم على العبودية مع قيام ملوك الولايات التابعين للبلاط المركزي بتعيين مسؤولي ولاياتهم. وأثناء هذه العملية، برزت الحاجة إلى إعطاء أصحاب المناصب المعينين رموزاً تشير إلى هوياتهم ومراكزهم وسلطاتهم، فتحولت الأختام إلى تجسيد لهذه المعاني. ومن ناحية أخرى، أدى تطور الحياة الاجتماعية إلى تسهيل التبادل الشخصي للسلع والمستلزمات، وتطلَّب ذلك بدوره شيئاً يُعرِّف عن هوية الشخص وسمعته، وأدى إلى ظهور الأختام الشخصية.

والنتيجة هي أنّ الأختام الرسمية والشخصية قد تطورت تحت الظروف الاجتماعية المذكورة أعلاه. وخلال حقبة الممالك المتحاربة، استُخدِمت أختام مصنوعة من البرونز، ولكنها لم تكن الوحيدة، فقد استُخدِمت أيضاً أختام مصنوعة من الجاد والفضة والعقيق والمينا والعظام وقرون الحيوانات والفخار. وغالباً ما كان وجه الختم مربعاً، ولكنه قد يكون مستطيلاً أو دائرياً، أو قد يتخذ شكل أداة ضبط الزوايا القائمة. كانت للأختام مقابض صغيرة مقوسة الشكل غالباً ومفتوحة، حيث يتمكن صاحبها من تعليقها بخيط أو حبل رقيق ويحملها معه. أما الخطوك المنقوشة على الأختام فشملت الحروف الحمراء (أختام يانغ) والحروف البيضاء (أختام يين)؛ وكانت الحروف جميعها مرتبة بطريقة بسيطة وأنيقة، ما يجعل هذه الأختام قطعاً فنية بديعة ومتقنة.

كانت الأختام تُستخدَم لإغلاق الرسائل والطرود بعد إلصاق علامة للختم على حافة الغلاف لحماية خصوصية الرسائل من ناحية، ولتعمل كوسيلة لتمييز مرسِلها من ناحية أخرى. كما استُخدمت الأختام لوسم قماش الحرير، وقاعدة الفخار الطينية، وأجسام الأحصنة. وعادة، تكون الأختام الرسمية أكبر حجماً، حيث يبلغ طول ضلع الختم الواحد سنتمترين، ويحتوي على اسم مسؤول الدولة ومنصبه. أما الختم الشخصي، فبالإضافة إلى كونه أصغر حجماً فهو يحمل اسم صاحبه الكامل. كما توجد أختام للأقوال المأثورة الجالبة للحظ وأختام للصور. فنجد أن أختام الأقوال المأثورة التي تجلب الحظ تحمل نقوش عبارات مثل «رحلة موفقة»، و«الولاء والنزاهة»، و«الحصافة»، و«الازدهار». أما



أختام الصور فتحمل صوراً لمختلف الحيوانات مثل النمور والغزلان، فضلاً عن صور البشر، وقد نُقِشت بطرائق بسيطة تجعلها مشابهة للواقع.

بعد أن قام الإمبراطور تشين شي هوانغ بتوحيد الصين، صارت أختام الإمبراطور تدعى شي، أو الأختام الإمبراطورية، ولم يكن لغيرها أن يحمل ذلك الاسم. أما الأختام التي يملكها المسؤولون أو الأفراد العاديون فكانت تدعى يين. بعد ذلك، أصبح يين الاسم الشائع للأختام العادية. وخلال الفترة الممتدة بين حقبة سلالة تشين، وسلالتَي سوانغ ويوان مروراً بسلالة هان، استمر الناس باستخدام الأختام البرونزية. ولكن بعد حلول حقبة سلالة مينغ، بدأت الأختام الحجرية بالتطور والحلول محل الأختام البرونزية.

يتطلب صنع الأختام القيام بعدة عمليات، بدءاً من نقش الحروف ونقش الصور الجانبية، ووصولاً إلى صنع مقبض الختم؛ وهو فن منفصل وقائم بحد ذاته، ويعتبر من بين الفنون الصينية التقليدية المتنوعة. وقد اشتهر عدد كبير من صانعي الأختام البارزين مثل ون بنغ وخه تشن أثناء حقبة سلالة مينغ، وتشنغ سوي وديnغ جينغ ودنغ شي رو وتشاو تشي تشيان في حقبة سلالة تشينغ، ويعتبر تشي باي تشي أشهر الفنانين المعاصرين في هذا المجال.

ظهرت بطاقات الإثبات، أو فو وجيه أثناء حقبة الممالك المتحاربة كإثبات للأوامر الإمبراطورية، ثم أصبحت أحد تجليات النظام السياسي المركزي الجديد الذي نشأ بعد تلك الحقبة. في الصين، تستخدم بطاقات الإثبات فو عادة في الجيش كرمز للإمبراطور الذي يملك سلطة إصدار الأوامر للجيوش وتوجيهها، وهي تُصنَع عادة من البرونز على شكل نمر، وتقسم إلى نصفين في وسطها حيث يحتفظ الإمبراطور بالنصف الأيمن أما النصف الأيسر فيحمله قائد الجيش المحلي. وحين يريد الإمبراطور حشد جيشه فإنه يرسل النصف الأيمن مع رسول إلى قائد الجيش. وإذا تطابقت القطعتان فعندها فقط يقوم قائد الجيش بتنفيذ الأمر وحشد الجيش. (الصورة 4-25)

خلال حقبة الممالك المتحاربة، طلب النبيل شين لينغ (من ولاية لي) من رو جي- إحدى جواري ملك وي- أن تسرق بطاقة فو الإمبراطورية كي ترسل قوات عسكرية لإنقا ولاية تشاو، وتُظهِر القصة وظيفة نمر فو. ومن الأمثلة الأخرى، نمر فو شينتشي في ولاية تشين الذي استُخدِم في أواخر حقبة الممالك المتحاربة، وكان يحمل أربعين حرفاً



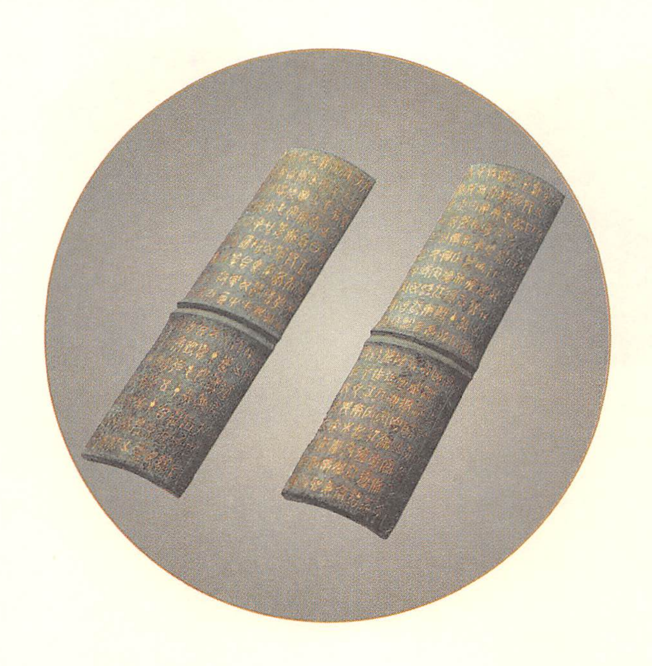
الصورة 4-25 «فو» على شكل نمر من ولاية تشين، وقد تم العثور عليها في شيآن في مقاطعة شانشي. وكان قادة جيوش ولاية تشين يحتفظون بها أثناء حقبة الممالك المتحاربة

كانت «فو» تُستخدَم كإثبات عسكري في الأزمنة القديمة؛ فيحتفظ الملك بالقطعة اليمنى فيما يحتفظ قائد الجيش بالقطعة اليسرى، ولا يمكن حشد القوات وتحريكها إلا إذا تمت المطابقة بين النصفين.

مكتوبة بالذهب تُبيِّن أن: «فو العسكرية مقسومة من النصف، وأن الإمبراطور يملك القطعة اليمنى، أما القطعة اليسرى فيُحتفظ بها في شين تشي. وإذا تطلب الأمر حشد جيش يتألف من أكثر من خمسين جندياً، فلا ينبغي القيام بأي حركة قبل أن تُجلَب القطعة اليمنى وتتطابق مع القطعة اليسرى. لكنّ إضاءة منارة التحذير مسموح بها، حتى لو كانت القطعة اليمنى غير حاضرة».

بطاقات «جيه» نوع آخر من أنواع بطاقات الإثبات المصنوعة من البرونز. وفي عام 1956، تم العثور على بطاقات إثبات للنبيل تشي من حديقة تشيوجيا في منطقة شو، مقاطعة آنهوي. ثم في عام 1960، تم العثور على بطاقات إثبات للنبيل إي في المكان ذاته؛ وشملت هذه البطاقات بطاقات لرحلات البر وبطاقات لرحلات القارب. نُقِش ما مجموعه 147 حرفاً في تسعة سطور على الترصيعات الذهبية في بطاقات إثبات رحلات البر، ولكنّ اثنتين منها مفقودتان؛ حيث كان من المفترض أن تتواجد خمس بطاقات تُجمَعُ لتشكّل أنبوباً يشبه ساق الخيزران. كما تم العثور على بطاقتين لرحلات القارب تحملان ما مجموعه 164 حرفاً في تسعة سطور في الترصيعات الذهبية؛ ولكنْ ثمة ثلاث بطاقات مفقودة أيضاً ضمن هذه المجموعة، والتي يمكننا أيضاً تجميعها لتكوِّن شكلاً يشبه أنبوباً من ساق الخيزران. كان الملك هواي من تشو (Chu) هو الذي





الصورة 4-26 بطاقتا إثبات برونزيتان من نوع «جيه»، ومرصعتان بالذهب تعودان إلى النبيلين تشي وإي من ولاية تشو في حقبة الممالك المتحاربة. وقد أعطاهما إياهما ملك تشو كدليل على أنهما معفيان من الجمارك. تم العثور عليهما في منطقة شو في آنهوي، ويُحتفَظ بهما في متحف الصين الوطني

أعطى النبيلين هذه البطاقات خلال السنة السادسة من حكمه (عام 323 قبل الميلاد) ليستخدماها كدليل على سماحه لهما بنقل بضائع معفية من الجمارك على البر أو في الماء. وتحدّد النقوش التي تبدو في هذه البطاقات عدد العربات والطرقات التي يجب على القوافل التجارية اتباعها، وتُظهِر أن ملك تشو كان قد وضع حدوداً للمكاسب التي يستطيع أتباعه المباشرون أن يحققوها، وأن التجارة والتبادل الاقتصادي كانا مزدهرين في تلك الحقبة. (الصورة 4-26)

المجد الغابر لأضرحة الملوك التابعين

توصّل علماء الآثار إلى اكتشافات مهمة في أضرحة الملوك التابعين أثناء حقبة الممالك المتحاربة، ونذكر منها ما يلي:

في عام 1978، تم العثور على مقبرة الماركيز يي من تسنغ في مدينة سويتشو، مقاطعة هوبي والتي أنشئت على هضبة صغيرة في أوائل حقبة الممالك المتحاربة (حوالي سنة 433 قبل الميلاد) وتتألف من توابيت خشبية مزدوجة في أضرحة عمودية موضوعة في حفر صخرية. حُفِر الضريح الواحد على شكل متعدد الأضلاع، وقُسِّم إلى أربعة أقسام: شرقي وشمالي ومتوسط وغربي، وكانت الأضرحة مليئة بالفحم النباتي والطين اللزج الأخضر (الذي يسميه عامة الناس في الصين الطين المعجوني) الأمر الذي ساهم في حفظ الأدوات الجنائزية بشكل رائع واستثنائي. ورغم صغر ولاية تسنغ إلا أنها خلّفت لنا عشرات آلاف الأوعية الرقيقة التي عُثِر عليها في الضريح، بالإضافة إلى أضخم مجموعة من الأجراس الإيقاعية. وأكثر المجموعات التي تم العثور عليها اكتمالاً حتى الآن هي تلك التي وُجِدَت في مخبأ مليء بالأدوات البرونزية الجنائزية، وتشمل قدريْن كبيرتيْن لطبخ اللحم (هوه دينغ)، وتسع قدور شنغ دينغ كانت تُستَخدَم في المراسم الشعائرية، وتسعة سي دينغ، وثمانية قوي، وأربعة سلال، ومجموعة من أوعية تسون وفو الكبيرة، وزوجاً من الأصص الموضوعة على قواعد، ومجموعتين من جيان وفو وتسون على صينية، وأربعة فو لحمل المياه. كانت جميع هذه الأوعية كبيرة الحجم ومتقنة الصنع ورائعة الجمال. فعلى سبيل المثال، تم سبك زوج من أوعية تسون وفو الكبيرة باستعمال طريقة الشمع الضائع، وزُيِّن بطراز زاه يُمثّل المستوى المتطور الذي بلَغَته حضارة البرونز وقتها. كما تمّ العثور على عدد كبير من الأسلحة البرونزية، وتجهيزات العربات والأحصنة؛ مثل المطرد البرونزي متعدد الشفرات، وعصي المطارد، ومُثبّتات مسامير العربات.

بلغ مجموع وزن الأدوات البرونزية التي تم العثور عليها في الضريح حوالي عشرة أطنان، ما يُظهِر كم كان إنتاج البرونز هائلاً في حجمه في ذلك الحين (الصور 4-27، 4-28، 4-29، 4-30، 4-31، 4-32). كما أن الأدوات المصنوعة من الذهب مثل الفناجين، وأقداح النبيذ، ومشابك الأحزمة، ومجموعات اللواحق المصنوعة من الجاد تشير إلى أسلوب

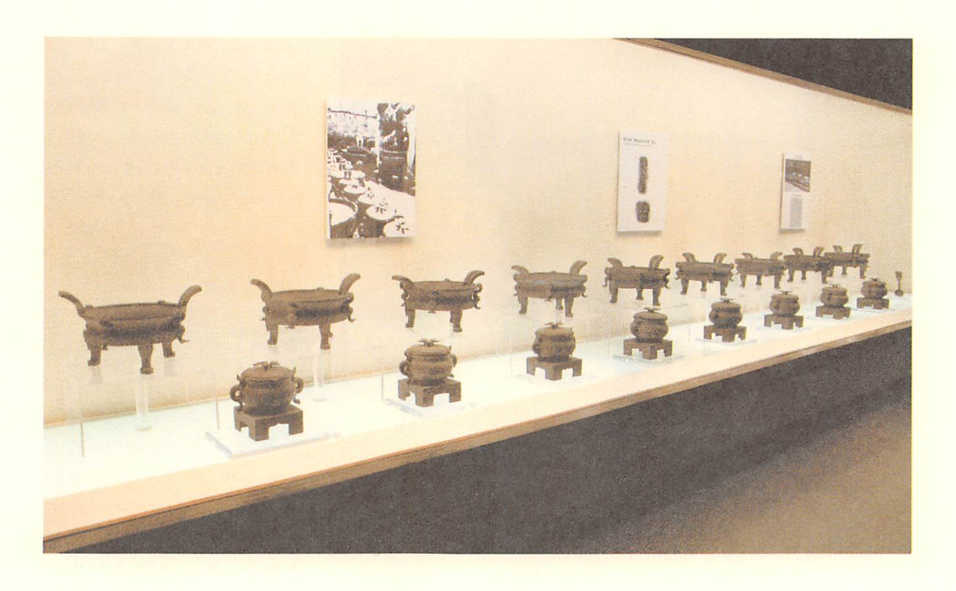




الصورة 4-27 «قوانغفو» برونزي مُزيَّن بزخارف من النحاس الخالص، وهو يعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليه في قبر الماركيز يي من تسنغ في سويتو، هوبي. من معرض «قبر الماركيز يي من تسنغ» في متحف ولاية هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)



الصورة 4-28 «قوي» برونزي يعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة. تم العثور عليه في قبر الماركيز يي من تسنغ في سويتو، هوبي. من معرض «قبر الماركيز يي من تسنغ» في متحف ولاية هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)



الصورة 4-29 تسع دينغ، وثماني «قوي»، مجموعة محددة من المصنوعات البرونزية التي كانت تستخدم في الطقوس في أوائل حقبة الممالك المتحاربة؛ تم العثور عليها في قبر الماركيز يي من تسنغ في سويتو، هوبي؛ من معرض «قبر الماركيز يي من تسنغ» في متحف ولاية هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

الحياة المترف الذي كان الماركيز يعيشه. وعُثِر أيضاً على 240 قصاصة مصنوعة من ورق الخيزران، وتتضمن نصوصاً مكتوبة بالحبر تتحدث عن الأسلحة والعربات والأحصنة التي استُخدِمت كمرفقات جنائزية في الأضرحة. بلغ عدد الحروف الموجودة على هذه المصنوعات البرونزية 12696 حرفاً إذا شملنا النقوش المكتوبة بالورنيش على المصنوعات البرونزية والآلات الموسيقية وصناديق الثياب. ومن حيث الكمية، فقد تجاوزت مقدار أي كتابة وجدناه في الأضرحة التي تعود إلى ما قبل حقبة سلالة تشين حتى الآن، منذ أن بدأ التنقيب عن الكتابات على ورق الخيزران في أضرحة منطقة جي خلال حقبة سلالة جين الغربية؛ لذا فهذه النقوش في غاية الأهمية في ما يتعلق بدراسة التاريخ وتاريخ الموسيقى وعلم الفلك والكتابات القديمة.

تم العثور على ضريح ملك تشو (Chu) الذي يعود إلى أواخر حقبة الممالك المتحاربة في موقع ليانقودوي الأثري في منطقة شو (التي تعود الآن إلى منطقة تشنغفنغ) في مقاطعة آنهوي. ولكن الضريح تعرض للنهب مرتين: مرة عام 1933،



(في الأعلى) الصورة 4-30 «هوه دينغ» برونزي يعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة، تم العثور عليه في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سويتشو، هوبي؛ من معرض «ضريح الماركيز يي من تسنغ» في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

(في الأسفل) الصورة 4-31 زوج من الأصص البرونزية التي تجثم على قاعدة وتعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة؛ وقد تم العثور عليهما في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سويتشو، هوبي، ويُحتفَظ بهما في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)





الصورة 4-32 «فو» برونزي يعود إلى أوائل حقبة الممالك المتحاربة، وقد تم العثور عليه في ضريح الماركيز يي من تسنغ في سويتشو، هوبي، ويُحتفَظ به في متحف مقاطعة هوبي (تصوير يانغ شينغ بين)

وأخرى عام 1938. وبالرغم من ذلك، تم العثور على أكثر من أربعة آلاف أثر تاريخي في الضريح، وتشمل سيف الملك شيونغ تشانغ من تشو، ودينغ الملك شيونغ كن من تشو، ودينغ الملك شيونغ هان من تشو، وهو وو شو، ماركيزة تسنغ.

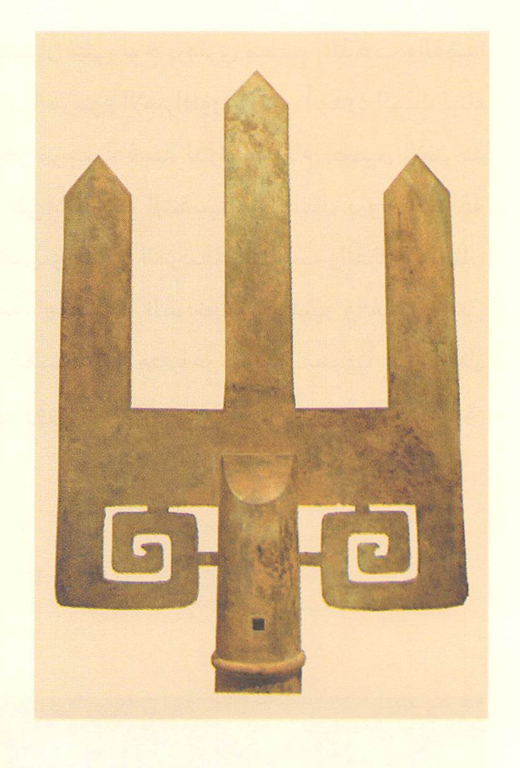
يتسم دينغ الملك شيونغ من تشو بحجمه الضخم، أما دينغ الملك شيونغ هان من تشو فيحمل ما مجموعه 64 حرفاً؛ ثلاثة وثلاثون منها على الغطاء، وواحد وثلاثون على هيكله. وبحسب ما هو مذكور فيها: «حاز الملك شيونغ هان من تشو على البرونز كغنيمة في المعركة، واستخدمه لصنع دينغ في يوم مبارك وميمون في أول شهر قمري، حيث يُعرَض في مراسم تقديم القرابين السنوية». وتُظهِر الأبحاث أن الضريح نفسه ربما كان في ملكية شيونغ هان، المُسمّى الملك يو من تشو، والذي توفي عام 228 قبل الميلاد.

في عامي 1950 و1951 تم العثور على ضريح ملك ولاية وي أثناء منتصف حقبة الممالك المتحاربة في قرية قو وي، منطقة هوي، مقاطعة خهنان، ويقع أسفل سفح



جبل قونغ. يتألف الضريح من ثلاثة قبور كبيرة ومرتبة بجانب بعضها بعضًا، حيث دُفِن فيها ماركيز وماركيزة وي. القبر الأوسط هو الأكبر حجماً، وهو قبر ماركيز وي، وقد تم العثور على قصاصات للكتابة وألواح مصنوعة من الجاد، وقلادة من الجاد منحوتة على شكل نصف حلَقة؛ ما يُشير إلى أنه قد تم تقديم قرابين في هذه المقابر. ومع أن القبر الثاني تعرض لنهب اللصوص، إلا أنه تم اكتشاف بعض الفخاريات المصنوعة لتشبه المصنوعات البرونزية في القبر رقم 1، وتشير هذه الفخاريات إلى وجود تسع قدور شنغ دينغ، وإناءَي قوي، وأربعة هو، وأربعة جيان، وإناء تسا. لكنّ هذا الترتيب يوحي أيضاً بانحسار حادٍّ في اتباع النظام التقليدي لاستخدام المصنوعات البرونزية الشعائرية. في الممر الجنوبي داخل القبر رقم 1، تم العثور على قبور لدفن العربات والأحصنة؛ ما يظهر أنها لم تعد تدفن في حفر منفصلة قرب القبور الضخمة كما كان الحال أيام سلالة تشو (Zhou) الغربية.

بين عامي 1974 و1978، تم التنقيب عن ضريح ملك ولاية تشونغشان -الذي يعود أيضاً إلى منتصف حقبة الممالك المتحاربة- في منطقة بينغشان، مقاطعة خهبي. تشمل الآثار التي تم اكتشاها فيه تشعة قدور تشنغ دينغ وأربع سلال وبعض أواني لي ودو وهو البرونزية وغيرها؛ وتم العثور على أكبر دينغ برونزي ذي قوائم حديدية هناك. وهو يعود إلى الملك تسوه من ولاية تشونغشان، ويصل ارتفاعه إلى 51.5 سم، وقطره إلى 42.7 سم، ونقشت عليه 469 حرفاً موزعة على 77 سطراً على وسط الوعاء، وهي أطول من أي نقش كتابي تم اكتشافه من تلك الحقبة حتى الآن. كما تم اكتشاف إناء هو الذي يعود إلى تسوه، ملك ولاية تشونغشان، ويحمل بدوره 450 حرفاً منقوشةً على وسطه. هذه النقوش الكتابية غنية في محتواها، ولا تكتفي بتوثيق نسب ملوك الولاية، بل تذكر مشاركتها في حرب شنتها ولاية تشي على ولاية يان عام 314 قبل الميلاد، والتي تمكّنت ولاية تشونغشان أثناءها من «توسيع أراضيها لمئات الأميال، ومن الاستيلاء على عشرات المدن». وتسد هذه المعلومات بعض الفراغات في المعلومات التي لم تبيّنها الوثائق التاريخية الأخرى. فقد استخدم حرس الشرف في ولاية تشونغشان أسلحة برونزية تميزت بشكلها المشابه لحرف W اللاتيني، والتي كانت من السمات التي تفردت بها أسلحة هذه الولاية، وقد تم العثور عليها مع خريطة للمقبرة منقوشة على البرونز، فكانت هذه مكتشفات نادرة ومنقطعة النظير بكل ما للكلمة من معنى. (الصورتان 4-33، 4-34)



(في الأعلى) الصورة 4-33 وعاء برونزي مسبوك على شكل الحرف W يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، تم العثور عليه في ضريح ملك ولاية تشونغ شان في بينغشان، خهبي، ويُحتفَظ به في متحف ولاية خهبي (تصوير نيه مينغ)

(في الأسفل) الصورة 4-34 خريطة برونزية لمقبرة ملك تشونغشان تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، وقد تم العثور عليها في ضريح ملك ولاية تشونغ شان في بينغشان، خهبي، ويُحتفَظ بها في متحف ولاية خهبي (تصوير نيه مينغ)

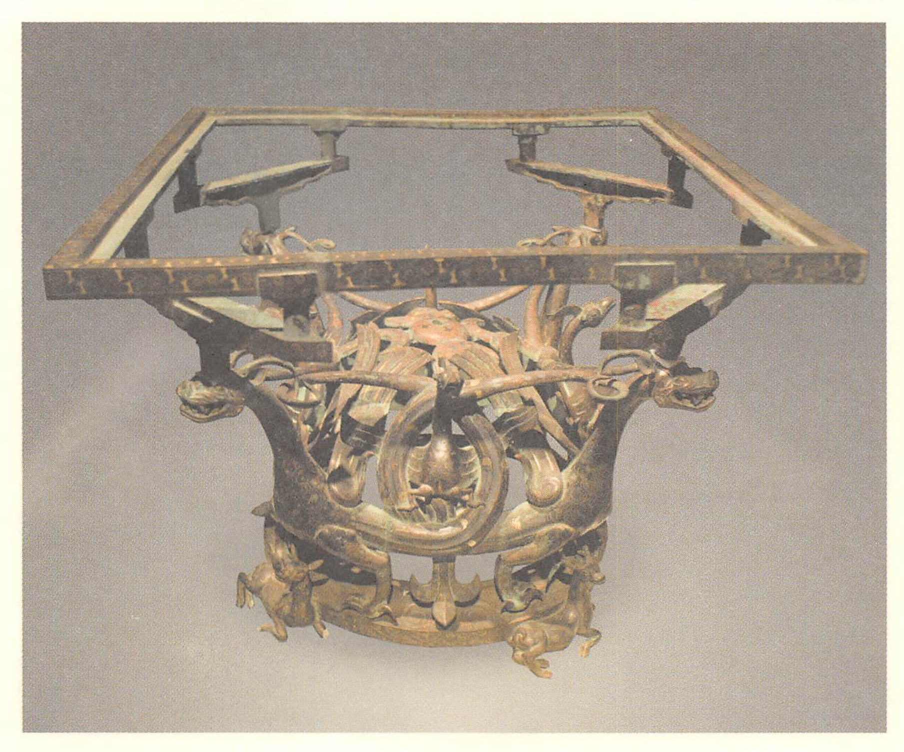
الجانب الأمامي من اللوح البرونزي خريطة للمقبرة بمقياس 1\500، وقد تم نقشها على ترصيعات من الذهب والفضة. هذه الخريطة هي أقدم مخطط لمبنى تم العثور عليه في الصين حتى الآن، وأقدم مخطط معماري منحوت على البرونز يرقى إلى مستوى الخرائط.





نُقِشت خريطة ضريح ملك تشونغشان على لوح برونزي مطعم بالذهب والفضة، وتحمل الخريطة حوالي 640 حرفاً تشمل المرسوم الإمبراطوري الذي أصدره الملك لبناء الضريح، وموضع كل قبر وحجمه، وتوفر مرجعية قيمة لدراسة نظام تصميم الأضرحة في حقبة الممالك المتحاربة. وعلاوة على ذلك، تم التنقيب عن أعمال برونزية فائقة الإتقان وبديعة الجمال، مثل قاعدة التنين والعنقاء المرصعة بالذهب والفضة، وتمثال الحيوان ذي الجناحين المرصع بالفضة، والقاعدة المرصعة بالذهب والفضة والتي تجسد نمراً يلتهم غزالاً، بالإضافة إلى خمسة عشر مصباحاً برونزياً مسبوكاً على شكل أشجار، وغيرها على شكل رجال ذوي رؤوس مطلية بالفضة، وجميعها تكاد تطابق الواقع. (الصورتان 4-35، 4-36)

الصورة 4-35 قاعدة منحوتة على شكل التنين والعنقاء ومرصعة بالذهب والفضة تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، وقد تم العثور عليها في ضريح ملك ولاية تشونغ شان في بينغشان، خهبي، ويُحتفَظ بها في متحف ولاية خهبي (تصوير نيه مينغ)





الصورة 4-36 قاعدة مرصعة بالذهب والفضة تجسد نمراً يلتهم غزالاً، وهي تعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، تم العثور عليها في ضريح ملك ولاية تشونغ شان في بينغشان، خهبي، ويُحتفَظ بها في متحف ولاية خهبي (تصوير نيه مينغ)

تُظهِر السجلات التاريخية أن تشونغشان كانت ولاية أسستها المجموعة العرقية الشمالية التي تدعى شيانيوي. وتؤكد ذلك بعض أدوات الرحالة التي تم العثور عليها في القبور؛ مثل مشابك الخيام. لكنّ معظم المصنوعات البرونزية التي تم اكتشافها تتناسب مع حضارتَي ولايتَي تشاو ووي الواقعتين في السهول الوسطى؛ ما يُشير إلى أن المجموعات العرقية الشمالية قد اندمجت بشكل أكبر مع حضارة السهول الوسطى أثناء حقبة الممالك المتحاربة.



الكيو يي الصينية

الفصل الخامس

حضارات برونزية إقليمية

حضارة البرونز في الشمال

أثناء العصر البرونزي، تأثّرت الدول المحيطة بالسهول الوسطى بحضارة البرونز المتقدمة التي تطورت في تلك السهول، ولذلك تُعتبر الحضارات البرونزية المتنوعة التي نشأت بين مختلف المجموعات العرقية المحيطة بالسهول الوسطى جزءاً لا يتجزّأ من حضارة البرونز الصينية القديمة، ومكوناً مهماً من الحضارة الصينية القديمة ككل.

تواجدت حضارة شياجياديان السفلى في المناطق الشمالية والجنوبية من جبل يانشان شمال الصين، وتشمل غرب مقاطعة لياونينغ، وشرق منغوليا الداخلية، وشمال مقاطعة خهبي، وتيانجين وبكين؛ وهي نموذج للحضارة البرونزية التي نشأت في المنطقة التي امتدت عبر حقبتَي سلالتَي شيا وشانغ. وقد أثبتت تجارب التأريخ بالكربون 14 المشع أنّ هذه الحضارة تعود إلى ما بين 2000 و1500 قبل الميلاد، وقد حصلت على اسمها هذا لأن الموقع الأول الذي اكتشفها فيه علماء الآثار كان موقع شياجياديان في مدينة تشيفنغ، منغوليا الداخلية. وبحسب ما ذكره كتاب «حوليات الربيع والخريف لتسوه: السنة التاسعة من حكم الدوق تشاو من لو»، ربما كانت قبيلة يانهاو هي التي أنشأت حضارة شياجياوديان السفلى، وكان ذلك بالفعل أثناء حقبتَي سلالتَي شيا وشانغ.

وفي الحقبة التي قامت فيها حضارة شياجياديان السفلى، كانت المنطقة قد دخلت بالفعل العصر البرونزي، فبدأ الناس هناك بصنع أدوات برونزية شعائرية قلدوا فيها مصنوعات حضارة السهول الوسطى. فعلى سبيل المثال، تم العثور على إناء يان وقدرَي دينغ مصنوعة من البرونز أمام جبل آوباو، لواء أونغنيود، رابطة تشاووودا، منغوليا الداخلية. وقد حمل إناء يان حرفين في جهته الداخلية كتبا بالطريقة التالية: «贮墉»، لكن هذه المصنوعات البرونزية كانت قد سُبِكت باستعمال تنقيات بدائية وقوامات رديئة. كما تم أيضاً العثور على الكثير من الأقراط والخواتم ورؤوس العكاكيز التي تحمل خصائص محلية مميزة، بالإضافة إلى كماليات دقيقة الصنع مثل الأقراط المصنوعة من الذهب، والقلائد نصف الحلقية والخرز والأنابيب والألواح المصنوعة من الذهب، فضلاً عن الخرز المصنوع من العقيق والفيروز ضمن المكتشفات العائدة إلى تلك الحضارة القديمة. (الصورة 5-1)

عمل أهالي حضارة شياجياديان السفلى في الزراعة بالدرجة الأولى، واستخدموا





الصورة 5-1 «دينغ» برونزي من حضارة شياجياديان السفلى، تم العثور عليه في لواء أونغنيود في مدينة تشيفنغ، منغوليا الداخلية، ويُحتفَظ بها في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

فيها معدات صُنِعت من الحجارة المصقولة مثل الرفوش والمعزقة المقسومة ذات الوسط الصغير والبلطات والمناجل والأزاميل ورؤوس السهام وغيرها... وقد صُنِعت جميعها من الحجارة. عادة، كانت مستعمرات هذه الحضارة في تلك الحقبة تقع على المرتفعات على ضفتَي النهر، وتتألف من مستعمرة كبيرة يُحيط بها عدد من المستعمرات الأصغر حجماً، وكذلك تم العثور على منشآت للدفاع بُنِيت من الحجارة أو التربة المرصوصة. كانت المستعمرات الأكبر حجماً- مثل موقع داديانتسي- تقع في لواء آوهان، منغوليا الداخلية، قرب بعض القبور صغيرة الحجم غالباً. لكن بعض القبور كانت كبيرة الحجم، وتحتوي على مرفقات دفن ثمينة مثل يويه نفيس الجمال ومصنوع من الحجر ويرمز إلى هوية مالكه، كما تظهر من خلاله الفجوة بين الأثرياء والفقراء، والاستقطاب الطبقي الذي كان سائداً في ذلك الزمن. ومن بين أدوات تقديم القرابين الأخرى الموجودة في القبور الكبيرة نجد لي فخارياً ومرسوماً عليه بعناية، وبعض الجرار، وأوعية نبيذ من نوع جيويه، وكذلك قوي (وعاء فخاري ثلاثي القوائم يُستخدَم للطبخ). أغلب تلك الأوعية كانت ذات لون برتقالي مائل للحمرة، وأسطح سوداء مصقولة رُسِمت عليها أشكال جديدة باللونين الأبيض والأحمر تمثّل أقنعة الحيوانات والسحب. أما أشكال أقنعة الحيوانات المرسومة

على الفخاريات المطلية وأشكال أواني جيويه وقوي فتُشبه تلك التي تم العثور عليها في قرية إرليتو، مدينة يانشي، مقاطعة خهنان وأماكن أخرى.

كما تم أيضاً العثور على عظام نبوءات تنتمي إلى هذه الحضارة؛ إذ كانت أعمال الكهانة المرتبطة بهذه العظام تجري من خلال تسخينها على النار بعد ثقبها. والظاهر أن هذه الممارسات كانت متأثرة بشكل كبير بالممارسات الدينية التي كانت تجري في السهول الوسطى في زمن سلالتَي شيا وشانغ.

كما تشير اكتشافات علم الآثار الأخيرة إلى أن المناطق شمال جبل يانشان كانت لديها خصوصية حضارية تختلف عن تلك الموجودة جنوب الجبل. فكانت الأولى تنتج فخاريات رمادية تحتوي على الحصى، وتمثّلها أواني «لي» ذات الأشكال المشابهة للأنابيب من وسطها، وقدور دينغ والأوعية الخزفية، ولا شك في أنها تدل على تطور كبير في تقنية صناعة الفخاريات المطلية وذات الرسوم. أما الثانية فكانت تنتج فخاريات بنية مائلة إلى الحمرة تحتوي على الحصى، وتمثّلها أواني «لي» التي كانت ناتئة من الوسط، وبعض الجرار ذات الأطراف العليا البارزة، وأواني قوي ذات القوائم الطويلة الحلقية. وقد جعلت هذه الفروقات علماء الآثار يقسمون حضارة شياجياديان السفلى إلى قسمين: حضارة يانّان الواقعة جنوب جبل يانشان، وحضارة يانبي الواقعة شمال الجبل. ولكنّ حضارة يانبي أيضاً تعرضت للمزيد من التصنيفات الفرعية.

خلفت حضارة «وي يينغتسي» حضارة شياجياديان السفلى في دالينغ، وحوض نهر شياولينغ غرب مقاطعة لياولينغ وشمال جبل يانشان. وقد حصلت الحضارة البرونزية هذه على اسمها أيضاً من اسم أول موقع تم فيه اكتشاف آثار لها، وهو «وي يينغتسي» في تشاويانغ، مقاطعة لياونينغ عام 1970. تماثل الحقبة التي شهدت نشأة هذه الحضارة حقبة سلالة تشو الغربية، والمصنوعات الفخارية الحمراء والبنية المائلة إلى الحمرة هي السائدة بين الآثار التي تم العثور عليها والتي تعود إلى تلك الحضارة. كانت تلك الفخاريات تتخللها الحصى، ومعظمها خالٍ من الرسوم، وإن كان بعضها يحتوي على أشكال خطوط أو حبال تُرسَم من خلال أنماط مثلثة ومتراصة. وتشمل الأواني الأخرى التي تعود إلى تلك الحضارة أواني مثل لي ودينغ ويان ودو، بالإضافة إلى أحواض وجرار تحتوي على المزيد من الزخارف التزيينية حول فوهاتها. كما تم العثور على أجراس لوان ولجامات دانغلو ومسامير كلها مصنوعة من البرونز، بالإضافة إلى أزرار شبه منحرفة،



وتجهيزات للعربات نُحِتت على شكل رأس خروف، وأساور ذهبية، وخرز من الفيروز، وخوذ برونزية.

كما تم أيضاً العثور على «يو» و«هو» برونزيين وسوارين ذهبيين في خهشانغقو في منطقة كاتسوه عام 1979. وفي المنطقة ذاتها، تم العثور على مرآة وأقراط مصنوعة من البرونز في قبور داوهوقو في قرية شياودونغقو. علينا أن نلاحظ هنا أنه قد تم العثور على الكثير من مخزونات البرونز التي تعود إلى حضارة «وي يينغتسي»، وربما كان بعضها يُخزَّن في الأقبية ويرتبط مع شعائر تقديم القرابين.

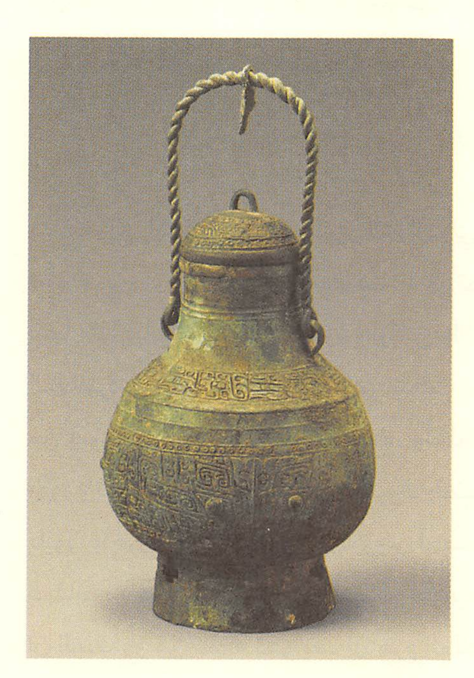
تدل هذه الحضارات على تعايش بين تطور العصر البرونزي في السهول الوسطى وتطورات متوازية ومحلية في الشمال. ومن الأدلة التي تدعم ذلك 14 قطعة برونزية تم العثور عليها في خهشانغقو في منطقة كاتسوه، وتشمل أوعية متنوعة من أنواع دينغ وقوي وبان؛ وجميعها من الأوعية التي كانت تُصنَع في السهول الوسطى، بالإضافة إلى بعض الآثار ذات السمة الشمالية المتميزة مثل الملاعق ذات الرؤوس التي تشبه الأجراس، والأغطية المزينة بأنماط تشبه أسنان المنشار، وحبوب الدخن.



الصورة 5-2 «يو» ماركيز يان، وهو يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في خهشانغقو في منطقة كاتسوه في لياونينغ عام 1955، ويُحتفَظ به في متحف الصين الوطني. تسجل نقوشه الكتابية الداخلية أن «اليو البرونزي هذا صُنِع بتكليف من ماركيز يان»

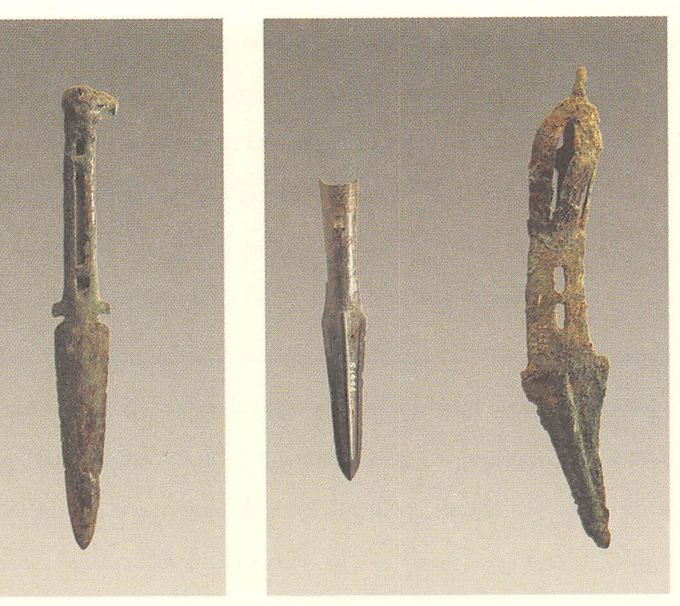
تم العثور على «يو» ماركيز يان في ماشانغقو، منطقة كاتسوه. وهو يشير إلى رابط قريب بين حضارة «وي يينغتسي» وحضارة يان في حقبة سلالة تشو الغربية (الصورة 5-2). حمل إناء «لي» البرونزي الذي تم العثور عليه في الحفرة الأولى النقوش: (ملك ولاية قوتشو الثامن) «亚微» و«孤竹» (قوتشو) و«父丁» (ملك ولاية قوتشو السابع). وتشير هذه النقوش إلى أن حضارة «وي يينغتسي» قد تكون هي بعينها الإرث الذي خلفته ولاية قوتشو؛ وهي ولاية وثّقت السجلات التاريخية وجودها.

خلفت حضارة تشانغجييوان سابقتها حضارة شياجياديان في مناطق جنوب جبل يانشان مثل بكين ومنطقة جي في مدينة تيانجي. وقد سُمّيَت هذه الحضارة أيضاً على اسم الموقع الذي تم اكتشافها فيه للمرة الأولى، وهو موقع تشانغجيايوان في منطقة جي، تاينجين عام 1965. امتد وجود هذه الحضارة في الزمن الممتد من أواخر حقبة سلالة شانغ إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. وقد تم العثور على فخاريات تعود إليها؛ معظمها ذو لون بني مائل إلى الحمرة، ومزين برسوم لأشكال الحبال. إناء «لي» البرونزي من أكثر المكتشفات العائدة إلى هذه الثقافة تميّزاً؛ فله مقبضان طويلان ومستقيمان، ووسطه بارز، وهناك أشكال حول فوهته. تشمل الأوعية الأخرى أحواضاً عميقة، وأواني تسنغ، وقصعات، وجراراً فخارية ذات فتحات ضيقة.

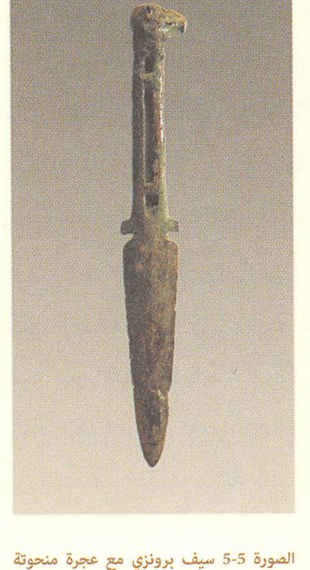


الصورة 5-3 «يو» مع نمط تاوتيه، وهو يعود إلى منتصف حقبة سلالة شانغ، تم العثور عليه في ليوجياخه في بينغقو، بكين عام 1977، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة

كما حصلت اكتشافات مهمة في قبور تعود إلى أواخر سلالة شانغ في ليوجياخه في محافظة بينغقو، وفي الأضرحة الخشبية التي تعود إلى سلالة تشو الغربية في بايفو في محافظة تشانغبينغ، بكين. واكتُشِفَت أيضاً مصنوعات برونزية صُنِعت بأسلوب السهول الوسطى في ليوجياخه، وتشمل



الصورة 5-4 خنجر برونزي ذو رأس على شكل جرس، وهو يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية. وقد تم العثور عليه في بايفو في تشانغبينغ، بكين عام 1975، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة



الصورة 5-5 سيف برونزي مع عجرة منحوتة على شكل رأس نسر، وهو يعود إلى أوائل حقبة سلالة تشو الغربية. تم العثور عليه في بايفو في تشانغبينغ، بكين عام 1975، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة

دينغ مربع الشكل ودينغ مستدير الشكل ولي ويان ويويه وجيا ويو ولي (lei) وبو وغير ذلك (الصورة 5-3)، وعلينا أن نلاحظ هنا أنه قد تم العثور على الكثير من المصنوعات الذهبية أيضاً مثل دبابيس الشعر والأساور والرقائق والأقراط. أما المصنوعات التي تعود إلى الحقبة المعاصرة لسلالة تشو الغربية، فقد شملَت مصنوعات برونزية شعائرية وعظام نبوءات من قبور في بايفو، منطقة تشانغبينغ، وأسلحة تحمل سمات شمالية؛ ومنها خناجر ذات رؤوس تشبه الأجراس، وسكاكين، وسيوف قصيرة تتميز بعجرات منحوتة على شكل رؤوس طيور، وأخرى منحوتة على شكل رؤوس أحصنة، وبلطات قتالية فيها فتحات تسمح بوضع المقابض فيها (الصورتان 5-4، 5-5). يذكر «كتاب الطقوس: سجل حول موضوع الموسيقى» أن الملك وو من سلالة تشو بعد أن هزم الملك تشو من سلالة شانغ «أعطى إقطاعية جي لذرية الإمبراطور الأصفر»؛ الأمر الذي قد يُشير إلى أن حضارة تشانغجيايوان ربما كانت الإرث الذي خلّفه أوائل سكان تلك الأراضي الذين كانوا من ذرية الإمبراطور الأصفر.

أما حضارة شياجياديان العليا، فقد كانت حضارة برونز إقليمية عاصرت وسط حقبة سلالة تشو الغربية وآخرها، وكذلك حقبتَي الربيع والخريف والممالك المتحاربة، وكانت موجودة في أقسام من منغوليا الداخلية في مقاطعتَي لياونينغ وخهبي شمال جبل يانشان. وقد سُمِّيت كذلك على اسم الحضارة العليا التي تم العثور عليها في موقع شياجياديان في مدينة تشيفنغ في منغوليا الداخلية، وتؤكد اختبارات التأريخ بالكربون 14 المشع أن تاريخها يعود إلى ما بين 1000 و300 قبل الميلاد. وقد تم العثور على معامل لصهر النحاس في منطقة لينشي، منغوليا الداخلية، وكذلك على أربعين منجماً مكشوفاً ضمن منطقة لا تتجاوز مساحتها الكيلومترين المربعين، وقد وُجِدت فيها أدوات للتنقيب في المناجم مثل الفؤوس والمطرقات وغير ذلك. وكشفت الأبحاث عن وجود صف يتألف من ثمانية أفران لصهر النحاس، ومواسير لتصريف البخار تُستخدَم في صنع الفخار الأحمر وقوالب من الخبث والطين؛ ما يدل على أن صناعة صهر البرونز وسبكه كانت قد وصلت إلى مستوى متقدم في تلك الحضارة وفي ذاك الزمن.

لهذا، يمكننا القول إن حضارة شياجياديان العليا قد مرت بطفرة في كميات مصنوعاتها البرونزية، مثل الفؤوس والأزاميل والسكاكين والمثاقب والتي تميزت جميعها بطابعها المحلي المستقل. فالفؤوس البرونزية مثلاً تميزت بالفتحة المستديرة في وسطها، والتي يدخل المقبض الخشبي عبرها، وكذلك بالشفرات الضيقة الموجودة إما على جانبها الأعلى أو الأسفل أو على كليهما. أما بالنسبة إلى الأسلحة البرونزية، فلعل أبرزها السيوف القصيرة التي تُزين أشكال الحيوانات مقابضها وعجراتها، كما تكون شفراتها إما مستقيمة أو مقوسة. وثمة قطع برونزية ثانوية سُبِكت على أشكال الطيور والذيول المزدوجة وخطوط الخرز، وجميعها تحمل تصاميم تعكس روحاً محلية مميزة. ومن المصنوعات الجديرة بالذكر في هذا السياق أوعية الشعائر المصنوعة من البرونز مثل دينغ ولي ودو؛ والتي اتبعت نموذج نظيرتها المصنوعة في السهول الوسطى، ولكن أشكالها هنا مختلفة؛ فقدور دينغ المصنوعة هنا لها فتحات ضيقة ومقابض نصف حلقية، ووسط مستدير وقليل العمق، وثلاث قوائم مدببة ورقيقة. ومن الملحوظ أنه تم العثور على أواني دينغ وقوي مصنوعة في السهول الوسطى هنا أيضاً؛ ما يُظهِر درجة تقارب أكبر بين هذه المناطق الشمالية والسهول الوسطى من حضارة شياجياديان السفلى.

كانت معظم مستعمرات تلك الحقبة تتموضع على المرتفعات الواقعة على





الصورة 5-6 غمدان برونزيان متصلان ببعضهما ويعودان إلى حضارة شياجياديان العليا، تم العثور عليهما في شياوهيشيقو في منطقة نينتشنغ، منغوليا الداخلية، ويُحتفَظ بهما في متحف الصين الوطني (تصوير كونغ لان بينغ)

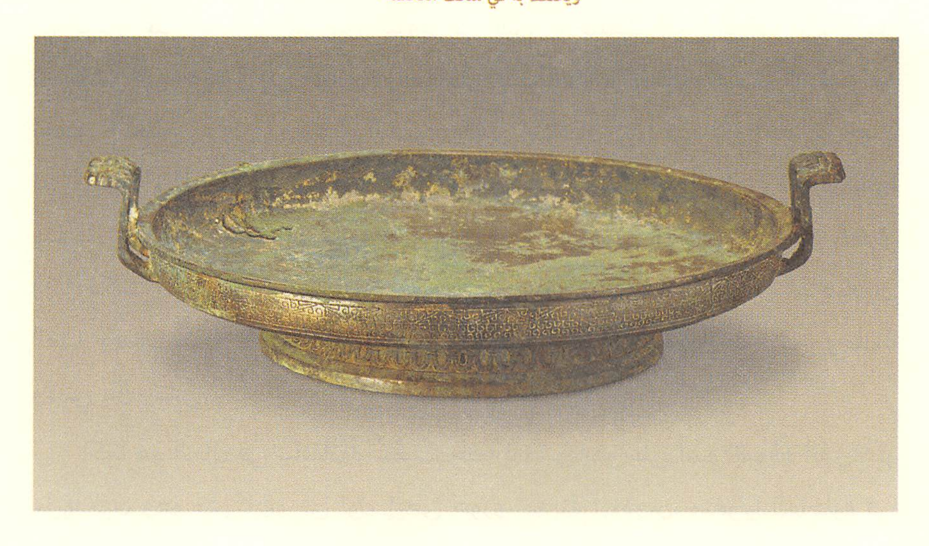
ضفاف الأنهار، حيث عاش الناس في بيوت يكاد منتصفها يقع تحت الأرض، وأحياناً في بيوت تقع فوق الأرض تماماً. وكانت المقابر تُشيَّد في مكان قريب من القرى، حيث تثبت التوابيت بالحجارة تحت الأرض قبل أن تدفن. كانت بعض قبور ذلك الزمن كبيرة في حجمها، مثل القبر رقم 101 الذي تم اكتشافه في نانشانقن، منطقة نينغتشنغ، مقاطعة لياونينغ عام 1963، والذي يبلغ طوله 3.8 م وعرضه بين 1.8 و2.23 م وعمقه 2.4 م، ووضعت توابيت خشبية داخل التوابيت الخارجية وثبتت بالحصى. وقد عُثِر فيها على ما مجموعه 500 قطعة برونزية تشمل أدوات للإنتاج (سكاكين، وفؤوس، وأزاميل، ومعازق)، وأسلحة (فؤوس ذات خناجر، ورماح، وسيوف، ورؤوس سهام، وخوذ، ودروع)، وكذلك تجهيزات العربات والأحصنة (لوان وألجمة ومسامير لحدوات الأحصنة) ومصنوعات برونزية شعائرية ذات سمات محلية (دينغ ولي وبو وقو وأوعية تشبه وعاء دو) بالإضافة إلى أوعية من نوعيات دينغ وقوي وفو مصنوعة في السهول الوسطى ومرايا وصفائح برونزية وخاتم ذهبي ولفافات أسلاك ذهب صغيرة.

ومن الأمثلة الأخرى الضريح الحجري الذي تم اكتشافه في شياوهيشيقو في منطقة نينتشنغ عام 1985. وقد شملت المصنوعات البرونزية المحلية التي تم العثور عليها ست أواني دو متصلة ببعضها، وجراراً مزدوجة ورباعية متصلة، وملاعق ذات مقابض أشكالها فريدة، وأغمدة سيوف مزدوجة متصلة، ورؤوس عكازات برونزية، بالإضافة إلى ألواح برونزية ذات أشكال حيوانية (الصورة 5-6). كما تم العثور على ألواح وخواتم ذهبية،

بالإضافة إلى قطع برونزية من السهول الوسطى مثل قوي شوجيجيانغ ولي المربع. وتؤكد هذه الاكتشافات أن ذلك القبر يعود إلى قائد نبيل، ويتناقض كثيراً مع القبور الأصغر حجماً، حيث لم تدفن إلا بعض الفخاريات. ولكنْ تُظهِر هذه الاكتشافات أيضاً بعض التقدم في نظام العبودية في الشمال في ذلك الوقت. وقد توصل الباحثون إلى معرفة صانعي حضارة شياجياديان، وهم قبيلة دونغهو القديمة.

تم اكتشاف عدة مقابر تعود إلى القبيلة شانرونغ القديمة جنوبي أسفل جبل جوندو في منطقة ياننشينغ، بكين بين عامي 1985 و1989 (الصور 5-7، 5-8، 5-9، 5-10). أنشئت هذه المقابر خلال الفترة الممتدة بين حقبة الربيع والخريف وأوائل حقبة الممالك المتحاربة، وأكبرها المقبرة الموجودة في معبد يوهوانغ، وصاحبها رجل في الخامسة والعشرين من عمره، يضع قرطاً ذهبياً شكله كالزنبرك، كما يضع قلائد شكلها مثل الهلال حول عنقه، وسيفاً قصيراً برونزياً مستقيم الشفرة على وسطه، وقد وُضعت ألجمة إلى يساره، وكنانة للسهام إلى يمينه، ويمكننا أن نجد في كفنه الخارجي مصنوعات برونزية مختلفة مثل دينغ ودويه وبان ويي وغيرها مصنوعة في السهول الوسطى مع «فو» محلي له مقبضان كالأذنين. وكانت الأحصنة والخراف والأبقار والكلاب

الصورة 5-7 «بان» برونزي عليه أشكال سحب، وهو يعود إلى أوائل حقبة الربيع والخريف. وقد تم العثور عليه في قبر في معبد يوهوانغ في منطقة يانتشينغ، بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة



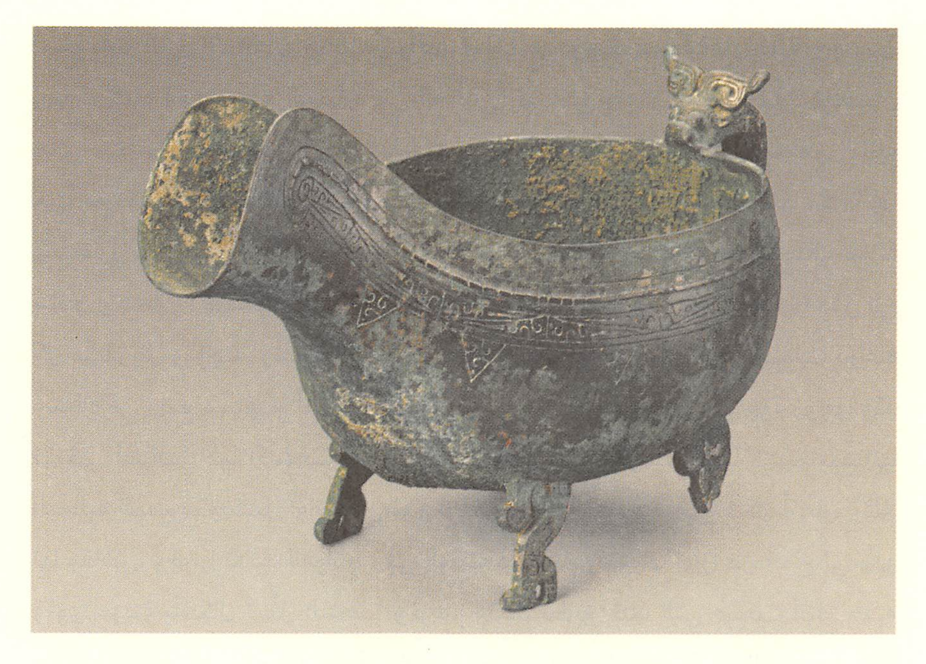




الصورة 5-8 «دينغ» برونزي مع أشكال حلقات متعددة، وهو يعود إلى أوائل حقبة الربيع والخريف، تم العثور عليه في قبر في معبد يوهوانغ في منطقة يانتشينغ، بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة

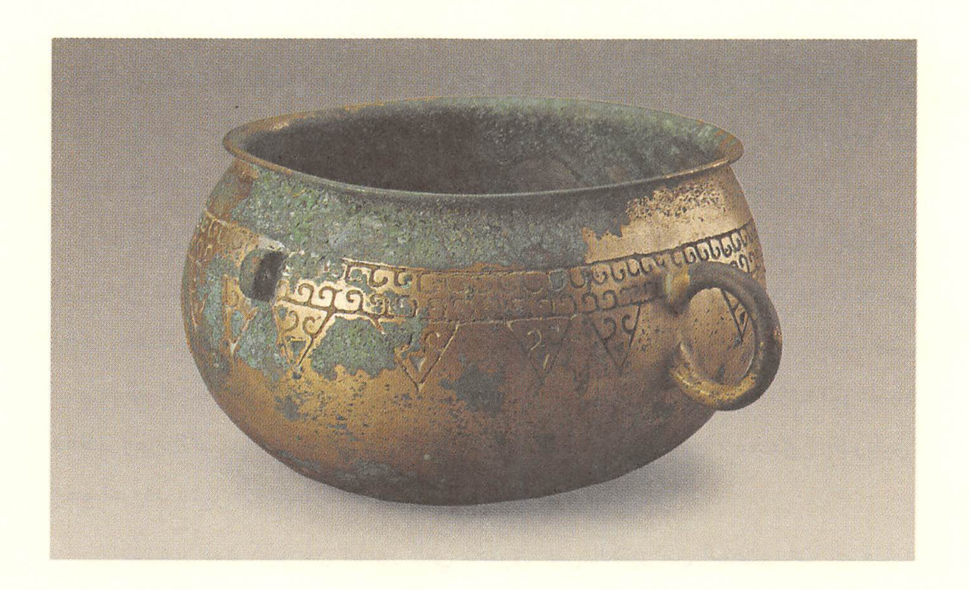
قد دفنت تحت التراب الذي يملأ القبور. قد يكون صاحب القبر قائداً نبيلاً، حيث تم العثور على مخزون كبير من البرونز في قبره. واختلفت أنواع أدوات الإنتاج من السكاكين إلى الفؤوس إلى الأزاميل والمقابض المصنوعة من العظام. وأشهر الأسلحة هو السيف القصير البرونزي مستقيم الشفرة، والذي استُخدِم كثيراً في تلك الحضارة، حيث تم اكتشاف تلك السيوف في أكثر من مئة قبر حتى الآن. أما الحلي التي تم اكتشافها فتشمل الأقراط والقلائد المسبوكة على شكل أجراس ورؤوس إنسانية وخط من الخرز. وإذا حكمنا بناء على المظهر الحضاري، فإن هذه الحضارة شبيهة بحضار شياجياديان العليا، وهناك نقاط تشابه كثيرة تجمع بينها وبين حضارات السهول الوسطى، وخاصة ولايتي يان وتشي.

كما هو الحال في سابقاتها، سُمِّيت حضارة تشوكايقو على اسم الموقع الذي عُثِر عليها فيه، وهو تشوكايقو في لواء إيجي هورو، مدينة أوردوس، منغوليا الداخلية في



(في الأعلى) الصورة 5-9 «يي» برونزي عليه أشكال سحب مثلثة، وهو يعود إلى أوائل حقبة الربيع والخريف. تم العثور عليه في قبر معبد يوهوانغ في منطقة يانتشينغ، بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة

(في الأسفل) الصورة 5-10 «خه» ذو مقبض واحد، وقد نُقِشت عليه صورة سحابة، تم العثور عليه في قبر معبد يوهوانغ في منطقة يانتشينغ، بكين عام 1986، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة





سبعينيات القرن الماضي. وكانت تتواجد أساساً في وسط منغوليا الداخلية وجنوبها. امتدت فترة وجود هذه الحضارة من الحقبة ذاتها التي وجدت فيها حضارة لونغشان حتى منتصف حقبة سلالة شانغ، ويُقسِّمها علماء الآثار إلى ثلاث مراحل، تتزامن الثانية منها مع حقبة سلالة شيا، حيث ظهرت مصنوعات برونزية صغيرة تعود إليها مثل الإبر والمخارز والأقراط والخواتم والأساور. أما المرحلة الثالثة فتتوازى مع منتصف سلالة شانغ؛ وتشمل الاكتشافات المتعلقة بها مواقع لبيوت مربعة ومستطيلة، وقبوراً دُفِن في كل منها رجل وزوجته، وتتميز بأن الرجل فيها كان يُسجّى على ظهره وقد أُسدِلت ذراعاه وساقاه في وضع مستقيم، أما الزوجة فكانت تسجى على جانبها في مواجهة زوجها وقد تم ثني أطرافها. كما اكتُشِفَت فخاريات تعود إلى تلك المرحلة الثالثة تتسم بسماتها المحلية المميزة، وتشمل أواني من نوع لي مع حواف مصنوعة على شكل أزهار، وقللاً لها مقابض، وجراراً ثلاثية القوائم. وفي الوقت ذاته، تم اكتشاف أوانٍ من أنواع لي ودو وقوي مزينة بأشكال تمثِّل السحب والرعد، وتكاد تطابق تلك التي صُنعت أثناء حقبة سلالة إرليقانغ، أو منتصف حقبة سلالة شانغ في السهول الوسطى. والأهم من ذلك اكتشاف مصنوعات برونزية شبيهة بتلك التي تعود إلى حضارة شانغ الواقعة في السهول الوسطى. وتشمل الاكتشافات دينغ برونزياً مزيناً بأشكال أقنعة الحيوانات، وجيويه، وفؤوساً ذات خناجر أطرافها الخلفية (ني) مستقيمة، بالإضافة إلى مصنوعات برونزية تزخر بطابع محلي، ومنها سيوف قصيرة ذات مقابض مستقيمة وشفرات، وسكاكين ذات عجرات حلقية، وصفائح مستديرة، وغيرها. لذا، يمكننا استنتاج أن حضارة تشوكايقو حضارة برونزية إقليمية في وسط منغوليا الداخلية وجنوبها، وترتبط ارتباطاً وثيقاً مع الحضارتين اللتين نشأتا تحت حكم سلالتَي شيا وشانغ في السهول الوسطى.

أما حضارة ليجيايا، فقد كانت موجودة على ضفتَي النهر الأصفر في منطقة جغرافية تمتد من شمال شرق مقاطعة شانشي إلى شمالها الغربي، وامتدت فترة وجودها من أواخر حقبة سلالة شانغ إلى منتصف حقبة سلالة تشو الغربية. وكالعادة، سُمِّيت على اسم موقع ليجيايا في منطقة تشينغجيان، مقاطعة شانشي، حيث تم اكتشاف آثارها عام 1983. ومن الأشياء التي تم العثور عليها حجارة نُقِشت عليها صور جمجمتين بشريتين؛ وهو أمر قد يشير إلى ممارسات في تقديم الأضاحي البشرية.

اكتُشف عدد كبير من القبور التي تحتوي على الكثير من المصنوعات البرونزية

الجنائزية في مناطق شيلو وليولين ويونغخه وشيشيان ولينغشي وشينتشو وباوده وبيانقوان وتشينغجيان وسُوْيده في في محافظة شانشي، وقد أنشئت في زمن معاصر لأواخر حقبة سلالة شانغ. وتتميز هذه القبور بخليط من الأدوات البرونزية الجنائزية المصنوعة في حضارة شانغ في السهول الوسطى والأسلحة البرونزية المصنوعة محلياً، والتي تشمل سيوفاً لها عجرات منحوتة على شكل أجراس وشفرات مستقيمة، وخناجر لها عجرات منحوتة على شكل رؤوس الأفاعي، وسكاكين نُحِتت عجراتها على شكل رؤوس الأحصنة.

ومن الأمثلة على هذه القبور الحفرتان العموديتان اللتان تم العثور عليهما في قرية جينغجيه، منطقة لينغشي. في القبر رقم 2، تم وضع نعشين ضمن تابوت خارجي، أحدهما للذكر الذي وجد مسجى وأطرافه مستقيمة، فيما سُجيت الأنثى على جانبها مواجهة الذكر. كما عُثِر على رجل دفن حياً في التربة التي تملأ الضريح. وتشمل الأدوات الجنائزية فيه مصنوعات برونزية مثل 10 جيويه، وأربعة قو، ويو، ولي، ودينغ، وقوي، و11 فأساً ذات خناجر، و19 رمحاً، وسكين لها عجرة منحوتة على شكل رأس حيوان، وأداتين مقوستين، وجرس، وغير ذلك.

في عام 1971، تم العثور على قبر في لينتشهيوي في منطقة باوده، وقد اكتُشِفت فيه مصنوعات برونزية عديدة مثل قدرين من نوع دينغ، وإناءين من نوع دو لهما كرات برونزية في قوائمهما حلقية الشكل، ويو، وإناءي بو، وسيف برونزي له عجرة منحوتة على شكل جرس وشفرة مستقيمة، وبلطتين لكل منهما فتحة لإدخال المقبض فيها، ومثبّتات لمسامير محور العربات، وجرسين، وقطعتين مستطيلتين من حجر الجاد فيهما ثقوب مستديرة من النوع الذي يسمى تسونغ، و112 صدفة بحرية، و109 ودعات مصنوعة من البرونز، وأداتين ذهبيتين تشبهان القوس، وغير ذلك. وينسب الباحثون هذه المصنوعات البرونزية إلى شمال غرب ولاية قوي في عهد سلالة شانغ.



حضارتا با وشو في الجنوب الغربي

في الفترة المعاصرة لحقبتَي سلالتَي شانغ وتشو، ازدهرت عدة حضارات برونزية في المنطقة التي تغطيها مقاطعة سيتشوان الحالية والمناطق المحيطة بها. وقد أطلق الباحثون عليها اسم «حضارتا با وشو». تواجدت حضارة با في شرق سيتشوان، وكانت مدينة تشونغتشينغ مركزها. أما حضارة شو فتغطي قطعة جغرافية في الجانب الغربي من المقاطعة، ويقع قلبها ومركزها في مدينة تشنغدو. كانت لهاتين الحضارتين المتشابكتين علاقات وطيدة بالحضارة البرونزية في السهول الوسطى. ويتفق ذلك مع ذكرته المصادر التاريخية مثل «كتاب التاريخ: الخطبة في معركة مويه» وغيره، وهو أن دولة شو تحالفت مع الملك وو من سلالة تشو (Zhou) في هجومه على الملك تشو من سلالة شانغ.

يرجع أصل قبيلة با إلى حوض نهر تشينغ غربي مقاطعة هوبي. وقد استقرت القبيلة في زمن لاحق من تاريخها في مناطق مختلفة في شرق سيتشوان، وجنوب شانشي، وغرب هوبي، وغرب هونان، وشمال شرق قويتشو. تأسست ولاية با أثناء حقبة تشو الغربية، وكانت مدينة تشونغتشينغ عاصمتها. وقد شهدت ازدهاراً كبيراً أثناء حقبة الربيع والخريف؛ إذ تحالفت دولة با تحالفاً وطيداً مع ولاية تشو (Chu) فساعدت جيوش تلك الأخيرة على اجتياح ولاية يانغ عام 611 قبل الميلاد، ولكن قوتها انحسرت في حقبة الممالك المتحاربة؛ حتى كانت نهايتها على يد ولاية تشين عام 329 قبل الميلاد.

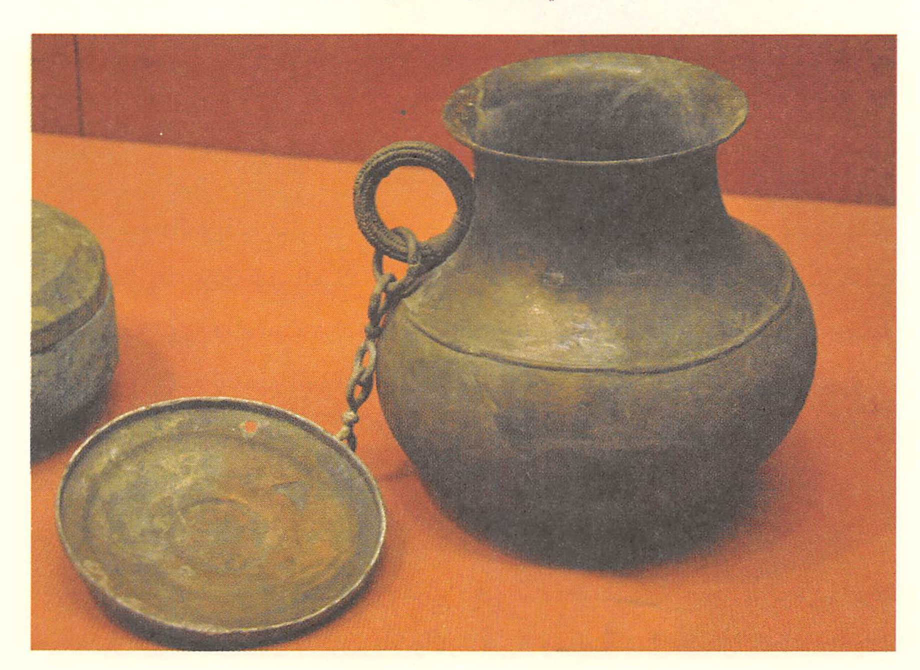
تتميز الأسلحة البرونزية المصنوعة في حضارة با بسماتها المحلية الفريدة؛ مثل السيوف المسبوكة على شكل أوراق الصفصاف ذات المقابض المسطحة والشفرات العريضة، وبلطات يويه ذات الرأس المجوف والوسط الذي يبدو على شكل زاوية، والفؤوس ذات الخناجر التي لديها شفرات تشبه ألواح الجاد وني مستقيم، ورماح قصيرة المقابض ومقوسة الطرفين، وغير ذلك. وعادة، تُزيّن أشكال تشبه جلد النمر الأواني البرونزية المُصنَّعة في تلك الحضارة، ويمكننا أن نرى هذه الأشكال أيضاً حتى على الأسلحة والأدوات الموسيقية والأختام المُصنَّعة هناك، بالإضافة إلى رموز تزيينية أخرى للطيور والأيدي والزهور. في الواقع، قد تكون هذه الرموز حروفَ الكتابة في لغة قبيلة با أو قبيلة شو، لكن علماء الآثار لم يتوصّلوا حتى الآن إلى فهم المقصود منها، ولا إلى فك طلاسمها.

كما اعتمدت حضارة با أيضاً نظاماً فريداً من نوعه في الجنائز؛ حيث كانت جثة الميت تسجى على قارب منحوت من قطعة واحدة من خشب نانمو طولها خمسة أمتار داخل النهر، ثم تجري مراسم الدفن على تلة بمحاذاة النهر.

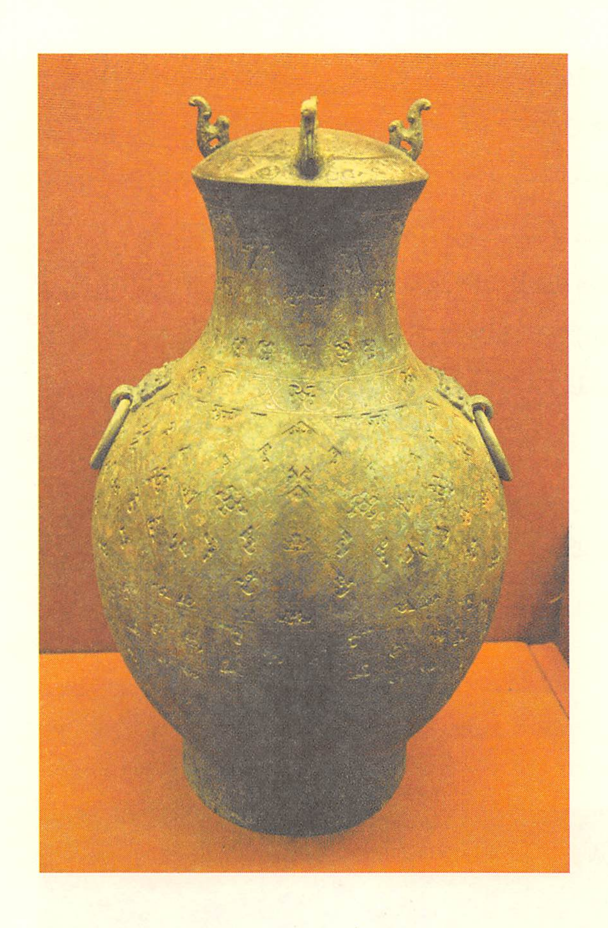
في عام 1972، تم العثور على 14 جرساً برونزياً مطعماً بالذهب، وإناء فو برونزي في قبور تعود إلى دولة با في شياوتيانشي في ناحية فولينغ، تشونغتشينغ تطابق تمام المطابقة المصنوعات البرونزية التي كانت ولاية تشو (Chu) تنتجها في منتصف حقبة الممالك المتحاربة. وهذا دليل آخر على العلاقة الوثيقة بين حضارتي با وتشو. (الصورتان 5-11، 5-12)

عاشت قبيلة شو في التخوم الجبلية العليا لنهر مين، وهاجرت لاحقاً إلى سهل تشنغدو. تدل السجلات التاريخية على أن دولة شو كانت لها علاقات وطيدة مع بلاط ملوك سلالة تشو (Zhou) أثناء حقبة سلالة تشو الغربية، وأنها قد شهدت نهضة خلال

الصورة 5-11 إناء «مو» برونزي يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، تم العثور عليه في قبور في ياوتيانشي، منطقة فولنغ، تشونغتشينغ. ويُحتفَظ به في متحف الوديان الثلاثة في تشونغتشينغ (تصوير يانغ شينغ بين)







الصورة 5-12 «هو» برونزي مطعم بالفضة يعود إلى حقبة الممالك المتحاربة، تم العثور عليه في قبور في ياوتيانشي، منطقة فولنغ، تشونغتشينغ؛ ويُحتفَظ به في متحف الوديان الثلاثة في تشونغتشينغ (تصوير يانغ شينغ بين)

حقبة الربيع والخريف، قبل أن تنحسر في حقبة الممالك المتحاربة حتى قضت عليها ولاية تشين عام 329 قبل الميلاد. اكتشف علماء الآثار موقع مدينة ضخمة لدولة شو في سانشينغدوي في مدينة قوانغهان، مقاطعة سيتشوان، وترجع في تاريخها إلى حقبة سلالة شانغ. يشبه تصميم الموقع شكل السلم، وهو أضيق في الشمال منه في الجنوب. وقد أنشئت أسوار المدينة بالتربة المرصوصة، وتقع أسوارها الشرقية والغربية بين نهري ياتسي ومامو، ولا توجد أسوار شمالها لأن نهر ياتسي يشكل حاجزاً طبيعياً يدافع عن المدينة.

في عام 1986، تم اكتشاف حفرتين في سانغشينغدوي، جنوبي المدينة. وقد تم العثور فيهما على أدوات برونزية، وآثار ذهبية وعاجية ومن حجارة الجاد، وأدوات

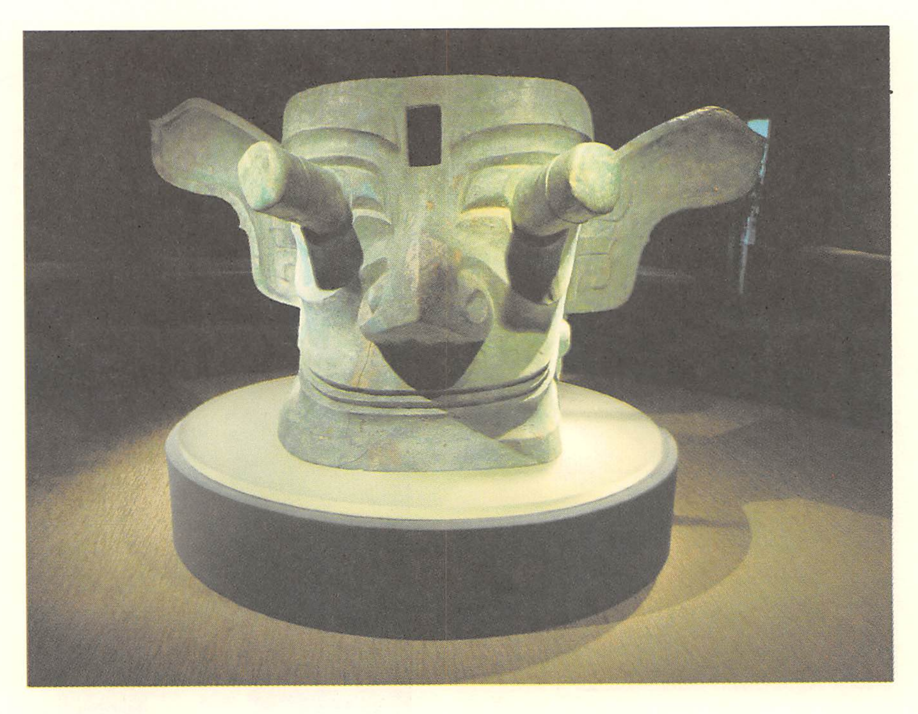
حجرية، وكميات كبيرة من أصداف البحر والعظام المحروقة. وتشير الأبحاث إلى أنها ربما كانت تُستخدم في الأضاحي التي كان ملوك شو يقدمونها في معابد الأسلاف، وأنها حُرِقت ودُفِنت في الحفر مع زوال هذه الدولة. لبعض الأواني البرونزية الشعائرية الأشكالُ ذاتُها الموجودة على نظيرتها في السهول الوسطى أثناء حقبة سلالة شانغ، مثل أواني تسو ولي وبان.

تم العثور على تمثال برونزي في موقع سانشينغدوي عام 1949. وهو يجسد رجلاً يقف حافي القدمين في قاعة، وجسمه طويل ونحيل، ويداه تُشكِّلان حلقتين فارغتين، ويعتمر قبعة طويلة، ويرتدي عباءة طويلة الكمين تقاطعت ياقتها اليسرى مع تلك اليمنى. تدلنا أشكال التنين ووجوه الحيوانات المنحوتة مع التمثال على أنه ربّما يصوِّر عرافاً كان يترأس شعائر تقديم القرابين في ذلك الزمن (الصورة 5-13). وتم العثور أيضاً على قناع لوجه إنساني غريب في شكله وفريد من نوعه، فعيناه ناتئتان من وجهه وكأنهما أنبوبان يخرجان من الوجه، حيث



الصورة 5-13 تمثال برونزي لإنسان يرجع إلى حقبة سلالة شانغ، ويُحتفَظ به في متحف سانشينغدوي في قوانغهان، سيتشوان (تصوير قو قه)





الصورة 5-14 تمثال لوجه إنساني له عينان ناتئتان مصنوع من البرونز يحتفظ به متحف سانشينغدوي في قوانغهان، سيتشوان

يبلغ طول العين الواحدة حوالي 30 سم، وكذلك له أذنان طويلتان ومدببتان، ولعله يكون تصويراً لتسانتسونغ؛ الجد الأكبر لملوك شو. (الصورة 5-14)

من الاكتشافات الأخرى المهمة حول أوائل حضارة شو موقعُ أساسات مذبح تقديم القرابين في جبل يانغتسي، مدينة تشنغدو. وهو منصة مربعة تتألف من ثلاث طبقات. كما تم العثور على موقع مبنى كبير مشيد بالخيزران والخشب في «شيه إرتشياو» في مدينة تشنغدو. ومن أهم الاكتشافات التي تم التوصل إليها في ما يتعلق بأواخر حقبة حضارة شو ضريح ملوك شو- الذين كان يُطلَق عليهم الاسم العائلي كايمينغ- ويعود إلى منتصف حقبة الممالك المتحاربة. تم التنقيب عن القبور في منطقة شيندو، مدينة تشنغدو عام 1980، حيث اكتُشِفت كمية كبيرة من الأدوات البرونزية تشمل خمسة ليه دينغ يحمل غطاء أصغرها نقش: «邵之飤鼎»، ويعني: «سي دينغ شاو». وتشمل المصنوعات البرونزية الأخرى التي تم العثور عليها أواني دو ودوي وفو، وأجراساً إيقاعية

تم سبكها جميعها في أشكال وأنماط تزيينية تشبه تلك التي تم العثور عليها في ولاية تشو (Chu) التي أثرت حضارتها أعمق تأثير على المصنوعات البرونزية التي أشرنا أليها. ولكنّ هذا لا يعني أنه لم تكن هناك أي لمسات محلية مميزة فيها؛ مثل الفؤوس ذات الخناجر التي لها ذيل إضافي (هو) قصير على جانبي الشفرة، والسيوف القصيرة المشابهة لشكل أوراق الصفصاف، وبلطة يويه ذات المقبض المجوف والجانبين اللذين على شكل زاوية، بالإضافة إلى ختم مربع يحمل الرسوم الهيروغليفية المستخدمة في ولاية شو، والكثير من مجموعات الأدوات البرونزية.



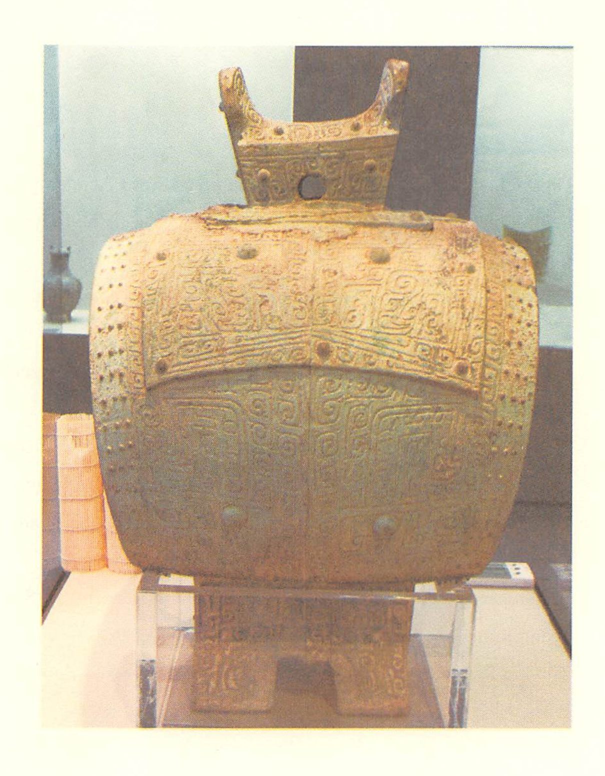
حضارة ووتشنغ في الجنوب

كانت حضارة ووتشنغ حضارة برونزية متطورة في الجنوب. وكالكثير من الحضارات غيرها، حازت على اسمها من الموقع الذي تم اكتشافها فيه للمرة الأولى، وهو موقع ووتشنغ، مدينة تشانغشو، مقاطعة جيانغشي. وقد امتدت شمالي جيانغشي مكانياً خلال الفترة الممتدة بين حقبة سلالة شانغ وحقبة سلالة تشو الغربية زمانياً، وربما بعدها أيضاً. وبالإضافة إلى الأدوات البرونزية مثل السكاكين والبلطات، تم العثور على 35 قالباً حجرياً كانت تُستَخدم لسبك الفؤوس والأزاميل والسكاكين البرونزية، ويختلف هذا عن السهول الوسطى حيث كانت القوالب الطينية هي ما يُستخدَم.

في عام 1989، تم اكتشاف ضريح كبير في دايانغتشو في منطقة شينقان، ولاية جيانغشي، وعثر فيه على 480 قطعة برونزية شملت أواني شعائرية وأسلحة وأدوات (الصورتان 5-15، 5-16). بعض هذه المصنوعات كان كبير الحجم؛ مثل بعض القوارير، وقدري دينغ مربعتين، وأربعة أجراس إيقاعية منحوتة على شكل خراف، وتشبه في أشكالها وأسلوب زخرفتها المصنوعات البرونزية التي تعود إلى السهول الوسطى في أواخر حقبة سلالة شانغ، ما يشير إلى تواصل وثيق الصلة مع الحضارة التي كانت سائدة تحت حكم تلك السلالة وتأثر عميق بها. بعض المصنوعات البرونزية الأخرى تتميز بسماتها المحلية؛ مثل يويه برونزية، وسيوف قصيرة، ورؤوس سهام ذات طرف واحد، وأزاميل مقوسة، وبلطات، وغير ذلك... وعادة، كانت تُزيّن بتمثال منحوت يجسد نمراً. ينبغي إضافة 300 قطعة أخرى إلى لائحة الأشياء التي تم



الصورة 5-15 مطرد برونزي، وبلطة من نوع «يويه» تحتوي على فتحة تسمح بإدخال مقبضها فيها. يعود هذان السلاحان إلى حضارة ووتشنغ في زمن معاصر لحقبة سلالة شانغ، وقد تم العثور عليهما في دايانغتشو، جيانغشي، ويُحتفَظ بهما في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)



الصورة 5-16 طبل «جيان» برونزي مزين بأشكال تمثل السحب والرعد، وهو يعود إلى حضارة ووتشنغ في زمن معاصر لحقبة سلالة شانغ، ويُحتفَظ به في متحف العاصمة (تصوير نيه مينغ)

العثور عليها: تسونغ مصنوع من الجاد، ويوبي (قطعة مستديرة مسطحة من الجاد لها فتحة في وسطها)، وتماثيل ضفادع مصنوعة من الجاد، ومجموعات من الفناجين الكريستالية، وخواتم من العقيق، بالإضافة إلى فخاريات قاسية ذات أشكال هندسية، وأنواع بدائية من البورسلين. يعتقد الباحثون أن تاريخ هذه القبور يرجع إلى أواخر حقبة سلالة شانغ، وربما ترجع إلى القائد الأعلى لدولة قديمة هناك.

تم نقش عدد هائل من الرموز على الفخاريات وقوالب الحجارة في حضارة ووتشنغ. وتحمل معظم الأواني واحداً أو اثنين منها، بل قد يحمل بعضها 12 رمزاً. وتُظهِر الأبحاث أن أشكالها وتصاميمها ربما كانت متأثرة بالنقوش على عظام النبوءات التي كانت سائدة في حقبة سلالة شانغ، ولكن الباحثين لم يتمكنوا من فهم معنى معظمها حتى الآن، ولعله نظام كتابة قديم استُخدم في تلك المنطقة، وغيّبَه توالي الأحقاب منذ ذلك الزمن السحيق.

المراجع

[1] Archaeological Research Institute at Chinese Academy of Social Sciences. The Complete Collection of Bronze Inscriptions in the Shang and Zhou Dynasties[M]. Beijing: Zhonghua Book Company, 1984.

[2] Guo Moruo. Inscriptions on Bronzes from the Dong Zhou and Xi Zhou Dynasties[M]. Beijing: Science Press, 1984.

[3] Boriskovski □.□. The Stone Age, Bronze Age and Iron Age[M]. Beijing: SDX Joint Publishing Company, 1957.

[4] Guo Moruo. The Era of Slavery[M]. Beijing: People's Publishing House, 1977.

[5] Shang and Zhou Group of the Archaeological Teaching and Research Section of Peking University's Department of History. Archaeology of the Shang and Zhou Dynasties[M]. Beijing: Cultural Relics Press, 1979.

[6] Archaeological Research Institute at Chinese Academy of Social Sciences. The Tomb of Fu Hao at Yin Ruins[M]. Beijing: Cultural Relics Press, 1980.

[7] Guo Baojun. A Comprehensive Study on Shang and Zhou Bronzes[M]. Beijing: Cultural Relics Press, 1981.

[8] Tang Lan. Bronze Inscriptions in the Western Zhou Dynasty[M]. Beijing: Zhonghua Book Company, 1986.

[9] Li Xueqin. Studies on Newly-Unearthed Bronze Ware[M]. Beijing: Cultural Relics Press, 1990.

[10] Yin Shengping. Studies on Bronzes of the Wei Family in the Western Zhou Dynasty[M]. Beijing: Cultural Relics Press, 1991.

[11] Sang Xingzhi. Essays on Bronzes[M]. Shanghai: Shanghai Science and Technology Education Press, 1994.

[12] Li Boqian. Studies on Chinese Bronze Cultural System[M]. Beijing: Science Press, 1997.

[13] Zhang Guangzhi. The Bronze Age in China[M]. Beijing: SDX Joint Publishing Company, 1999.

[14] Wang Hui. A Comparative Study of Shang and Zhou Cultures[M]. Beijing: People's Publishing House, 2000.

[15] Wang Yuzhe. The History of Ancient China[M]. Shanghai: Shanghai People's Publishing House, 2000.

[16] Ding Meng. The Collection of Pre-Qin Bronze Ware in the Palace Museum[M]. Beijing: Forbidden City Press, 2001.

[17] Xu Zhuoyun. The History of the Western Zhou Dynasty[M]. Beijing: SDX Joint Publishing Company, 2001.

[18] Bei Ye. Studies on Chinese Civilization[M]. Beijing: China Social Sciences Press, 2001.

[19] Li Zehou. The Path of Beauty: A Study of Chinese Aesthetics[M]. Tianjin: Tianjin Academy of Social Sciences Press, 2001.

[20] Ding Meng. Identification of Chinese Bronze Ware[M]. Liaoning: Liaoning People's Publishing House, 2004.

